AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

العدد - 2935 - السنة السادسة والسبعون - الخميس 09 جمادى الآخرة 1448 هـ
الموافق- 19 - نوفمبر 2026م.

9771319029600

السفير التركي د. أمرالله أشلر..

من طالب بجامعة الملك سعود إلى سفير لبلاده في المملكة .

د. عاصم حمدان..

عاشق «طيبة» الذي أعاد كتابة ذاكرة المدينة.

مجمع الملك سلمان للغة العربية..

ستة أعوام من الريادة.



اليمامة
العدد - 2935 - السنة السادسة والسبعون - الخميس 09 جمادى الآخرة 1448 هـ الموافق- 19 - نوفمبر
No. 2935 -NOVEMBER-Thursday- 19 - 2026

YAMAMAH FULFILMENT

YAMAMAH EXPRESS
اليمامة إكسبريس



عندك متجر؟

خلي البيع عليك
والباقـــي علينـــا

نعتني بطلباتك من الاستلام إلى باب عميلك

01	02	03	04	05
نخزن	نجهز	نغلف	نشحن	نسلم
تخزين آمن ومنظم لبضاعتك	تجهيز الطلبات بدقة وسرعة	تغليف احترافي يحمي منتجك	شحن سريع لجميع مناطق المملكة	توصيل حتى باب العميل



ركز على نمو متجرك
ونحن ندير الباقي

8001010191
الرقم الموحد

info@yamamahexpress.com

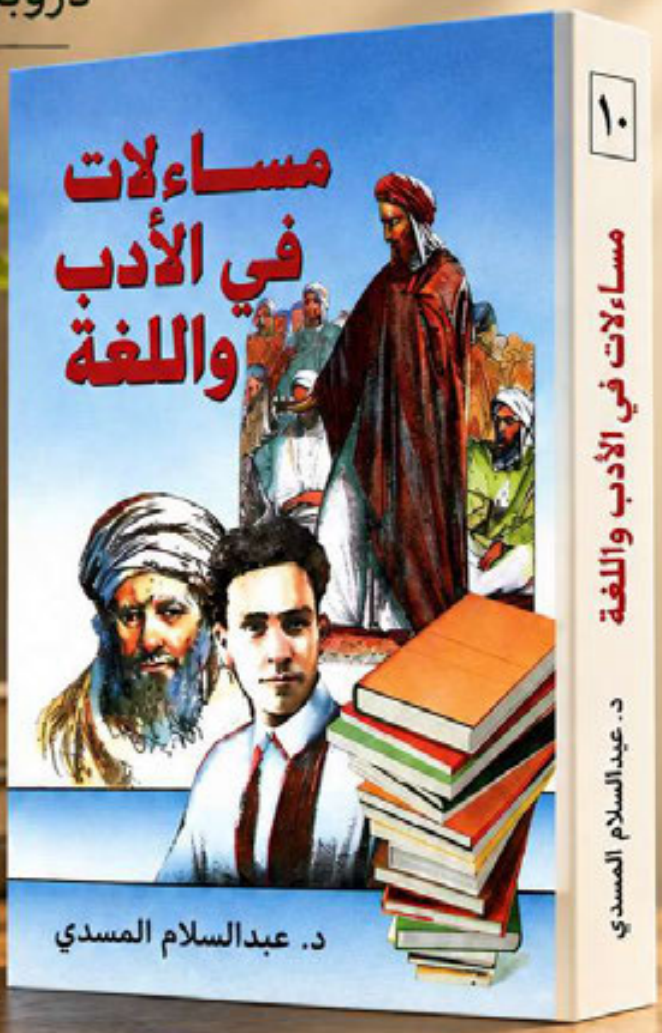
مؤسسة اليمامة الصحفية
ALYAMAMAH PRESS EST.

العلم
يبني
الأمم

الكتب
تضيء
دروبنا ..

كتاب
الرياض
• العدد العاشر - أكتوبر 1994م •

مساءلات
في الأدب
واللغة



قراءة
أعمق لحياة
أجمل

كتب أصلية
ومختارة بعناية

تجربة تسوق
آمنة وموثوقة

توصيل سريع
لجميع مناطق المملكة

اطلبه الآن عبر
Bks4.com
كنوز اليمامة .. وجهتك لكل الكتب

إنستغرام
@KnoozAlyamamah

تويتر
@KnoozAlyamamah

إيميل
contact@bks4.com

واتساب:
+966 50 2121 023

دعم عملاء
متواصل

منتجات أصلية
جودة مضمونة

تغليف آمن
للحفاظ على الكتب

توصيل سريع
لجميع مناطق المملكة

الفهرس



يدخل مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية عامه السابع، بعد ستة أعوام من تأسيسه شهد خلالها بناء منظومة مؤسسية وعلمية تُعنى بخدمة العربية وتعزيز حضورها. وقد اختار فريق تحرير «اليمامة» المجمع موضوعًا لغلاف هذا العدد، للتعريف بمسيرته وأبرز جهوده في تطوير أدوات اللغة العربية، وتوحيد مرجعيتها العلمية، وتوسيع حضورها في مجالات المعرفة والتقنية والتعليم، إلى جانب استعراض توجهاته الاستراتيجية وبرامجه ومبادراته وشراكاته العلمية والثقافية. واستكمالا للموضوع، يكتب الزميل حامد بن عقيل تقريرا عن زيارة وفد من المثقفين للمجمع، رافقتهم فيها "اليمامة"، تضمنت لقاء مع الأمين العام للمجمع الدكتور عبدالله الوشمي وأعضاء فريقه.

وفي الموضوعات السياسية للعدد، يكتب الباحث السياسي سلمان العنزي عن دور العلوم الاجتماعية، والعلوم السياسية على وجه الخصوص، في بناء التقديرات الاستراتيجية وصناعة القرارات المتعلقة بالحرب والسلم، مستحضرًا نماذج من الحروب والصراعات الأخيرة في أوكرانيا وغزة والمواجهة مع إيران، وما أظهرته من أهمية التقدير العلمي في استشراف مآلات الأزمات وتجنب القرارات الخاطئة. كما يكتب الدكتور باسل الحاج عن «فواتير الشرق الأوسط الموجودة على طاولة أوكرانيا». وفي المقالات الرئيسية للعدد، يكتب عبدالله الوابلي تحت عنوان «النار بين المحرقة والمنارة»، ويستعيد الدكتور زاهر عثمان صورة المصور الراحل "حمد العبدلي"، فيما يسلط محمد القشعمي الضوء على الأعمال الأدبية السعودية المترجمة إلى اللغة الصينية. وفي «حديث الكتب»، يقرأ الدكتور صالح الشحري كتاب «رحلة إلى البلدان الاشتراكية» للكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، ويقدم الدكتور محمد الشنطي قراءة في قصائد الشاعر الدكتور عبدالعزيز خوجه. كما يواصل إبراهيم البليهي نشر مذكراته، متناولًا هذا الأسبوع الأنهار العظيمة التي تصنعها قطرات المطر الصغيرة.

وفي موادنا الصحفية الأخرى، نحاور السفير التركي لدى المملكة، الذي يتحدث عن علاقته الخاصة بالرياض؛ حيث درس فيها طالبًا بجامعة الملك سعود، ثم عاد إليها أستاذًا، قبل أن يتولى تمثيل بلاده سفيرًا لدى المملكة.

وفي تحقيقاتنا الصحفية، نناقش قضية العنف ضد الأطفال، وأساليب التربية القائمة على الحوار وحماية الطفولة، بمشاركة مجموعة من المتخصصين والاستشاريين. وثقافيًا، نقدم تقريرًا عن التحولات الجوهرية في المشهد الثقافي المحلي ودورها في تشكيل وعي المستهلك السعودي، إلى جانب إضاءة على الكتاب الجديد للمؤلف والإعلامي محمد رضا نصرالله، الذي يستعيد فيه لقاءاته مع رموز الأدب والثقافة في العالم العربي. ونستذكر في «وجوه غائبة» الدكتور عاصم حمدان، رحمه الله، عاشق طيبة الطيبة، الذي أسهم في توثيق تاريخ المدينة المنورة وإعادة قراءته.

ويضم العدد كذلك باقة من الموضوعات المتنوعة في الأدب والسينما والفنون التشكيلية، ونختتم بـ«الكلام الأخير»، الذي يكتبه هذا الأسبوع عبدالمحسن يوسف تحت عنوان «أعراس الخريف».

AL YAMAMAH
اليمامة

المحررون

مؤسسة اليمامة الصحفية
AL YAMAMAH PRESS EST

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

أسسها: حمد الجاسر عام 1372 هـ

رئيس مجلس الإدارة: منصور بن محمد بن صالح بن سلطان

المدير العام : خالد الفهد العريفي ت : 2996110

2935



CONTENTS

في هذا العدد

الوطن

06 | مجلس الوزراء برئاسة سمو ولي العهد.. المملكة تؤكد على ترسيخ الأمن والسلم في المنطقة.

التحقيق

72 | مختصون يدعون إلى تربية تقوم على الحوار والاحتواء وحماية الطفولة.. العنف ضد الأطفال.. معاناة صامتة ومستقبل يحتاج إلى الحماية.

وجوه غائبة

64 | عاصم حمدان.. عاشق طيبة الذي أعاد كتابة ذاكرة المدينة.

التقرير

68 | ارتباط كبير بالهوية والقيم .. كيف تعيد الثقافة تشكيل وعي المستهلك السعودي؟

المقال

20 | سلمان العنزي: حين يغيب العلم تقع الكارثة السياسية.

الحوار

34 | د. أمر الله أشلر: بدأت طالبًا في جامعة الملك سعود، وعدت إليها أستاذًا، ثم سفيرًا لبلادي.

الكلام الأخير

106 | عبدالمحسن يوسف: أعراس الخريف.



المشرف على التحرير
عبدالله حمد الصيخان
alsaykhan@yamamahmag.com
هاتف : 2996200
فاكس: 4871082

مدير التحرير
عبدالعزيز حمود الخزام
aalkhuzam@yamamahmag.com
هاتف : 2996415

عنوان التحرير:
المملكة العربية السعودية الرياض - طريق القصيم حي الصحافة
ص.ب: 6737 الرمز البريدي 11452
هاتف السنترال 2996000 الفاكس 4870888
بريد التحرير:
info@yamamahmag.com
موقعنا:
www.alyamamahonline.com
تويتر:
@yamamahMAG

MAIN OFFICE:
AL-SAHAFA QURT.T - TEL: 2996000 (23 LINES) -
TELEX: 201664 JAREDA S.J. P.O. BOX 6737
RIYADH 11452 (ISSN -1319 - 0296)

سعر المجلة : 5 ﷼
الاشتراك السنوي:
المرحلة الأولى : مدينة الرياض
300 ﷼ للأفراد شاملاً الضريبة·
500 ﷼ للقطاعات الحكومية وتضاف الضريبة·
تودع في حساب البنك العربي رقم (آيبان دولي):
sa 4530400108005547390011
ويرسل الإيصال وعنوان المشترك على بريد المجلة-
info@yamamahmag.com
للاشتراك اتصل على الرقم المجاني: 8004320000

إدارة الإعلانات:
هاتف 2996400 -2996418
فاكس: 4871082
البريد الإلكتروني:
adv@yamamahmag.com



خادم الحرمين الشريفين يوافق على تسمية «جامعة الملك سلمان للدفاع الوطني»

واس

صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -أيَّده الله- على تسمية (جامعة الدفاع الوطني) باسم (جامعة الملك سلمان للدفاع الوطني).

وبهذه المناسبة رفع صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سلمان بن عبدالعزيز وزير الدفاع أسمى آيات الشكر والعرفان لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ولصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء -حفظهما الله-.

وأكد سمو وزير الدفاع أن تسمية الجامعة باسم (جامعة الملك سلمان للدفاع الوطني) تُجسِّد ما تحظى به منظومة التعليم من رعاية واهتمام من القيادة الرشيدة -أيدها الله-، وتعكس عنايتها المستمرة ببناء الإنسان وإعداد القادة، باعتبار ذلك ركيزةً أساسية لصون أمن الوطن وتعزيز مكتسباته.

وقال سموه: «إن هذه التسمية تعد حافزًا لمواصلة الجامعة تطوير منظومتها التعليمية والبحثية، ودعم صناعة القرار في مجالات الدفاع والأمن الوطني، تحقيقًا لمستهدفات تطوير وزارة الدفاع التي رسم خارطتها صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء -حفظه الله-».

رأي اليمامة

مؤتمر مكة والرعاية السعودية.

جاءت رعاية المملكة العربية السعودية لمؤتمر علماء ودعاة اليمن، الذي اختتم يوم أمس في مكة المكرمة، لتؤكد اهتمام المملكة بمختلف جوانب دعم اليمن وتعزيز استقراره، وحرصها على جمع كلمة علمائه ودعاته في مواجهة التحديات التي تهدد دولته وهويته. المؤتمر الذي عقد برعاية وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة تحت شعار «مساندة الدولة وحماية الهوية.. واجب المرحلة»، بمشاركة أكثر من مائتي عالم وداعية من مختلف المكونات الدعوية والمدارس الفقهية اليمنية، خرج بموقف موحد تُرجم في ثلاث عشرة توصية أكدت مساندة الدولة الشرعية، وحماية الهوية الإسلامية والوطنية، ومواجهة المشروع الحوثي. لقد اكتسب اجتماع العلماء اليمنيين في مكة المكرمة دلالة تتجاوز طابعه العلمي والدعوي، فالتوافق بين مختلف المكونات والمدارس الفقهية اليمنية على موقف مشترك يعكس إدراكا لأهمية توحيد الكلمة في مرحلة تواجه فيه اليمن تحديات تمس الدولة الشرعية وتماسك المجتمع. كما أن انعقاد المؤتمر في رحاب البلد الحرام يمنح رسالته بُعدًا يتصل بمكانة المقدسات الإسلامية، وبمسؤولية العلماء في حماية المجتمع من الانقسام والتوظيف السياسي للدين.

وانعقد المؤتمر فيما كانت الميليشيا الحوثية تواصل اعتداءاتها على المملكة، وتصر على استهداف مكة المكرمة والمدينة المنورة، إلى جانب تعمد الإضرار بالأعيان المدنية والمنشآت الحيوية. وفي هذا السياق، أكد العلماء أن أمن المملكة من أمن اليمن، في تعبير عن إدراك عميق لوحدة المصير بين البلدين، ولطبيعة العلاقة التي تجاوزت حدود الجوار إلى روابط الدين والتاريخ والمصالح المشتركة. فالاعتداء على المملكة لا ينفصل عن تهديد أمن اليمن والمنطقة واستقرارهما.

ولعل من أبرز ما أكده البيان الختامي أن المواجهة مع المشروع الحوثي لا تقتصر على استعادة مؤسسات الدولة اليمنية وإنهاء الانقلاب، وإنما تمتد إلى حماية الهوية اليمنية من محاولات التغيير والطمس. فقد حذر العلماء من استهداف عقيدة المجتمع وهويته الوطنية، ومن محاولات تغيير المناهج الدراسية، ودعوا إلى تعزيز البرامج العلمية والتربوية التي تحمي النشء وترسخ قيم الوسطية والاعتدال. وتكتسب هذه القضية أهميتها من أن العبث بالمناهج وتوجيه وعي الأجيال نحو تصورات مذهبية وسياسية أحادية يهددان تماسك المجتمع اليمني وتنوعه الفكري والمذهبي الذي عرفه عبر تاريخه.

لقد أتت رعاية المملكة للمؤتمر امتدادًا لموقف تاريخي تجاه اليمن وشعبه، لم يقتصر على المساندة السياسية، وإنما شمل دعم المؤسسات العلمية والدعوية، ورعاية العلماء والطلاب، وتقديم المنح الدراسية، والمشروعات التنموية والإنسانية، ومساندة الحكومة الشرعية ومؤسسات الدولة. كما يعكس برنامج التواصل مع علماء ودعاة اليمن اهتمام المملكة بتعزيز التواصل العلمي بينهم، وجمع كلمتهم، وتوحيد جهودهم في مواجهة التطرف وحماية الهوية. وهو نهج سعودي ثابت يجسد مسؤولية المملكة التاريخية تجاه أشقائها، ومواقفها الراسخة في نصرة قضاياهم.

اليمامة

الوطن

مجلس الوزراء برئاسة سمو ولي العهد..

المملكة تؤكد على ترسيخ الأمن والسلم في المنطقة.

وأس

رأس صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء -حفظه الله-، الجلسة التي عقدها مجلس الوزراء الثلاثاء في الرياض.

وفي بداية الجلسة؛ تناول مجلس الوزراء مضامين المحادثات التي جرت في الأيام الماضية بين المملكة العربية السعودية والدول الشقيقة والصديقة؛ لتعزيز آفاق التعاون الثنائي والمتعدد في شتى المجالات، ودعم كل ما من شأنه الإسهام بترسيخ ركائز الأمن والسلم في المنطقة، واستقرار أسواق الطاقة، وضمان سلامة الممرات البحرية وحرية الملاحة؛ بما يحافظ على انسيابية حركة التجارة العالمية وسلاسل الإمداد.

وأوضح معالي وزير الإعلام الأستاذ سلمان بن يوسف الدوسري، في بيانه لوكالة الأنباء السعودية عقب الجلسة، أن المجلس اطّلع إثر ذلك على مجمل أعمال الدولة وما تحقق لها من تقدم ونجاحات على مختلف الأصعدة رغم الظروف والتحولات المتوالية التي يشهدها العالم لا سيما في المحيط الإقليمي؛ ماضية -بعون الله وتوفيقه- نحو مواصلة تعزيز القدرات والإمكانات والتعامل مع المستجدات والتحديات للمحافظة على المكتسبات التنموية والمنجزات الوطنية، وعلى مكانة المملكة بين الأمم ودورها الفاعل إقليميًا ودوليًا.

واستعرض مجلس الوزراء مستجدات الاقتصاد الوطني وما أظهره من مرونة في التكيف مع مختلف الظروف؛ مستندًا إلى ما تحقق من تقدم في تنويع مصادر النمو ضمن إطار (رؤية السعودية 2030) والإصلاحات التي أسهمت في مواصلة ازدهار الأنشطة غير النفطية، والاستمرار في احتواء معدل التضخم عند مستويات منخفضة، إضافة إلى دعم أوجه الاستثمار وتوسيع فرص القطاع الخاص، وقدرة المالية العامة على الاستجابة للمتغيرات، واستدامة الإنفاق على الخدمات الأساسية والمشاريع التنموية.

السماح لمكاتب المحاماة الأجنبية بتأسيس شركات مهنية وفق ضوابط محددة

ونوّه المجلس بالإنجازات المتواصلة التي تسجلها المملكة في مختلف المؤشرات الدولية، وبما حققته من مراتب عالمية متقدمة في عدد من المحاور والمعايير المرتبطة بالذكاء الاصطناعي وفق تصنيف التنافسية الرقمية والذكاء الاصطناعي العالمي الصادر عن المعهد الدولي للتنمية الإدارية؛ لتعكس تلك النتائج جهود المنظومة الوطنية للبيانات في تنمية القدرات وتحفيز الاستثمارات وتطوير الأطر التنظيمية.

وعدّ المجلس انتخاب المملكة عضوًا في مجلس الاتحاد الدولي للاتصالات؛ امتدادًا لدورها في تطوير قطاع الاتصالات والفضاء والتقنية، والإسهام في قيادة التحولات الرقمية على المستوى العالمي؛ لبناء آفاق واسعة في خدمة الإنسان وروافد التنمية ومجالات الابتكار والذكاء الاصطناعي.

واطّلع مجلس الوزراء على الموضوعات المدرجة على جدول أعماله، من بينها موضوعات اشترك مجلس الشورى في دراستها، كما اطّلع على ما انتهى إليه كل من مجلسي الشؤون السياسية والأمنية، والشؤون الاقتصادية والتنمية، واللجنة العامة لمجلس الوزراء، وهيئة الخبراء بمجلس الوزراء في شأنها، وقد انتهى المجلس إلى ما يلي:

أولًا:

تفويض صاحب السمو الملكي وزير الطاقة -أو من ينيبه- بالتباحث مع الوكالة الدولية للطاقة المتجددة في شأن مشروع مذكرة تفاهم بين وزارة الطاقة في المملكة العربية السعودية والوكالة للتعاون في مجال الطاقة المتجددة، والتوقيع عليه.

ثانيًا:

الموافقة على مذكرة تفاهم بين وزارة الطاقة في المملكة العربية السعودية ووزارة الموارد الطبيعية في كندا للتعاون في مجال الطاقة.

ثالثًا:

تفويض صاحب السمو الملكي رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز -أو من ينيبه - بالتباحث مع الجانب الأذربيجاني في شأن مشروع مذكرة تفاهم للتعاون في المجال العلمي بين الدارة ومعهد المخطوطات التابع لأكاديمية العلوم الأذربيجانية الوطنية، والتوقيع عليه.

رابعًا:

تفويض معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد -أو من ينيبه- بالتباحث مع الجانب



الكونغولي في شأن مشروع مذكرة تفاهم في مجال الشؤون الإسلامية بين وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ووزارة العدل في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والتوقيع عليه.

خامسًا:

تفويض معالي وزير البيئة والمياه والزراعة رئيس مجلس إدارة الهيئة السعودية للمياه -أو من ينيبه- بالتباحث مع الجانب السنغافوري في شأن مشروع مذكرة تفاهم بين الهيئة ووكالة المياه الوطنية السنغافورية في مجال إدارة الموارد المائية المتكاملة، والتوقيع عليه.

سادسًا:

الموافقة على مذكرة تفاهم بين هيئة الرقابة ومكافحة الفساد في المملكة العربية السعودية وهيئة الجرائم المالية في جمهورية موريشيوس في مجال منع ومكافحة الفساد والجرائم ذات الصلة.

سابعًا:

الموافقة على مذكرتي تفاهم للتعاون في المجال الإذاعي والتلفزيوني بين هيئة الإذاعة والتلفزيون في المملكة العربية السعودية والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون في الجمهورية العربية السورية، والهيئة الوطنية للبث الإذاعي والتلفزيوني في جمهورية قيرغيزستان.

ثامنًا:

تعديل نظام المحاماة؛ بالسماح لمكتب المحاماة الأجنبي تأسيس شركة مهنية في المملكة وفقًا لعدد من الضوابط.

تاسعًا:

تطبيق قراري المجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورته (الحادية والأربعين) التي عُقدت في محافظة العلا المتضمنين الموافقة على الإطار العام الخليجي لخطة الصحة العامة للتأهب والاستجابة في حالات الطوارئ، وعلى دليل نظام الإنذار الصحي المبكر.

عاشرًا:

اعتماد الحسابات الختامية للمعهد الوطني لأبحاث الصحة، وجامعتي: (الملك فيصل، والملك خالد)، لعامين ماليين سابقين.

حادي عشر:

التوجيه بما يلزم بشأن عدد من الموضوعات المدرجة على جدول أعمال مجلس الوزراء، من بينها تقارير سنوية لوزارة الصناعة والثروة المعدنية، ووزارة الخارجية، وهيئة المحتوى المحلي والمشتريات الحكومية، والهيئة العامة لعقارات الدولة، وهيئة الحكومة الرقمية، والهيئة العامة لتنظيم الإعلام، والهيئة العامة للطيران المدني، وهيئة التأمين، ومؤسسة تطوير جزيرة دارين وتاروت، ومجلس المخاطر الوطنية.

ثاني عشر:

الموافقة على ترقيات وتعيين بالمرتبتين (الخامسة عشرة) و(الرابعة عشرة)، ووظيفتي (سفير) و(وزير مفوض)، وذلك على النحو الآتي:

- ترقية عبدالله بن عبدالعزيز آل خثلان إلى وظيفة (مستشار أول إستراتيجيات) بالمرتبة (الخامسة عشرة) في وزارة الداخلية.
- تعيين الدكتور/ صالح بن حميد الجهني على وظيفة (وكيل إمارة منطقة) بالمرتبة (الخامسة عشرة) في إمارة منطقة المدينة المنورة.
- ترقية سعود بن مشبب آل مساعد إلى وظيفة (سفير) في وزارة الخارجية.
- ترقية خالد بن حماد الشمري إلى وظيفة (سفير) في وزارة الخارجية.
- ترقية خالد بن محمد الغفيلي إلى وظيفة (مستشار مالي أول) بالمرتبة (الخامسة عشرة) في وزارة المالية.
- ترقية رياض بن فهد بن نصار إلى وظيفة (مدير عام) بالمرتبة (الرابعة عشرة) في وزارة الحرس الوطني.
- ترقية سعد بن محمد المحسن إلى وظيفة (مدير عام) بالمرتبة (الرابعة عشرة) في وزارة الحرس الوطني.
- ترقية الدكتور/ سليمان بن سليمان الغربي إلى وظيفة (وزير مفوض) في وزارة الخارجية.
- ترقية عبدالعزيز بن عيضة الجعيد إلى وظيفة (وزير مفوض) في وزارة الخارجية.
- ترقية عبدالرحمن بن فهد المحبوب إلى وظيفة (مستشار مالي) بالمرتبة (الرابعة عشرة) في وزارة المالية.
- ترقية أحمد بن محمد آل مبشر إلى وظيفة (مستشار أعمال) بالمرتبة (الرابعة عشرة) في وزارة المالية.
- ترقية عابد بن بانـي الحربي إلى وظيفة (مدير عام) بالمرتبة (الرابعة عشرة) في أمانة العاصمة المقدسة.

الغـــلاف



مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربيـــة.

ستة أعوام من الريادة.

اليمامة- خاص

بعد ستة أعوام من الريادة اللغوية والعمل المؤسسي المتواصل، يدخل مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية عامه الســـابع بحراك علمي وميداني مكثف، تجلى في عقد أعمال مؤتمره السنوي الدولي، والمشاركة الفاعلة في مؤتمر ومعرض الحج بإطلاق «اختبار الحج والعمرة»، مواصلاً بذلك بناء مشـــروع علمي ومؤسسي يستهدف الارتقاء باللغة العربية، وتطوير أدواتها، وتوسيع حضورها في مجالات المعرفة والتقنية، ومواكبة التحولات التي يشهدها العالم.

ومنذ تأسيسه عام ٢٠٢٠، يعمل المجمع على تعزيز مكانة اللغة العربية محليًا وإقليميًا وعالميًا، وتوحيد المرجعية العلمية في شؤونها وعلومها، والإسهام في تحقيق مســـتهدفات برنامج تنمية القدرات البشرية، أحد برامج رؤية المملكة ٢٠٣٠. ويتجاوز هذا العمل حدود العناية باللغة في صورتها التقليدية، إلى بناء منظومة متكاملة تشمل تطوير أدواتها، ودعم البحث العلمي فيها، وتوسيع إنتاج المعرفة بها، وتعزيز استخدامها في المجالات العلمية والتقنية والثقافية والتعليمية.

ويعكس إنشاء المجمع اهتمام المملكة باللغة العربية بوصفها مكونًا أصيلًا من هويتها الوطنية وعمقها الحضاري والثقافي، وامتدادًا لدورها في خدمة لغة القرآن الكريم ونشرها. كما يجسد توجهًا مؤسسيًا نحو تنسيق الجهود المعنية باللغة، وتوفير أدوات علمية وتقنية تساعدها على التعامل مع التحديات المعاصرة، وفي مقدمتها التحولات المتسارعة في ميادين التقنية والبحث العلمي والإنتاج المعرفي.

تأسيس وطني برؤية عالمية

أُعلن عن إنشاء مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ضمن الاستراتيجية الوطنية للثقافة، التي أطلقها صاحب السمو الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود، وزير الثقافة، في مارس 2019، ثم صدرت موافقة مجلس الوزراء على تأسيس المجمع وتنظيمه في الأول من سبتمبر 2020، ليكون مرجعية علمية وطنية في اللغة العربية وعلومها، ويسهم في تعزيز مكانتها محليًا وإقليميًا وعالميًا.

وجاء تأسيس مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية استجابةً للحاجة إلى وجود مؤسسة وطنية تُعنى بخدمة اللغة العربية وتعزيز مكانتها محليًا وإقليميًا ودوليًا، وتنهض بمسؤولية تطوير السياسات والتخطيط اللغوي، وتنسيق الجهود المؤسسية في هذا المجال. كما يضطلع المجمع بتطوير البنية التقنية للغة العربية، من خلال الحوسبة اللغوية وتوظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي، إلى جانب تطوير تعليم العربية للناطقين بها وبغيرها، ونشرها، وتعزيز حضورها في المجالات العلمية والثقافية والمعرفية، بما يواكب التحولات المعاصرة ويفتح أمامها آفاقًا أوسع للمشاركة في إنتاج المعرفة.

ويتولى مجلس أمناء المجمع، برئاسة صاحب السمو الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود، وزير الثقافة، الإشراف على أعماله وتوجهاته الاستراتيجية، ويضم عشرة مختصين يُعيّنون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة. فيما يتولى الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي الأمانة العامة للمجمع منذ تأسيس المجمع، ويتابع تنفيذ استراتيجيته وبرامجه، وينسق أعمال قطاعاته المختلفة، ويعمل على تطوير شراكاته مع المؤسسات العلمية والثقافية والتقنية داخل المملكة وخارجها.



كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز التي تتصدر مواقع ومنصات المجمع

أربعة قطاعات لمنظومة واحدة

تنتظم أعمال المجمع في أربعة قطاعات رئيسة، هي: التخطيط والسياسة اللغوية، والحوسبة اللغوية، والبرامج الثقافية، والبرامج التعليمية. وتتكامل هذه القطاعات في تنفيذ مشروعات تجمع بين بناء المرجعية العلمية، وتطوير المصادر والأدوات الرقمية، وتعزيز حضور العربية في المجتمع، وتوسيع فرص تعلمها داخل المملكة وخارجها.

المشروعات الاستراتيجية

ويمتد عمل المجمع إلى عدد من المشروعات الاستراتيجية التي تعزز التخطيط اللغوي وتدعم اتخاذ القرار، من أبرزها مشروع السياسة الوطنية للغة العربية، الذي يتولى المجمع بناءه وتفعيله وتنسيق الجهود المؤسسية لتنفيذه، ومشروع منظومة السياسات اللغوية في الدول العربية، الذي يرصد السياسات اللغوية في الدول العربية الاثنتين والعشرين، ويوثقها ويحللها، بما يوفر رؤية علمية مقارنة لواقع التخطيط اللغوي في المنطقة. كما يعمل المجمع على إعداد تقرير حالة تعليم اللغة العربية لغة ثانية، الذي يشمل ثلاثين دولة وثلاثمائة مؤسسة تعليمية، ويقدم بيانات ومعرفة علمية تسهم في تشخيص واقع تعليم العربية، ورصد تحدياته، وتحديد احتياجاته.

وفي هذا السياق، اختتم المجمع مؤخرًا أعمال مؤتمره السنوي الدولي، الذي عُقد في أكتوبر 2026 تحت عنوان «اللغة العربية والثقافة: التداخلات والأبعاد»، بمشاركة أكثر من 55 باحثًا من 22 دولة، قدموا 44 ورقة علمية ضمن عشر جلسات تناولت ستة محاور رئيسة، شملت تداخل اللغة مع الهوية الثقافية، والتفاعل الحضاري، والإبداع المعرفي والفني، والثقافة الرقمية، والسياسات الثقافية،



وآفاق المستقبل الثقافي. وشهد المؤتمر حضور أكثر من 400 من المهتمين والمختصين.

ويعنى قطاع التخطيط والسياسة اللغوية ببناء المعايير والسياسات اللغوية وتطويرها وتفعيلها، وتعزيز مكانة العربية في المنظمات الدولية، وتوفير المعرفة العلمية التي تساعد المؤسسات على وضع سياساتها اللغوية. كما يعمل على تطوير أدوات قياس واقع اللغة العربية ومتابعة حضورها واستخداماتها، وتقديم بيانات تساعد الباحثين وصناع القرار على تحديد أولويات العمل.

ومن أبرز مشروعات هذا القطاع تطوير مؤشر للغة العربية، يستهدف تقديم قراءة كمية ونوعية لحالتها، ورصد أبرز القضايا والتحديات المرتبطة بها، من خلال مؤشرات وتقارير تساعد المؤسسات المعنية على فهم واقع اللغة ومتابعة تطورها في مجالات متعددة.

ويعمل المجمع كذلك على بناء قواعد بيانات متخصصة تشمل بيانات اللغة العربية والمحتوى العربي الرقمي والمبادرات اللغوية، بما يوفر مصادر معلومات تدعم التخطيط والسياسات، وتتيح تكوين صورة أكثر شمولًا عن واقع العربية واستخداماتها.

وفي مجال النشر العلمي، أصدر المجمع العديد من الكتب والدراسات والتقارير والأدلة العلمية المتخصصة، كما أصدر ست مجلات علمية محكمة، من بينها «مجلة اللسانيات العربية»، و«مجلة التخطيط والسياسة اللغوية»، و«مجلة تعليم العربية لغة ثانية»، و«مجلة اختبارات اللغة»، و«مجلة اللغويات الحاسوبية والمعالجة الآلية للغة العربية»، و«مجلة علوم اللغة العربية». وتمثل هذه الإصدارات مسارًا لدعم البحث العلمي، وإتاحة المعرفة المتخصصة، وتشجيع الباحثين على دراسة القضايا اللغوية وفق مناهج علمية حديثة.

ويمتد عمل القطاع إلى مساعدة المؤسسات على بناء سياساتها اللغوية، من خلال إعداد الأدلة والمعايير التي تعزز سلامة استخدام العربية في البيئات المؤسسية، وتفعيل التعاون مع الجهات العربية والدولية المعنية بالتخطيط اللغوي.

العربية في الفضاء الرقمي

يمثل قطاع الحوسبة اللغوية أحد أكثر مجالات عمل المجمع اتصالًا بالتحولات التقنية الراهنة؛ إذ يركز على تطوير الأدوات والتطبيقات التي تساعد على معالجة اللغة العربية آليًا وتحليلها وفهمها وإنتاجها، وبناء المصادر اللغوية الرقمية التي تتيح توظيف التقنيات الحديثة في خدمتها.

وتتزايد أهمية هذا المسار مع اتساع استخدام الذكاء الاصطناعي، وتنامي الاعتماد على التطبيقات الرقمية في مختلف مجالات الحياة؛ الأمر الذي يجعل حضور العربية في هذه التقنيات ضرورة معرفية وثقافية، تتصل بقدرتها على مواكبة التطور والمشاركة في إنتاج المعرفة.

وفي هذا السياق، دشّن المجمع «مركز ذكاء العربية» في أبريل 2024، ليكون مركزًا متخصصًا في المعالجة الآلية للغة العربية، ودعم الأبحاث والتطبيقات والقدرات التقنية، وإثراء المحتوى العربي في مجالات البيانات والذكاء الاصطناعي. ويضم المركز خمسة معامل متخصصة عالية السرعة، تتيح للباحثين والطلاب والمطورين العمل على تطبيقات وتقنيات تخدم العربية وتوسع إمكانات استخدامها.

كما يعمل المجمع بالتعاون مع الهيئة السعودية

للبيانات والذكاء الاصطناعي «سدايا» على مشروعات تسهم في إثراء المحتوى العربي وتطوير الأدوات الحاسوبية، في إطار توجه يستهدف تعزيز التكامل بين الخبرة اللغوية والقدرات التقنية.

ومن المشروعات المهمة في هذا القطاع «مدونة اللغة العربية المعاصرة»، التي تستهدف إنشاء قاعدة لغوية إلكترونية ترصد استعمالات العربية خلال المائة سنة الأخيرة، وتجمع نماذج متنوعة من نصوصها، بما يساعد على تحليل الظواهر اللغوية ودراسة تطورها، ويوفر أساسًا علميًا لبناء معجم معاصر يستند إلى الاستخدام الفعلي للغة.

ويرتبط بهذا المشروع العمل على «معجم اللغة العربية المعاصرة»، الذي يستهدف توثيق المفردات والمعاني والاستعمالات المعاصرة، وفق منهجية معجمية تستفيد من المدونات اللغوية والتقنيات الحاسوبية، وتستجيب للتحولات التي تشهدها المعرفة والمجتمع والتقنية.

وفي مجال الصناعة المعجمية الرقمية، أطلق المجمع منصة «سوار للمعاجم»، التي تتيح البحث في مجموعة من المعاجم المنشورة عبر منصة واحدة، كما توفر للمؤلفين إمكانية حوسبة معاجمهم ونشرها وتحديثها، والاستفادة من الأدوات اللغوية والحاسوبية التي تتيحها. وتضم المنصة معاجم متخصصة، منها معجم مصطلحات علوم هندسة الطيران والفضاء، والمعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية، ومعجم مصطلحات الإعلام، بما يعكس اهتمام المجمع بتطوير المصطلحات العربية في التخصصات العلمية والمهنية المختلفة.

وتندرج مبادرة «برمجان العربية» ضمن جهود تحفيز الابتكار التقني في خدمة اللغة، من خلال إتاحة بيئة تنافسية للمبرمجين والمطورين لتقديم حلول وتطبيقات تعالج التحديات المرتبطة بالحوسبة اللغوية، وتفتح المجال أمام أفكار جديدة في بناء المنصات والأدوات العربية.

حضور العربية في المجتمع

يمثل قطاع البرامج الثقافية الجانب الذي يصل عمل المجمع بالمجتمع، ويستهدف ترسيخ الهوية اللغوية وتعزيز مكانة العربية في نفوس أبنائها، من خلال مبادرات تجمع بين المعرفة والاحتفاء والإبداع، وتقدم اللغة في سياقات ثقافية واجتماعية متنوعة.

وتأتي «جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية» في مقدمة هذه المبادرات، بوصفها جائزة سنوية تحتفي بجهود الأفراد والمؤسسات في خدمة العربية، وتكرم الأعمال المتميزة في أربعة فروع رئيسة: تعليم اللغة العربية وتعلمها، وحوسبة اللغة العربية وخدمتها بالتقنيات الحديثة، والبحث العلمي والدراسات اللغوية، ونشر الوعي اللغوي وإبداع المبادرات المجتمعية. وتسعى الجائزة إلى تحفيز التنافس العلمي والثقافي، وإبراز التجارب التي تقدم قيمة مضافة في مجالات خدمة اللغة.

ومن المبادرات التي تعنى بالتراث الشعري «خوالد الشعرية»، وهي منصة صوتية تستهدف تسجيل ألف قصيدة مختارة من عيون الشعر العربي القديم،



وإتاحتها في محتوى صوتي ييسر الاستماع إليها والتفاعل معها، ويعيد تقديم هذا التراث في صورة تستفيد من الوسائط الحديثة.

كما ينظم المجمع معرض اللغة العربية، ويشارك في معارض الكتاب والفعاليات الثقافية، ويقدم محتوى تعريفيًا وفنيًا يقرب اللغة من مختلف فئات المجتمع، ويتيح التعرف على جمالياتها وتاريخها وثراء مفرداتها.

وفي السياق ذاته، تأتي مبادرة «حرف» الموجهة إلى الطلاب غير العرب الناطقين بالعربية، لتشجيعهم على التعبير بها وتنمية قدراتهم اللغوية والإبداعية، من خلال مجالات متنوعة تشمل الحصيلة المعجمية، واللغة والتقنية، والبحوث العلمية، والتواصل الثقافي.

ويعمل المجمع كذلك على التعريف بالعلماء السعوديين المتخصصين في اللغة العربية وعلومها، وإبراز سيرهم العلمية ومؤلفاتهم وإسهاماتهم، بما يسهم في توثيق جهودهم وإبراز حضور المدرسة اللغوية السعودية.

وفي سياق تعزيز الاعتزاز باللغة العربية، حصد المجمع جائزة الشارقة للاتصال الحكومي لعام 2025، عن فئة «أفضل حملات تعزيز الهوية الثقافية واللغة العربية»، وذلك عن حملته الاتصالية «نفخر بها»، التي تستهدف ترسيخ الاعتزاز باللغة وتعزيز حضورها في الوعي المجتمعي. وتبرز هذه الجائزة أهمية توظيف أدوات الاتصال الحديثة في تقديم القضايا اللغوية والثقافية وتوسيع دائرة التفاعل معها.

تعليم العربية.. من المملكة إلى العالم

يحتل تعليم اللغة العربية موقعًا رئيسًا في استراتيجية المجمع، من خلال قطاع البرامج التعليمية الذي يعمل على تطوير المناهج والأدوات التعليمية، وتأهيل المعلمين، وتوسيع فرص تعلم العربية للناطقين بها وللناطقين بغيرها.

وتتجه أعمال هذا القطاع إلى تطوير برامج تستجيب لاختلاف مستويات المتعلمين وأغراضهم، وتوفير أدوات لقياس الكفايات اللغوية، إلى جانب بناء شراكات مع المؤسسات التعليمية والجهات المعنية باللغة العربية في مختلف دول العالم.

ومن أبرز مشروعات هذا القطاع اختبار «همزة»، الذي يستهدف قياس كفايات اللغة العربية لدى الناطقين بغيرها لأغراض أكاديمية، من خلال اختبار محوسب مقنن يعتمد الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات، ويوفر الاختبار أداة معيارية تساعد المؤسسات التعليمية على تقييم مستوى المتعلمين، وتتيح للدارسين التعرف على كفاياتهم اللغوية وفق معايير محددة، بما يعزز موثوقية تقييم اللغة العربية في السياقات الأكاديمية.

وفي إطار توسيع استخدام العربية في المجالات المرتبطة بالحج والعمرة، أطلق المجمع «اختبار الحج والعمرة»، ويستهدف الاختبار قياس القدرة اللغوية لدى الحجاج والمعتمرين في مواقف مرتبطة بالحج والعمرة.

وأوضح الأمين العام للمجمع الدكتور عبدالله بن صالح الوشمي، أن تطوير الاختبارات اللغوية للأغراض الخاصة يراعي تنوّع حاجات المستفيدين ومجالات استعمال العربية، مشيرًا إلى أن المجمع



يستثمر خبرته في بناء اختبارات لغوية متخصصة لتقديم أدوات قياس تراعي أغراض استعمال العربية.

وكشف الوشمي أن اختبار الحج والعمرة يُكمل الموارد التعليمية التي يقدمها المجمع في هذا المجال؛ إذ يتيح للحجاج والمعتمرين التعرف على مستوى قدرتهم اللغوية في المواقف التواصلية المرتبطة برحلتهم.

ويقيس الاختبار مهارتي القراءة والتواصل الوظيفي ضمن سياقات الحج والعمرة، ويُقدّم رقميًا عبر منصة "أهلًا وسهلًا" في موقع المجمع.

ويأتي إطلاق الاختبار ضمن جهود المجمع لتعزيز حضور اللغة العربية في منظومة الحج والعمرة، وتقديم موارد وأدوات لغوية تخدم ضيوف الرحمن، وامتدادًا لعمله في بناء اختبارات كفاية

اللغة العربية وتطبيقها، بما يواكب مستهدفات رؤية السعودية 2030، ويسهم في تحقيق أهداف برنامج تنمية القدرات البشرية.

ويبذل المجمع جهودا كبيرة في تنمية المهارات اللغوية ومن أبرز هذه الجهود إقامة الدبلوم العالي في التصحيح اللغوي، والعديد من البرامج التدريبية المتخصصة.

وتشمل هذه البرامج مسارات تتصل بالأغراض السياحية والثقافية والدبلوماسية، وتجمع بين التعلم اللغوي والتعرف على الثقافة السعودية، بما يمنح الدارسين تجربة تتجاوز الفصول الدراسية إلى التواصل مع المجتمع ومكوناته الثقافية.

ويمتد اهتمام المجمع إلى إعداد معلمي العربية للناطقين بغيرها، من خلال الدورات التدريبية المتخصصة في تصميم المناهج والتخطيط اللغوي وصناعة المعاجم واختبارات اللغة واكتسابها وتعليمها، فضلًا عن تطوير الأدوات والوسائل التي تدعم العملية التعليمية.

العربية.. حضور يتجاوز الحدود

يتجاوز عمل المجمع حدود المبادرات المحلية إلى بناء شراكات وتعاون مع المؤسسات والمنظمات الدولية، بما يعزز حضور العربية في المحافل العالمية، ويدعم استخدامها في مجالات الثقافة والتعليم والبحث العلمي.

ومن أبرز المنظمات الدولية الكبرى التي نفذ المجمع فيها برامجه: الأمم المتحدة في مقريها بنيويورك وجنيف، جامعة الدول العربية، رابطة العالم الإسلامي، الألكسو، الإيسيسكو، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية.

وقد شهدت هذه الجهود تنظيم فعاليات دولية للاحتفاء باللغة العربية والتعريف بمكانتها بوصفها لغة للتواصل الحضاري والمعرفة، إلى جانب التعاون مع المنظمات المعنية بالثقافة والتعليم، وتطوير برامج تستهدف توسيع انتشار العربية في المجتمعات غير الناطقة بها.

ومن بين هذه الجهود برنامج شهر اللغة العربية في العديد من الدول، ومن بينها جمهورية الصين الشعبية، الذي أقيم في مدينتي بكين وشنغهاي، في إطار تعزيز التواصل الثقافي وتعريف الجمهور الصيني باللغة العربية ومكانتها الحضارية، وفي ذات السياق اختتم المجمع أعمال برنامج "شهر اللغة العربية" في كازاخستان، الذي أقيم في اطار مشروع المجمع الهادف الى دعم اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها، بما يعزز استخدام العربية في المحافل الدولية ويدعم حضورها في المؤسسات والمنظمات متعددة اللغات.

كما يعمل المجمع على تطوير التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو» في مجال بناء السياسات اللغوية، ودعم حضور العربية في المنظمات الدولية، وتبادل الخبرات والممارسات ذات الصلة بالتخطيط اللغوي.

ويمتد التعاون كذلك إلى المملكة الأردنية الهاشمية، حيث وقع المجمع مذكرة تفاهم مع نظيره الأردني لتعزيز التعاون بين الجانبين في خدمة اللغة العربية وعلومها ووضع اطار للعمل المشترك يتيح تبادل الخبرات وتكامل الإمكانات بين المجمعين.



وتعكس هذه الجهود اتساع مجالات عمل المجمع، التي لم تعد تقتصر على العناية بسلامة اللغة وتوثيق تراثها، وإنما امتدت إلى تطوير أدواتها الرقمية، وبناء مصادرها المعرفية، وتعزيز استخدامها في التعليم والبحث ومختلف مناحي الحياة؛ مواكبةً بذلك التحولات المتسارعة في ميادين المعرفة والتقنية، وما تفرضه من متطلبات جديدة على اللغات الحية، في امتدادٍ لمساعي المجمع الرامية إلى جعل العربية لغة حاضرة في النقاشات العلمية والثقافية الدولية، وقادرة على التعبير عن قضايا العصر والمشاركة في إنتاج المعرفة وتداولها.

الغلاف

جولة في مجمّع الملك سلمان العالمي للغة العربية..

مؤسسة عالمية تجمع بين أصالة البحث العلمي والانفتاح التقني.





حامد بن عقيل

جاءت زيارتي الأولى لمجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ضمن مجموعة من المثقفين ممن شاركوا في حفل توزيع جوائز الدورة الأولى لجمعية الأدب المهنية في الرياض يوم الخميس الموافق للخامس عشر من أكتوبر 2026م، ولئن كان حفل الجائزة ينعقد في الفترة المسائية في مركز الملك فهد الثقافي، فإن زيارة المجمّع كانت في الفترة الصباحية، إذ كان من المقرر للزيارة أن تتم بين العاشرة صباحا وتمتد إلى ساعة ونصف، لكنها امتدت لساعة إضافية، في جو من الود والحفاوة من قبل الأمين العام للمجمع الدكتور عبدالله الوشمي، وفريق العمل المحيط به والمتنوع الخبرات، والذين تجمعهم محبتان؛ حب الوطن، وحب اللغة العربية. كما تميزهم سمة مشتركة واحدة ممثلة في تأهيل كل واحد منهم في مجاله وقدرتهم على تحويل الطموح إلى واقع مدهش.

بدأت جولتنا بنبذة تعريفية، قدمها الدكتور الوشمي، حول الجهود المؤسسية والعلمية التي تبذلها المملكة العربية السعودية لخدمة اللغة العربية، والمحافظة على مكانتها، وتعزيز حضورها في المجالات العلمية والثقافية والتقنية، ودور المجمع في إبراز هذه الجهود بوصفه أحد أهم هذه المؤسسات الوطنية المتخصصة التي تسعى إلى توثيق وتطوير آليات تناول المجمعات اللغوية للغة العربية في زمن التقنية والانفتاح المعرفي، وتوسيع استخدامها محليًا وعالميًا، بما يتوافق مع مستهدفات رؤية المملكة 2030.

ويمكن لأي زائر أن يتعرف، خلال تجواله في المجمع، على مجالات عمله، والتي تنتظم في أربعة مسارات رئيسة، هي: التخطيط



والسياسات اللغوية، والحوسبة اللغوية، والبرامج التعليمية، والبرامج الثقافية. وهي المعرفة التي لن تكون عشوائية، بل المعرفة الممنهجة المقصودة عبر جولة تشبه خارطة ذهنية مرسومة على أرضية قاعات وممرات ومرافق المجمع، يمر بها الزائر فيستوعب مجالات عمل المجمع مع كافة الفئات: الأطفال والناشئة والبالغين، وكذلك الناطقين بالعربية وغير الناطقين. كما سيدهش الزائر ما يجده من توظيف تقني فائق التطور في توثيق التراث العربي منذ ما قبل عصر الإسلام وخاصة في الجزيرة العربية، وما يبذله المجمع من جهود في توثيق اللهجات في كافة مناطق المملكة، وتتبع مفرداتها واختلافاتها من منطقة إلى أخرى، وتوثيقها صوتيا.

ولعل جهود المجمّع الكثيرة يصعب الإلمام بها في مقالة واحدة ولو بالإشارة إلى العناوين العريضة لخطط وسياسات ومعاجم وإصدارات المجمّع، إلا أن اهتمام مجمّع الملك سلمان العالمي للغة العربية بتوظيف التقنيات والذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية في معالجة اللغة العربية سواء بالتفاعل المباشر أو البحث أو الأرشفة والحفظ تُعد من أبرز سمات المجمّع التي عمد فيها إلى توفير الموارد والبيانات اللغوية، وتطوير الأدوات التي تساعد على تحليل النصوص وفهمها ومعالجتها آليًا، بل وشارك المتلقين في اقتراح وتطوير البرامج، وعمل، ويعمل، على إيجاد ذكاء اصطناعي ذي موثوقية علمية فيما يتعلق باللغة العربية، كما قطع مسافات طويلة وقفز قفزات خلال عمره القصير حين يتعلق الأمر بإنشاء مركز ذكاء العربية، الذي يدعم الباحثين والمطورين في مجال المعالجة الآلية للغة العربية، ويسهم في إنتاج الأدوات والبرامج والبيانات اللغوية. كل هذا في ظل وعي كبير لدى الأمين العام للمجمع والعاملين فيه بأهمية العمل المستمر على تطوير التطبيقات التي تساعد على تعزيز حضور العربية في البيئة الرقمية، وتمكينها من مواكبة التطورات المتسارعة في كافة المجالات التقنية وخاصة في مجال الذكاء الاصطناعي.

هذا العجالة التي أحاول فيها نقل اليسير مما شاهدت في تلك الزيارة، ليست أكثر من تلويحة تريد أن تلفت الانتباه إلى ما لا يمكن الإحاطة به إلا من خلال الزيارة الفعلية، فالجهود تفوق التوقعات، والمنجز يتجاوز المستهدفات بخطوات، والوعي باللغة العربية، ونشر ثقافتها، وإبراز قيمتها الحضارية والتاريخية. تلك الجهود التي يسعى المجمّع إلى تكريسها ونشر ما أنجزته في شكل عمل مستمر دائب لا يتوقف، من خلال تنظيم المؤتمرات والندوات والفعاليات والمسابقات، وإقامة المعارض والبرامج الموجهة إلى مختلف فئات المجتمع، ولا سيما الأطفال والطلاب. ومن أبرز مبادراته شهر اللغة العربية، وجائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ومعرض اللغة العربية للطفل، إلى جانب البرامج التي تشجع على القراءة والإلقاء والكتابة والإبداع باللغة العربية. والكثير مما لا بد للقارئ الكريم أن يختبره بنفسه، وأن يسعى كل مسؤول عن مؤسسة تربوية وتعليمية إلى تنظيم زيارات لمنسوبيه إلى صرح مجمّع الملك سلمان العالمي للغة العربية ليتاح لهم التعرف بصورة مباشرة على طبيعة العمل المؤسسي المتخصص في خدمة اللغة العربية، وعلى التكامل بين الجوانب البحثية والتعليمية والثقافية والتقنية، وعلى تنوع المشروعات التي ينفذها المجمع، بدءًا من وضع السياسات والمعايير اللغوية، مرورًا بإعداد المعاجم والمدونات، وانتهاءً بتطوير المنصات الرقمية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، واستمرار جهود المحافظة على اللغة العربية وصون تراثها، لتشمل تطوير أدواتها وتوسيع مجالات استخدامها، لتظل العربية لغة حاضرة في ميادين العلم والمعرفة والتكنولوجيا، ومواكبة للمستقبل ومستجداته التقنية التي لا تتوقف، والتي لا يرى فيها القائمون على إدارة المجمّع تحديا، بل فرصة لمزيد من العمل والإبداع والتميز.



عين

النار..

بين المحرقة والمنارة.



عبدالله بن محمد الوابلي

@awably

منذ أن عرف الإنسان النار، لم تعد حياته كما كانت. كان اكتشافها واحدًا من تلك المنعطفات التي لا تغير أداة في يد الإنسان فحسب، بل تغير الإنسان نفسه. بها واجه البرد، وبدد ظلمة الليل، وأنضج طعامه، وأبعد عنه الوحوش، ثم تعلم أن يصهر بها المعادن، وأن يشكل الحديد، وأن يبني ويصنع وينتج. ومع امتداد رحلة الحضارة، دخلت النار المصنع، وحركت الآلة، وأسهمت في إنتاج الطاقة، وأصبحت، بمعناها المباشر أو بما تولده من حرارة، شريكًا في كثير مما صنع رفاه الإنسان.

لكن اليد نفسها التي مدت كفيها إلى النار طلبًا للدفء، تعلمت أن تمد إليها جسد إنسان آخر. وهنا تبدأ مفارقة النار. فالنار التي أضاءت للإنسان طريقه، أضاءت أيضًا مشهد محرقته. والتي صهرت الحديد ليصنع منه أدوات الحياة، سخنت أدوات التعذيب. والتي اجتمع حولها البشر طلبًا للدفء، اجتمعوا حولها في أزمنة أخرى ليتفرج بعضهم على إنسان يحترق لأنه قال كلمة، أو اعتنق فكرة، أو رفض أن يبيع ضميره. فهل النار أداة سعادة أم أداة شقاء؟ لعلها الاثنان معًا، أو لعل السؤال نفسه يحتاج إلى تصحيح. فالنار في ذاتها ليست رحيمة ولا قاسية، لا تعرف الضحية ولا الجلاد، ولا تميز بين كتاب يحترق في مدفأة وجسد يُلقى في محرقة. الأخلاق ليست في النار، بل في اليد التي تشعلها، وفي العقل الذي يقرر أين يضعها، وفي الضمير الذي يحدد لماذا أوقدها.

قرأت النار مرارًا وتكرارًا، لا باعتبارها عنصرًا من عناصر الطبيعة، وإنما بوصفها واحدة من أقسى الأدوات التي استخدمها الإنسان عندما قرر أن يعاقب إنسانًا آخر على ما يدور داخل رأسه. وكان هناك سؤال أخلاقي أكبر: كيف تحولت النار من أداة مكّنت الإنسان من بناء الحضارة إلى وسيلة استخدمها الإنسان نفسه لمعاقبة حرية الاعتقاد؟ والأشد مفارقة أن المحرقة لم تكن دائمًا انتصارًا لمن أشعلها. فالنار تستطيع الوصول إلى الجسد، لكنها لا تعرف الطريق إلى الفكرة. تستطيع إحراق الورق، لكنها لا تستطيع أن تضمن احتراق المعنى. تستطيع أن تحول الجسد إلى رماد، لكنها قد تعجز عن تحويل صاحبه إلى نسيان.

ظن الجلادون عبر التاريخ أن الفكرة تسكن الجسد بالطريقة التي يسكن بها القلب والصدر، فإذا تخلصوا من الجسد ظنوا أنهم تخلصوا مما كان في الرأس. لكنهم يكتشفون، أحيانًا بعد فوات الأوان، أن إحراق صاحب الفكرة قد يكون أفضل وسيلة لمنح فكرته

عمرًا أطول. بل إن الكلمة قد تفعل شيئًا أكثر غرابة: تدخل النار ثم تخرج منها وقد ازدادت حياة. فالكتاب الذي يُحرق قد يصبح مطلوبًا أكثر، والكاتب الذي يراد إسكات صوته قد تتناقله أجيال لم تولد حين مات. فالكلمة التي تُلقى في النار قد تعيش قرونًا إذا وجدت من يعيد قراءتها بعين أكثر هدوءً واعتدالا. وكأن النار، من حيث لا تريد، قد تتحول من أداة للإفناء إلى أداة للخلود.

لكن المشكلة ليست في النار. إنها في الإنسان. فالإنسان هو الكائن العجيب الذي يستطيع أن يبني المكتبة ويحرق صاحبها، وأن يكتب عن الرحمة ثم يقيم المشنقة باسمها، والنار أفضل شاهد على هذه الازدواجية. ففي طرف من المشهد، هناك فرن يخبز رغيفًا لطفل جائع، وفي الطرف الآخر محرقة تلتهم جسد إنسان. هنا مصنع تصهر ناره المعدن لتخرج منه آلة تخدم البشر، وهناك نار يراد بها إسكات عقل رفض الطاعة. هنا شعلة تبدد الظلام، وهناك لهب يراد له أن يطفئ كلمة. النار واحدة، والإنسان هو المتغير. ولذلك فإن تاريخ النار يمكن أن يُقرأ، بطريقة ما، بوصفه تاريخًا مختصرًا للإنسان نفسه: كلما ارتقى بضميره جعل النار خادمة للحياة، وكلما انحدر بإنسانيته جعل الحياة وقودًا للنار.

ونحن نستعيد تاريخ المحارق، وجدنا للنار وجهًا آخر لا ينبغي أن ننساه. فلولا أن الإنسان روّض النار، لكانت رحلة الحضارة مختلفة تمامًا. فمن الموقد البدائي إلى أفران الصناعة، ومن صهر المعادن إلى توليد الطاقة، ظلت الحرارة في قلب تحولات كبرى صنعت عالم الإنسان. لقد جعل منها العقل البشري قوة للإنتاج، والبناء، والدفء، والإنارة. الذي تغير هو مقصد الإنسان. حين وضعها تحت القدر صنعت له طعامًا. وحين وضعها في الفرن صنعت له خبزًا. وحين أدخلها المصنع ساعدته على صنع أدواته. وحين جعلها في خدمة الطاقة أنارت له مدنه. وحين نصبها فوق منارات على السواحل أشارت إلى الاتجاه الصحيح للسفن. لكنه حين وضع فوقها إنسانًا، لم تكشف النار وحشيتها، بل كشفت وحشيته هو. وهذا الفارق بالغ الأهمية، لأننا كثيرًا ما ننسب الشر إلى الأدوات وننسى أن الإنسان هو صانع القرار. السكين قد تشق صدر مريض لتنقذه، وقد تشق صدر بريء فتقتله. والدواء قد يكون حياة بجرعته الصحيحة، وسمًا إذا أسيء استخدامه. والعلم نفسه يستطيع أن يداوي وأن يدمر. وكذلك النار. إنها لا تختار بين الموقد والمحرقة، نحن الذين نختار.

ومن هنا ربما يمكن إعادة قراءة تاريخ الحضارة بمعيار مختلف: ليست الحضارة مقدار ما يملكه الإنسان من قوة، بل مقدار ما يملكه من ضمير وهو يستخدم تلك القوة. فالتقدم لا يعني أن نصنع نارًا أشد حرارة، وإنما أن نمتلك من الوعي ما يمنعنا من أن نضع فيها إنسانًا. وكم من كتاب أُريد له أن يختفي، فصار إحراقه جزءً من أسباب بقائه؟ وكم من فكرة ظن مضطهدوها أنهم دفنوها مع جسد صاحبها، ثم اكتشف التاريخ أن الجسد ذهب وبقي السؤال؟ إن النار تلتهم، نعم، لكنها لا تملك سلطة على الذاكرة. ولهذا لا تبدو المسافة بين النار التي تنير والنار التي تحرق مسافة فيزيائية، بل أخلاقية. قد تكون الشعلة نفسها، والحرارة نفسها، والاحتراق نفسه، لكن في طرف يقف عقل يريد أن يصنع حياة، وفي الطرف الآخر يقف عقل يريد أن يلغي حياة. وبين الطرفين يقف الضمير. هو الذي يقرر إن كانت النار ستدخل بيت الإنسان لتمنحه الدفء، أم سيدخل الإنسان النار لأنه رفض أن يتخلى عن معتقده. وهو الذي يقرر إن كانت النار ستصهر الحديد لبناء جسر يصل بين البشر، أم ستلتهم جسد إنسان لأن فكرة في رأسه لم تعجب الآخرين. ولذلك، ربما لا تكون قصة النار قصة عنصر اكتشفه الإنسان ثم أخضعه، بقدر ما هي قصة امتحان مستمر للإنسان نفسه.

لقد نجحنا منذ زمن بعيد في ترويض النار. لكن السؤال الذي ظل مفتوحًا طوال التاريخ هو: هل نجحنا بالقدر نفسه في ترويض الإنسان الذي يمسك بالشعلة؟

المقال



د. زاهر عبدالرحمن عثمان

حمد العبدلي..

للصورة صوت!

اقترح علـــيَّ صديقٌ أن نذهب معًـــا لمقابلة من أشار إليه كمصوِّرٍ مبدع. لم أكن وقتها في حاجةٍ لمعرفة مصوِّر، ولا أذكر الآن سبب موافقتي دون تردُّدٍ وأنا المقلُّ في علاقاتـــي. ربما كانت لذلك الصَّديق الذي يغيب اسمه الآن رغم معروفه الذي أسدى، دالَّةً أو أسبابًا.

دلفنا إلى شقَّةٍ أنيقة في المنطقة المركزيَّة بحيِّ السَّفارات بالرياض. واســـتقبلنا المضيف بترحابٍ غير مصطنع حيال من يراه لأول مرَّة. كان انطباعي الأوَّل حذرًا أمـــا ذلك الذي بدا "متأمـــركًا" بزيِّه ولغته المكثرة من الإنجليزية، وبزوجته الأمريكية الجنسيَّة، وللأخيرة قصَّةٌ أخرى! ولم تمض لحظاتٌ إلاَّ والحديث ينتقل من موضوع إلى موضوع، بين جدٍّ وهـــزل، وبدَوْنا وكأنَّنا نعرف بعضنا منذ زمن. وغدونا نلتقي على تباعدٍ ولكن بمنتهى الود.

تلقَّيت اتصالاً ذات مســـاء عام 1418 (1997م)، من سمو الأمير ســـلطان بن ســـلمان، رئيس مؤسَّســـة التراث، في بدايات عملي مســـؤولاً عن المؤسَّسة، وبدايـــات عمل ســـموِّه على مشـــروعه على ترميـــم البيت الطيني بمزرعة العذيبات، الذي غدا عشـــقه، وأيقونة بدايات العناية بالتراث العمراني. كان ســـموُّه يتحدث عن الحاجة إلى توثيق العمل على البيت، وأنَّه نُصح بمصوِّرَين ســـعوديِّين للقيام بتلك المهمَّة؛ حمد العبدلي وصالح العزَّاز. قلت لســـموِّه أنِّي أعرف حمد، ولكن ليس مصوِّرًا، ولا أعرف صالحًا، وكانـــت الخطوة التالية لقاءهما لإيضاح نطاق العمـــل المطلوب لهما، وهو ما تمَّ في اليوم التالـــي. كان صالح يوحي بريادِيَّة حمد ويدفعه للحديث في التفاصيـــل الفنيَّة والماليَّة، وكان حمد يتفادى ذلك مؤثرًا التركيز على التصوير ومتعلَّقاته. ولم يكن صالح العزَّاز في تلك المرحلة بما أصبح فيما بعـــد، وكانت قيادة المهمَّة لحمد العبدلي بدءًا بتوقيع العقد، مع مؤسَّسته "عبدلي كروم الدوليَّة، للتصويـــر الفوتوغرافي والفنون الجميلة"، بحي السليمانيَّة. وكانت المؤسَّسة تعنى أيضًا بتجارة أجهزة ومعـــدات التصوير والبراويز والألبومات. واكتملـــت المهمَّة كأفضل ما يكون، ولكن في زمنٍ أطول من المتَّفق عليه، وذلك من حرصهما الذي لا يحســـن التعامل بشكل تجاري. وأصبحت صورهمـــا التوثيق الأدق للمرحلة الأولى من بيـــت العذيبات، وظهـــرت بعض الصور في الكتاب المهم الذي أصدرته مؤسَّسة التراث، Back to Earth، "العودة إلى الأرض" لوليام فيسي.

كان حمد، ربَّما من أوائـــل من صقلوا موهبتهم في التصوير دراسيًا، وأكمل ذلك بتطويرها بخبرته وعينه الثَّاقبة. لم ينجـــح حمد في عمله التجاري، لأنَّه لا يحســـن ذلك، ولقي نجاحًا هادئًا في مجاله الفني. وتم تكريمه في ملتقى «ألوان السعودية 2013»، كأحـــد روَّاد التصوير بالمملكة، بالحصول على جائزة الأمير ســـلطان بن ســـلمان للتصوير الفوتوغرافـــي. ونـــال حمد الكثير مـــن الجوائز المحليَّة والعربيَّة والدوليَّة، وشـــارك في تحكيم العديد من مسابقات التصوير ومنها المسابقة التي نظَّمتها جامعة الأمير سلطان عام 1432 (2011م)، وشارك فيها جمع من طلاب وطالبات الجامعة.



اســـتمرَّت العلاقة بحمد بقربٍ أشـــد. وظلَّلنا نلتقي بين حينٍ. وكان هو المفاجئ في الغالب بزيارةٍ خاطفةٍ يؤكد فيها وصال الود، ويشتكي وأشتكي، وألومه على ظلمه لنفسه. وظلَّ بلهجته والتأتأة المباغتة التي تبرمجتُ عليها، ولطفه المفرط، وطيبة قلبه، وضحكته التي تكاد تكون الشيء الوحيد الصَّاخب فيه، وعصبيَّته الهادئة، وسعوديَّته الأصيلة رغم زيِّه الغربي الذي لم يتركه إلاَّ في السنين الأخيرة من حياته. وبرغم ما فـــي النفوس، تخافتت اللقـــاءات والاتصالات، ولم تنقطع. من غريب ما يحدث، خطر حمد ببالي بشدَّة ذات ليلة، وأزمعت الاتصال به اليوم التالي. وبعـــد صلاة الجمعة جاءت رســـالةٌ موهِنة، ككلِّ رسائل الموت، من سمو الأمير سلطان بن سلمان: "توفِّي قبل قليـــل صديقنا المصوِّر حمد العبدلي في عنيزة، رحمه الله وأسكنه جنَّات النَّعيم".

لـــم يُجْدِ فزعي بآمالي إلى الكـــذب، وأرخى الخبر سدوله مع عمق الأسى وصرير الحزن، الذي تعرفه أكثر صوره التي سيظلُّ صوتها نابضًا.

المقال

حين يغيب العلم تقع الكارثة السياسية.

سلمان العنزي*

من يتابع الحروب التي توالت على العالم في السنوات الأخيرة، يلحظ أن كثيراً من القرارات الكبرى التي أشعلتها أو أطالت أمدها لم يكن ينقصها المعلومات ولا القدرات، بقدر ما كان ينقصها التقدير السليم لما ستؤول إليه الأمور. حدث ذلك في أوكرانيا، ثم في غزة، ثم في المواجهة الأخيرة مع إيران التي امتدت آثارها إلى دول مجلس التعاون الخليجي. وهو ما يعيد طرح سؤال قديم في دراسات الاستخبارات والعلاقات الدولية: كيف تُبنى التقديرات التي تقوم عليها قرارات الحرب والسلم؟ في تقديري أن جانباً كبيراً من الإجابة يكمن في إشراك العلوم الاجتماعية، والعلوم السياسية تحديداً، في عملية صنع القرار؛ فالتقدير السليم هو المدخل إلى الخيار الرشيد، ولا سبيل إليه إلا بمنهج علمي يُخضع الافتراضات للاختبار قبل البناء عليها.

بدأت القصة في فبراير 2022، عندما غزت روسيا أوكرانيا، وهي تعتقد أن كييف ستسقط في غضون أيام، فإذا بالحرب تدخل عامها الخامس، وقد كلّفت موسكو خسائر بشرية وعسكرية فادحة، وعقوبات اقتصادية غير مسبوقة، وعزلة عن العالم، بل دفعت فنلندا والسويد إلى الانضمام إلى حلف الناتو، وهو عكس ما سعت إليه حين أشعلت الحرب.

وبعد عام ونصف، تكرر النمط ذاته بصورة أشد مأساوية؛ ففي السابع من أكتوبر 2023 شنّت حماس هجوماً مفاجئاً على إسرائيل، أعقبته حرب كارثية على غزة، سرعان ما امتدت تداعياتها إلى المنطقة بأسرها، من اتساع المواجهة إلى جنوب لبنان، إلى تهديد الملاحة في البحر الأحمر، ثم المواجهات المباشرة بين إسرائيل وإيران، وصولاً إلى الحرب الأميركية على إيران دعماً لإسرائيل.

وتكرر النمط للمرة الثالثة في الحرب الأميركية على إيران في فبراير 2026؛ إذ تحملت دول مجلس التعاون الخليجي كلفة تقديرات لم تكن شريكة في صنعها، حين طالت الاعتداءات الإيرانية بالصواريخ والمسيّرات موانئ ومنشآت في عدد من دول المجلس، وسقط فيها ضحايا. وهو ما يطرح سؤالاً تحليلياً مشروعاً: هل قدّرت الولايات المتحدة تداعيات الحرب على دول الجوار بالدقة نفسها التي خططت بها لعملياتها العسكرية؟ وهذا السؤال لا يخص واشنطن وحدها؛ فإذا وضعناه إلى جانب ما جرى في أوكرانيا وغزة، سيقودنا إلى سؤال أعمق: لماذا تقع دول تمتلك أجهزة استخبارات متقدمة وموارد هائلة في الخطأ ذاته مرة بعد أخرى؟

والخلل في هذه الحالات جميعاً لم يكن في نقص المعلومات، فقد كانت متاحة، بل في غياب المنهج العلمي الذي يقرؤها. ذلك أن المعلومات لا تفسر نفسها، وإنما يفسرها عقل يحمل افتراضات، فإن لم تُخضع هذه الافتراضات للاختبار، صار المحلل يقرأ المعلومات بحثاً عما يؤكد قناعاته، لا عما يختبرها. وهذا ما يوثقه الباحث بيتر غريس في كتابه مفكرو الاستخبارات: علماء العلوم الاجتماعية وصناعة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، الصادر هذا العام.

يبدأ غريس تتبعه لهذه المعضلة من السنوات الأولى للحرب الباردة؛ ففي أقل من عام، بين 1949 و1950، أُخذت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية على حين غرة ثلاث مرات، الأولى حين أجرى

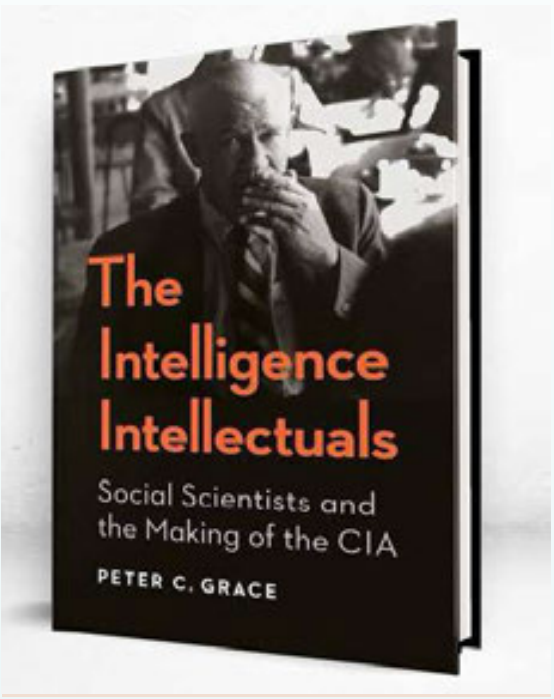
الاتحاد السوفيتي تجربته النووية الأولى، والثانية حين سقطت الصين في يد الشيوعيين، والأخيرة حين اندلعت الحرب الكورية. ثم يبيّن أن هذه الإخفاقات الثلاثة كان من أبرز أسبابها الخلل في منهجية التحليل؛ إذ كان محللو الوكالة يستنتجون سلوك موسكو من عقيدتها الشيوعية مباشرة، فيفترضون أنها ما دامت تسعى إلى الهيمنة على العالم، فستشن الحرب متى شعرت بتفوقها، وكانت تقديراتهم تطلق الأحكام دون أن تبرهن عليها، حتى فقد الرئيس ترومان والكونغرس الثقة بها.

وبلغت أزمة الثقة بتقديرات الوكالة ذروتها في أبريل 1950، حين وصفت أجهزة استخبارات الجيش والبحرية ووزارة الخارجية الأميركية أحد تقديرات الوكالة بأنه يمثّل خطراً على السياسة الوطنية إذا بُنيت عليها، عندها أصبح الإصلاح ضرورة. وبالطبع، إذا كان الداء في طريقة التفكير، فمن الطبيعي أن يأتي الدواء من الجامعات، حيث يتعلم الباحث كيف يفكر بمنهجية. ففي أكتوبر 1950 استعان المدير الجديد للوكالة، الجنرال والتر بيدل سميث، بأساتذة من جامعات هارفارد وييل ومعهد ماساتشوستس، في مقدمتهم المؤرخان ويليام لانغر وشيرمان كِنت، والاقتصادي ماكس ميليكان. ولم يحمل هؤلاء أدوات سحرية، بل طبقوا أساليب البحث العلمي: نقد المصادر قبل الأخذ بها، وطرح فرضيات متعددة قبل ترجيح إحداها، والتعبير عن درجة الثقة بمفردات منضبطة، والبدء بحصر ما يجهلونه قبل الادعاء بما يعرفونه، وهو ما سماه ميليكان حصر المجهولات.

وقد ظهرت ثمار هذا التحول سريعاً، في وقت كانت فيه واشنطن تخشى فعلاً اندلاع حرب شاملة مع الاتحاد السوفيتي. فقبل الإصلاح، كانت تقديرات الوكالة توحي بأن موسكو ستشن الحرب كلما ازدادت ثقتها بقوتها. أما بعده، فقد قدّر محللو الوكالة بدقة في ديسمبر 1950 أن موسكو ستترك للصين العبء الأكبر في الحرب الكورية، وتكتفي بإمدادها بالسلاح والخبراء. ثم صدر في أغسطس 1951 تقدير مفصّل عن نوايا الاتحاد السوفيتي، قسّم أهداف موسكو إلى أهداف صغيرة يمكن رصدها، وخلص إلى أنها تفضّل تحقيقها دون الدخول في حرب شاملة. وبهذه القراءة الهادئة، صار صانع القرار الأمريكي يتعامل مع الخطر السوفيتي بحجمه الحقيقي، لا بحجمه المتخيّل.

وكسبت تقديرات الوكالة في الوقت ذاته ثقة منافسيها؛ فالأجهزة نفسها التي طعنت في تقديراتها قبل الإصلاح، لم تسجّل عليها أي اعتراض طوال عام 1951.

وامتد هذا الأثر إلى ما بعد تلك المرحلة؛ فقد طُلب من الوكالة عام 1953 أن تستشرف ميزان القوى بين المعسكرين الغربي والشرقي حتى عام 1968، فخلصت إلى أن المعسكر السوفيتي قد يتآكل من الداخل مع مرور الوقت، إذا حافظ الغرب على قوته وتماسكه وتجنّب الحرب الشاملة، وهي قراءة يرى غريس أنها صمدت أمام الأحداث. وحين أعلن خروتشوف عام 1964 أن اقتصاد بلاده سيتجاوز الاقتصاد الأميركي، نشرت الوكالة تقديراتها، فقوبلت بالتشكيك أولاً، ثم اعتمدها الاقتصاديون الغربيون مرجعاً بعد عام واحد، وظلت تقديراتها للاقتصاد السوفيتي المرجع الرئيس في الغرب حتى عام 1990. ولذلك يخلص غريس إلى أن هذا الجيل من الباحثين أسهم في بناء مؤسسة كان لها دور في كسب الحرب الباردة.



لم تأتِ هذه النتائج من توظيف العلم وحده، بل من فكر إصلاحي آمن بأهميته، وأدرك أن السياسة لا تُدار بالحدس والخبرة، فأدخله في صلب صناعة القرار، ثم وجد علماء على قدر المسؤولية؛ فقد كان شيرمان كِنت يعلم أن كل تقدير يكتبه قد يُبنى عليه قرار حرب أو سلم، وبلغ به الشعور بهذه المسؤولية حدّاً دفعه إلى أن يكتب لأخيه عام 1951 رسالة يشكو فيها من أن هذا العبء يرافقه طوال

يومه في العمل، ولا يفارقه حتى في نومه. وعندما أخطأت الوكالة عام 1962 في استبعاد نشر صواريخ سوفيتية في كوبا، أقرّ كِنت صراحة بأنهم انحازوا إلى الجانب الخاطئ. فالمنهج العلمي لم يكن لدى هؤلاء ترفاً أكاديمياً، بل مسؤولية يدرك صاحبها أن خطأه قد يُدفع ثمنه أرواحاً؛ ولذلك لم يدّعوا العصمة، بل كانوا يعترفون بأخطائهم ويتعلمون منها.

وبغياب العلم عن مؤسسات صنع القرار يمكن أن نفسّر أسباب الأزمات الراهنة؛ فموسكو لم تخطئ في إحصاء القدرات العسكرية الأوكرانية، بل في قراءة العوامل غير المادية: تماسك مؤسسات الدولة الأوكرانية، وموقف مجتمعها من الحرب، وردّ فعل الغرب وحجم دعمه المتوقع. وهذه متغيرات لا تُقاس بعدد الدبابات، لكن العلوم السياسية تملك أدوات لقراءتها؛ فأدبياتها تشير منذ عقود إلى أن العدوان الخارجي يقوّي تماسك المجتمعات المستهدفة بدل أن يفككها، وأن الدول تميل إلى التكتل في مواجهة التهديد لا إلى الانصياع له. ولو قُرئ المشهد بهذا المنهج، لكان انضمام فنلندا والسويد إلى الناتو نتيجة متوقعة، لا مفاجأة.

وفي غزة، كشفت تحقيقات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في مارس 2025 أنها اطلعت منذ عام 2018 على خطة حماس لاقتحام إسرائيل من غزة، ثم على نسخة محدثة منها عام 2022، دون أن تعتبرها تهديداً واقعياً. وفي الساعات التي سبقت الهجوم، رصدت تفعيل خمس وأربعين شريحة هاتفية تدريجياً منذ مساء الخامس من أكتوبر، غير أن عناصرها استبعدوا دلالتها، لأن عدداً مماثلاً من الشرائح تفعّل في الفترة نفسها من العام السابق. وانتهى التحقيق الشامل للجيش الإسرائيلي إلى أن الذي حدث هو فشل مفاهيمي في فهم نوايا حماس؛ أي إن المعلومة كانت متاحة، غير أن التصور المسبق عن الخصم حال دون قراءتها قراءة صحيحة.

ولم يكن هذا الإخفاق سوى نتيجة لكارثة أكبر في السياسة الإسرائيلية نفسها، التي أقصت المنهج العلمي في تعاملها مع القضية الفلسطينية، فجعلتها ملفاً يمكن إدارته دون حله، وراهنت على شراء الهدوء في القطاع. وهو رهان تنقضه أدبيات العلوم السياسية التي تؤكد أن النزاعات المؤجلة لا تنطفئ، وأن إقليماً محاصراً يعيش وضع شبه الدولة، بلا سيادة ولا أفق سياسي، يتحول بمرور الوقت إلى مصدر دائم للأزمات. ومن هذا الافتراض الخاطئ تسرّب الخلل إلى أدق مستويات التقدير؛ فعناصر الأجهزة الأمنية لم تنقصهم الخبرة، بل إن خبرتهم ذاتها، أي ذاكرة العام السابق، هي التي بعثت فيهم الطمأنينة. أما المنهج العلمي فكان سيفرض عليهم سؤالاً مختلفاً: ما التفسيرات البديلة لهذا النشاط، وما الأدلة التي ترجح كلاً منها؟ وهذا ما تقدمه العلوم السياسية: نظريات مختبرة في سلوك الدول والجماعات، ومقارنات منهجية بين حالات متعددة، ومنهج يُلزم المحلل بالإفصاح عن فرضياته واختبارها، بدلاً من أن تحكمه تجربة واحدة عايشها. والمفارقة أن الولايات المتحدة، التي ساعدها هذا المنهج العلمي في مطلع الحرب الباردة على قراءة خصمها بهدوء في لحظة كانت تخشى فيها حرباً شاملة، تبدو اليوم أبعد ما تكون عنه. ويتجلى ذلك في حربها الحالية على إيران؛ إذ يلحظ عدد من المحللين أنها دخلتها دون أهداف معلنة ثابتة، ودون تحالف دولي واسع يسندها، وهو ما يعزز القراءة التي ترى أن قرار الحرب هو استجابة لأولويات إسرائيل الأمنية أكثر من مسألة استناده إلى تقدير مستقل لمصالح واشنطن ومصالح شركائها في المنطقة.

وتكشف هذه الشواهد مجتمعة أن العلم ليس ترفاً في صناعة السياسة الخارجية، بل شرط لسلامتها. ولكي يكون للعلم أثر حقيقي في القرار، لا بد من ثلاثة أمور، أولها، وجود صلة مؤسسية دائمة بين الباحثين في الجامعات ومراكز الأبحاث وبين مؤسسات صنع القرار. وثانيها، ضرورة إعداد محللين يتقنون المنهج، ويختبرون فرضياتهم قبل البناء عليها. وثالثها، ترسيخ ثقافة مؤسسية تشجع المحلل على مراجعة تقديراته وتصحيحها كلما ظهرت أدلة جديدة. وهذا بالضبط ما صنعته واشنطن في مطلع الحرب الباردة حين فتحت أبواب أجهزتها لأساتذة الجامعات، وما تخلّت عنه حين قدّمت حسابات أخرى على التقدير العلمي.

ورغم ذلك ستبقى السياسة الدولية مليئة بالمفاجآت، ولن تختفي منها مهما تطورت أدوات الرصد، غير أن المنهج العلمي يقلل من وقوعها، ويخفف من آثارها حين تقع. وأقول بشيء من الإحباط: لو قُرئت المؤشرات التي سبقت السابع من أكتوبر بمنهج علمي، لربما جُنّبت المنطقة ما تعانيه حتى اليوم؛ فالكوارث لا تبدأ دائماً حين تغيب المعلومة، بل حين يغيب المنهج العلمي في قراءتها.

* باحث في العلوم السياسية
Salanazias@gmail.com

فواتير الشرق الأوسط على طاولة أوكرانيا.



د. باسل الحاج جاسم*

@BaselHajJasem

في الوقت الذي تتجه فيه الأنظار نحو الشرق الأوسط مع تصاعد المواجهة الأميركية الإسرائيلية مع إيران، تظل الجبهة الشرقية لأوروبا تئن تحت وطأة الحرب الروسية الأوكرانية، ورغم تباعد المسافات وتمايز طبيعة الصراعين، إلا أن الجبهتين باتتا ترسمان معاً خريطة جديدة لموازين القوى العالمية.

إن الرابط الحقيقي بين أزمة الخليج العربي والحرب في أوكرانيا لا يتطلب إثبات وجود صفقات سرية بين القوى العظمى، إذ يكفي أن تنظر إلى أسواق النفط ومخازن السلاح ومراكز صنع القرار في واشنطن لترى كيف تُؤثر كل شرارة في الشرق الأوسط على حسابات الميدان الأوكراني، فالعالم اليوم أمام تقاطع استراتيجي، تتقاطع فيه أسعار الطاقة مع القدرات العسكرية والتحمل السياسي للدول.

أول المظاهر الجلية لهذا التشابك يتجلى في ملف الطاقة، فأي تهديد يتطرق لسلامة الملاحة عبر مضيق هرمز أو يعطل سيل الصادرات الخليجية يرسل

تداعيات فورية على أسواق النفط العالمية، وفي غضون ساعات، تجد أوروبا والولايات المتحدة نفسيهما أمام ضغوط إيجاد بدائل سريعة، مما ينعكس نفوذاً مضاعفاً لصالح الدول المنتجة، وعلى رأسها روسيا.

وتوفّر الموارد النفطية لروسيا متنفساً مالياً هائلاً يخفف من آثار العقوبات الغربية، في حين ترغم ارتفاعات الأسعار الإدارة الأميركية على إظهار مرونة أكبر في التعاطي مع الصادرات الروسية لضمان استقرار السوق، حتى وإن بدا ذلك متناقضاً مع أهدافها السياسية في أوكرانيا.

على الساحة العسكرية، يواجه المخطط الاستراتيجي في واشنطن اختباراً صعباً حول توزيع الإمكانيات. فالمواجهة المفتوحة مع إيران تبتلع قدرات لوجستية وتجهيزات حيوية، من دفاعات جوية وذخائر نوعية وإسناد استخباري، وهي موارد لا تملك واشنطن منها مخزوناً غير محدود.

ومن الطبيعي أن يستشعر المسؤولون في كييف الخطر، إذ يخشى الأوكرانيون أن تؤدي التكلفة المرتفعة للانخراط الأميركي في الشرق الأوسط إلى تراجع زخم الدعم العسكري، أو دفع واشنطن لفرض تسوية سياسية سريعة لا تلبي طموحات كييف الأمنية وتترك جروح الصراع مفتوحة.

بالنسبة لموسكو، تمثل الأزمات المتصاعدة في منطقة الخليج فرصة لالتقاط الأنفاس وإعادة ترتيب الأوراق، حيث تتيح حالة الانشغال الأميركي هامشاً أوسع للمناورة العسكرية والسياسية.

لكن هذه المعادلة لا تخلو من المخاطر بالنسبة للجانب الروسي، فعدم الاستقرار الشامل في الشرق الأوسط قد يجلب تداعيات غير محسوبة تضر بمصالح روسيا الإقليمية، خاصة وأن التحالف الراهن بين موسكو وطهران يخضع لمبدأ المصالح المتقاطعة وليس للتطابق الكامل.

أما العواصم الأوروبية، فتجد نفسها في موقف لا تحسد عليه، فالأمن القومي الأوروبي يظل مهدداً بشكل مباشر بتبعات الحرب على حدودها الشرقية، بينما تهدد أزمات الطاقة القادمة من الشرق الأوسط بالضغط على اقتصاداتها المجهدة أساساً، وتخشى أوروبا سيناريو تفاهمٍ أميركي-روسي يُبرم فوق رأس كييف دون تقديم ضمانات أمنية حقيقية وفعالة تضمن استقراراً مستداماً وتحدّ من احتمالات تجدد الصراع.

يبقى القول، التحدي أمام واشنطن لا يتعلق بمجرد إدارة أزمتين متزامنتين، بل بكيفية توزيع مواردها والحفاظ على التزاماتها تجاه حلفائها من دون فتح المجال أمام موسكو لتوسيع هامش تحركها في أوكرانيا، وبينما تفرض أزمات الطاقة والحسابات العسكرية قيوداً على القرار الأميركي، السؤال الذي يطرح نفسه في ظل هكذا واقع : هل تستطيع واشنطن منع انشغالها بالشرق الأوسط من تغيير ميزان القوى في أوروبا، أم أن تداعيات المواجهة ستدفع الجميع إلى إعادة حساباتهم، بما في ذلك كييف والعواصم الأوروبية؟

* مستشار سياسي

أعلام في الظل



محمد بن عبدالرزاق القشعمي

ترجمة الأعمال السعودية إلى الصينية (5)..

من المبادرات الفردية إلى مشروعات الترجمة.

بعد عودتي إلى المملكة، زرت برفقة الصديق الدكتور عبد اللطيف الحميد مركز البحوث والتواصل المعرفي بالرياض؛ لمعرفتي بدوره في التواصل المعرفي والثقافي بين المملكة والصين، وقابلنا مديره سعادة الدكتور يحيى بن جنيد، ونقلت له مشاهداتي وانطباعاتي بعد زيارتي إلى الصين، وذكرت له أنني زرت المكتبة العامة أو المركزية بمدينة (جوانزو) ولم أجد للكتاب السعودي أثراً في القسم العربي، كما ذكرت له مقابلتي مع سعادة القنصل السعودي في المدينة، وتمنيت أن يقوم المركز بتزويد المكتبة والقنصلية بمطبوعات سعودية لتوزيعها على المكتبات العامة في الصين. وقد رحّب الدكتور يحيى ووعد خيراً، ولم يكتف بذلك، بل أخذنا إلى مكتبة المركز وأطلعنا على جميع الأعمال السعودية المترجمة إلى اللغة الصينية، والأعمال الصينية المترجمة إلى العربية، واستطعت أن أحصل على بعض المطبوعات المهمة للمركز والخاصة بالموضوع، ومنها:

الصين في إسهامات المركز (1446هـ / 2024م).

اليوم الوطني الـ 95: «الرؤية والإبداع.. جسر من الرياض إلى بكين».

الصين: متابعات خارجية، العدد 18، سبتمبر 2023م، نشرة غير منتظمة.

الصين في الأدبيات العربية، د. أمين سليمان سيدو (1441هـ / 2020م).

مجلة مكاشفات: إسهامات المملكة في النشر عن الصين، مجلة علمية جديدة، 2025م.

تطور الترجمات الصينية للأعمال السعودية حتى فبراير 2026م، إعداد: د. لي شيجيون (لطيف).

اطّلعت على تلك الأعمال، ووجدت فيها ما يستحق الذكر والشكر للمركز ومسؤوليه، ويهمني أن أطلع القارئ الكريم على ما لفت نظري عن المركز ودوره تجاه الصين، علماً بأن الدكتور لي شيجيون سبق أن عرفته في المركز بالرياض قبل ثماني سنوات؛ إذ عمل باحثاً لعدد من السنين، وعند عودته إلى عمله أستاذاً في جامعة شنغهاي، وعلمه بزيارتي إلى الصين (جوانزو) وأنني لا أستطيع الوصول إليه لعدم انتهاء العطلة الصيفية، قرر المجيء إلينا متحملاً مشقة السفر، وبقي معنا يومين، واستفدنا منه في زيارة المكتبة العامة والمتحف وغيرهما.

ومما نستخلصه من كتابه (تطور الترجمات الصينية للأعمال السعودية) ما ذكره في مقدمته: «...لقد أصبحت الأعمال السعودية المترجمة إلى اللغة الصينية ركيزة مهمة للتفاعل الحضاري بين البلدين... وتقسم هذه الدراسة ترجمة الأعمال السعودية إلى ثلاث مراحل: البدايات، ومرحلة التطور، ومرحلة الازدهار...». فالمرحلة الأولى تمتد إلى ما قبل القرن العشرين، وإن كانت ترجماتها مبادرات فردية، وقد ذكر منها ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام 1927م ترجمها (تيه تشنغ) وغيرها على مدى 14 ترجمة، وأهمها ترجمة (ما جيان - محمد مكين) الأكثر انتشاراً وتأثيراً والصادرة عام 1981م... وذكر من أوائل الترجمات الصينية للأعمال السعودية: مختارات روائية شملت (الرجل المقنع) و(النبش في جرح قديم) للكاتب السعودي عبد الرؤوف السيد، ترجمها (تساي وي لياغ)، كما أصدرت دار الصين للسلام عام 1994م كتاب (سيرة فهد) للكاتب كمال الجيلاني... وكان المترجمون في معظم الأحيان من أقسام اللغة العربية وباحثي الدراسات الإسلامية. وقال: «...مع دخول القرن الحادي والعشرين وحتى عام 2017م شهدت العلاقات الثقافية بين الصين والسعودية حراكاً ملحوظاً، ودخلت ترجمة الأعمال السعودية إلى الصينية مرحلة متطورة... كما بدأت نتائج الترجمة تمتد من المجال الأكاديمي المتخصص إلى السوق الثقافية العامة... وفي عام 2008م أطلق مشروع تبادل الترجمة والنشر بين الصين والدول العربية، كما تطور تعليم اللغة العربية في الصين وزادت الترجمات...». ففي عام 2006م، نشرت القصة القصيرة (الحمار صديقي) للكاتب السعودي عبد الفتاح أبومدين في مجلة (الأدب العالمي)، كما ترجمت في عام 2011م ثلاثة مؤلفات، هي: (لا تحزن)، و(لا تغضب)، و(أسعد امرأة في









العالم) لعائض القرني، من ترجمة (كونغ داجون).

وفي عام 2016م وقع مشروع الترجمة والنشر المتبادل للأعمال الكلاسيكية والمعاصرة بين الصين والمملكة، على أن يقوم الطرفان خلال خمس سنوات بترجمة ما لا يقل عن 50 عملاً من أدب وثقافة كل منهما إلى لغة الآخر. وفي الوقت ذاته، أسهمت (رؤية السعودية 2030) في تعزيز التنوع الثقافي للمجتمع السعودي وانفتاحه على العالم، وقامت دور نشر مثل (دار إنتركونتيننتال) الصينية و(دار جامعة بكين للمعلمين) بنشر عدد من الأعمال المترجمة؛ فقد بلغ إجمالي الكتب التي رشحتها الجهة السعودية المنفذة للمشروع (مركز البحوث والتواصل المعرفي) 17 كتاباً، من بينها سبعة كتب نشرتها (دار إنتركونتيننتال) الصينية، وهي: غراميات شارع الأعشى، والعصفورية، وأن تبحر نحو الأبعاد، وغفوة ذات ظهيرة، ومدن تأكل العشب، و10 سيناريوهات لتطور العلاقات السعودية الصينية، وقصص وأساطير شعبية. أما دار جامعة بكين للمعلمين فقد ترجمت عشرة كتب، هي: عرق وطين، وثمن التضحية، وثقب في رداء الليل، وتطور النقود في المملكة، والمرأة في نجد: دورها ومكانتها (1786 - 1932م)، والسعلوة بين الحقيقة والخيال، وروائع من موروثنا الشعبي، وغداً أنسى، وحمزة شحاتة: قمة عرفت ولم تكتشف، وماما زبيدة، وعائد من أبيه. كما صدرت عام 2025م ترجمة كتاب (التعليقات على المعلقات)، وهو أول عمل مترجم باللغتين الصينية والعربية للمعلقات العشر.

وخلال معرض الرياض الدولي للكتاب في أكتوبر 2023م، وقّع كلٌ من الإدارة الوطنية للصحافة والنشر في جمهورية الصين الشعبية وهيئة الأدب والنشر والترجمة في المملكة خطة تنفيذ لمشروعات التعاون لتعزيز الترجمة المتبادلة للأعمال الكلاسيكية. وحتى فبراير 2026م، تمت ترجمة ونشر سبعة عشر عملاً سعودياً إلى الصينية، وتجاوزت المبيعات ثلاثين ألف نسخة؛ ليصبح المشروع نموذجاً بارزاً للتعاون الصيني العربي. وفي أكتوبر 2024م، أصدر مركز البحوث والتواصل المعرفي كتاب (إشكاليات الترجمة من الصينية إلى العربية: من واقع الأدب النثري والروائي والتواصل الصيني) الذي تناول التحديات اللغوية والثقافية في الترجمة من منظور علمي. وفي نوفمبر 2024م، نشرت مجلة اليمامة تقريراً موسعاً حول مشروعات النشر المشترك. وعن التجارب الإلكترونية، طرحت سبعة أعمال، منها: مدن تأكل العشب، وغراميات شارع الأعشى، على منصات رئيسة مثل: «دانغ دانغ»، و«تاوباو»، و«جي دي»، و«دوبان». واستناداً إلى هذه الترجمات، ظهرت دراسات أكاديمية صينية عدة، منها:

رسالة ماجستير بعنوان: (دراسة رواية العصفورية في ضوء الواقعية السحرية).

رسالة ماجستير بعنوان: (تقرير ممارسة رواية ماما زبيدة: تحليل في إطار الفهم والتعبير).

رسالة دكتوراه بعنوان: (دراسة حول الأديب السعودي غازي القصيبي في ضوء القيم الثقافية).

رسالة دكتوراه بعنوان: (الواقعية في سياق ما بعد الحداثة: دراسة في روايات الكاتب السعودي عبده خال). وإلى جانب رسائل الماجستير والدكتوراه، تناولت عدة مقالات علمية موضوع مشروع الترجمة المتبادلة.

وبعد تحليل بيانات المبيعات، ظهر انقسامٌ واضحٌ؛ إذ تحقق الأعمال الأدبية الجماهيرية نتائج أفضل، في حين تبقى الكتب الاجتماعية المتخصصة محدودة الانتشار، ولا يزال إدراك كثير من القرّاء الصينيين للسعودية محصوراً في صورة نمطية مثل: (الصحراء، النفط، الدين)، مع نقص في الفهم العميق مما يؤدي إلى ضعف الدافع الذاتي للقراءة. وقد زودني الأستاذ مساعد العتيبي، مسؤول الترجمة بالمركز، بقوائم الكتب المدرجة للترجمة لعامي 2025م و2026م من العربية إلى الصينية؛ منها 20 كتاباً عربياً إلى اللغة الصينية، أغلب مؤلفيها سعوديون، في: الأدب: منصور الحازمي، وعبد الله الفيفي. والرواية: محمد حسن علوان، وأميمة الخميس، وخالد اليوسف، ورجاء عالم، وعبد الله العبد المحسن، وليلى الأحيدب. والشعر: محمد جبر الحربي، ومحمد الثبيتي. والقصص: خليل الفزيع. والأعلام والتاريخ: حمد الجاسر، ومحمد صادق دياب، ومحمد القشعمي، وأحمد السباعي. وفي النقد: سعد البازعي. وعلم الاجتماع: عفاف محسن الأنسي. وأدب مقارن: عبد الله الفيفي. والطب والأعشاب: مظفر أحمد الموصلي. والتراجم: مصطفى حسين. والحياة الفطرية: محمد سليمان اليوسفي. وعشرون كتاباً صينياً تترجم إلى اللغة العربية. وستة وعشرون كتاباً عربياً للترجمة إلى الصينية لعام 2026م منوعة لكل من: محمد المزيني، ومحمد حسن عواد، وفيصل بن مشعل آل سعود، وعبد العزيز الصقعبي، وعبد الله الغذامي، وعبد الله الصيخان، وحسن النعمي، وحسين المناصرة، ورحمة الله أوريسي، وفضل العماري، وسعد الصويان، وسلطان القحطاني، وماجد الشيباني، وخالد اليوسف، وأسامة الحسن، وأسامة الزيني، وإبراهيم الناصر، وفاتن العامر، وجار الله الحميد، ويحيى محمود بن جنيد، ومحمد الشقحاء، وهند الطويلعي، وعبد الله المعيقل، وسامي الجمعان، ومسفر القحطاني، وقاسم الرويس.

وفي الختام: يقدم مركز البحوث والتواصل المعرفي نموذجاً لما يمكن أن تنجزه مؤسسات البحث والنشر؛ ففي مسار (تجسير الثقافة السعودية إلى الصين) عرّف القارئ الصيني بأعمال روائية وبحثية تضيء تحولات المجتمع السعودي ومؤسساته، وفي المقابل أتاح للقارئ العربي أدوات معرفية لفهم الصين دولةً ومجتمعاً واقتصاداً، وتتضافر هذه الحركة مع بيئة ثقافية أوسع.

حديث الكتب

أ.د. صالح الشحري
@saleh19988

رحلة إلى البلدان الاشتراكية..

90 يوماً خلف الستار الحديدي.

هذا كتاب سجّل فيه مؤلّفه ملاحظات عن رحلة قام بها إلى مجموعة من الدول الاشتراكية؛ كان مدعوّاً بصفة رسمية لحضور مهرجان ثقافي في موسكو، كما كان مدعوّاً مع مجموعة من الصحافيين لزيارة هنغاريا بعد أن تدخّل الجيش السوفيتي لسحق انتفاضة شعبية ضدّ الحكومة الشيوعية. الرحلة كانت عام 1957، ولكن الترجمة العربية الأولى لم تظهر إلّا في عام 2024، أي بعد حوالي سبعة عقود من حدوثها. أصبحت معرفة الناس عن الدول الشيوعية واسعة، وربّما لا تحتاج إلى كتب جديدة، خاصّة بعد تفكّك الاتحاد السوفيتي إلى مجموعة كبيرة من الدول المستقلّة، وتفكّك بعض دول المعسكر الشرقي إلى مجموعة من الدول: يوغوسلافيا تفكّكت إلى صربيا وكرواتيا والبوسنة والجبل الأسود، وتشيكوسلوفاكيا انقسمت إلى التشيك والسلوفاك. لكن أهمية الكتاب تأتي من أهمية مؤلّفه غابرييل غارسيا ماركيز، أحد أهمّ روائيي العالم، وهو صحفي وروائي كولومبي حاز جائزة نوبل، وأهمّ رواياته رواية "مائة عام من العزلة" التي وزّع منها بلغات مختلفة ثلاثون مليون نسخة، ولها أكثر من ترجمة عربية. ومن هنا تبدو قيمة الكتاب الذي بين أيدينا؛ وكون المؤلّف من ناقدي الرأسمالية وناقدي أمريكا جعل شهادته على الحياة في الدول الاشتراكية مقبولةً جدّاً.

في سنة الرحلة (1957م)، كان الاتحاد السوفيتي ينتهي من ترميم آثار الحرب العالمية الثانية، وقد مرّت أربع سنوات على وفاة ستالين الحاكم الدموي الذي حكم البلاد بالحديد والنار طيلة ربع قرن، وبدأ حكم خروتشوف الذي قام بما يشبه الثورة التصحيحية لتعديل ما انتهت إليه الدولة في عهد ستالين. يتّضح من الكتاب أن العيوب - التي أدّت إلى انهيار منظومة الدول الاشتراكية - كانت واضحة، وكان التصحيح ممكناً، لكن سياسة تكميم الأفواه واحتكار الدولة لوسائل الإعلام، والستار الحديدي الذي قمع أيّ تواصل مع العالم، والقمع القاسي للأصوات المعارضة تفاقمت حتّى أتت على الدولة.

بدأت الرحلة برّاً من ألمانيا؛ فمدينة برلين مقسومة قسمين بين ألمانيا الشرقية الشيوعية وألمانيا الغربية الرأسمالية. بين القسمين شارع، ينظر أهل برلين الشرقية بحسرة إلى السيارات الحديثة الفارهة التي يمتطيها الجنود الأمريكيون في برلين الغربية. تبدو برلين الغربية وكأنها وكالة ضخمة للدعاية الرأسمالية، والغاية البيّنة هي إبهار برلين الشرقية التي تتطلّع إليها من كوّة ضيّقة فاغرة الفم. العمارة في الجانب الشرقي مزيج متنافر من كلّ الأساليب؛ فجادّة ستالين في برلين مدى واسع مليء بالمساكن التي تشبه مساكن أهل الريف الأغنياء بالمال والفقراء بالذوق. المساكن مكدّسة تكديساً، واحدةً فوق الأخرى، وقد شيّدت جادّة ستالين لتتّسع لأحد عشر ألف عامل، فيها مطاعم ومسارح وملاهٍ بمتناول الجميع، وما من عامل في أيّ من بقاع الأرض يعيش أفضل ممّن يعيش في جادّة ستالين، ولقاء أسعار زهيدة. وفي مقابل ذلك، هناك حشود كبيرة من البشر تعيش مكدّسة بعضها فوق بعض في مساكن بائسة، وما أنفق على التماثيل والرخام والأثاث والمرايا في جادّة ستالين كان كفيلاً بإعادة إعمار كلّ برلين الشرقية إعماراً لائقاً.

تتّفق معظم دول المجموعة الاشتراكية في صعوبة الحصول على سمة الدخول إليها، وبطء إجراءات الحدود وسماجتها. وجود قيود على تبديل العملات يجعل الحصول على العملات المحلية غير متيسّر، وكذلك يصعب التخلّص ممّا يفيض منها بعد انتهاء الرحلة. المطاعم مملوكة للدولة، وتقدّم كمّيّات كبيرة من أنواع الطعام والخمور بثمن زهيد أقلّ كثيراً من أسعارها في أوروبا الغربية. الإقامة في أحسن الفنادق بحمّاماتها ومذياعها وهاتفها والفطور الذي يأتي إلى السرير لا تكلّف إلّا دولارات قليلة. مدينة لايبزغ مدينة طلّابية؛ فنصف مليون نسمة ليس لديهم ما يزيد على عشرين سيارة، وعربات الترام فيها قديمة ومملوءة بالبشر المكتئبين. لكن ملابس الناس قديمة ورثّة ولا جمال فيها، وفوق ذلك باهظة الثمن. ما تنتجه مصانع الألبسة لا يصلح إلّا فزّاعات للطيور. ولا مكان لموطئ قدم في حفلات الرقص يوم الأحد حيث تتدفّق الجموع إلى الملاهي؛ أمسيات مملّة مقابل سعر زهيد. الناس المكتظّون فيها يبدو على وجوههم الكدر، والخدمة بطيئة في جميع المرافق؛ إذ تحتاج إلى الانتظار نصف ساعة في الدور حتّى تحصل على الخبز أو تذكرة السينما. انتظر المؤلّف ساعتين حتّى يحصل على شراب الليمونادة. الحسّ الأمني عالٍ، وغياب التفاوت الطبقي واضح جدّاً، والناس متساوون، يلبسون أحذية رخيصة الثمن، لا يتعجّلون ولا يتدافعون، بل يعيشون على مهلهم، وكلّ من يزور البلد يجد نفسه تحت مراقبة تحصي عليه أنفاسه. والمترجمون الذين يرافقون الوفود الرسمية والآخرون الذين يقومون على ضيافتهم رجال أمن سرّي.

الاستثناء الوحيد كان في تشيكوسلوفاكيا؛ فسلوك الناس في براغ لا يختلف عنه في

أيّ بلد رأسمالي، وهذا هو البلد الاشتراكي الوحيد الذي يبدو فيه أن الناس لا يعانون من التوتر العصبي، ولا يحسّ المرء فيه - وهماً أو حقيقةً - بأن الشرطة السرية تتعقّبه. لا تخضع أراضي تشيكوسلوفاكيا للنظام التعاوني، فالإنتاج فيها فردي، لكن الدولة تقدّم الآلات للفلاحين وتشتري منهم المحاصيل. تبيع تشيكوسلوفاكيا منتجاتها شرقاً وغرباً إلى باقي دول أوروبا. وأثار استغراب الكاتب أن البولونيين يحضرون اجتماعات الحزب الشيوعي، ويحضرون صلاة الأحد في الكنيسة ولا يشعرون بالتناقض.

عنون الكاتب للفصل الذي تحدّث فيه عن الاتحاد السوفيتي: "22 مليوناً و400 ألف كيلومتر مربع ليس فيها دعاية واحدة من دعايات كوكا كولا". ووصف القطار في الاتحاد السوفيتي بأن عرباته هي أكثر العربات راحةً في أوروبا؛ فليس في القطار درجات متفاوتة للمسافرين، بل درجة واحدة للمسافرين جميعهم. إن النوعية الرديئة لحقائب المسافرين وأكياسهم المليئة بالحوائج والطعام، بل حتّى ملابسهم ومظهرهم الفقير، تتناقض تناقضاً صارخاً مع فخامة عربات القطار ونظافتها الفائقة. واللافت للنظر أن السوفييت يتجوّلون في الشوارع بالبيجامات، والبيجامات أكثر جودةً من الملابس العادية. وفي القرى الأوكرانية تقام أسواق لبيع الفاكهة، والبائعات لا يتنافسن فيما بينهن؛ لأن البضاعة ملكية جماعية، والفاكهة كلّها إنتاج المزارع التعاونية.

كان الكاتب بين 92000 مدعوّ لحضور مهرجان في موسكو؛ وخلال أسبوع المهرجان لم تتعرّض القطارات التي أقلّت هذا العدد الضخم من البشر لأيّ حادث أو تأخير في المواعيد، والمترجمون البالغ عددهم 14000 كانوا يلبّون النداء في الزمان والمكان المناسبين تماماً. كلّ ضيف أحسّ بأنه استقبل استقبالاً خاصّاً، ولم يحدث أيّ تقصير في الإمداد بالطعام أو الخدمات الطبية أو في المواصلات أو في حضور العروض الفنية. يستوعب استاد موسكو 120000 متفرّج، ولم تشهد الحفلات أيّ لحظة من لحظات الاضطراب، وأحيا العرض 3000 لاعب سيرك، وفرقة موسيقية تضمّ 400 موسيقيّ. وكان مسرح البولشوي يقدّم ثلاثة عروض يومياً طوال أسبوع كامل، يشارك في كلّ عرض 600 ممثّل، ويستحيل تقديم مثل هذه العروض في غير الاتحاد السوفيتي.

وفي مقابل ذلك، فإن السوفييت عالقون في مشكلات صغيرة؛ ففي المرّات القليلة التي انضمّت فيها الوفود إلى فعاليات المهرجان الضخمة، رأوا فيها الاتحاد السوفيتي في الإطار الذي رسمه لنفسه، لكنهم عندما يخرجون عن القطيع، ويختلطون بالناس، يرون الاتحاد السوفيتي المختنق بالمشكلات البيروقراطية الصغيرة، المرتبك المتعب، الذي يعاني من عقدة نقص هائلة تجاه الولايات المتحدة الأمريكية. تتوافر ملايين أجهزة الراديو لكنها لا تذيع إلّا محطّة



واحدة، وكلّ الصحف مملوكة للدولة، لا ينشر فيها من الأخبار الأجنبية إلّا الحوادث فائقة الأهمية، وفي كلّ الأحوال يعلّق عليها وتوجّه بما يلائم مصلحة النظام، ولا تباع في الأسواق مجلّات أو صحف أجنبية، باستثناء صحف بعض الأحزاب الشيوعية الأوروبية. وعندما قال له بعض السوفييت إنّ صحيفة البرافدا تكلّف الدولة أكثر ممّا تدرّه بكثير، قال لهم إنّ هذا وضع الصحافة في الغرب ولكنها تعوّض بالإعلانات، فلم يفهموا معنى كلمة إعلانات رغم كلّ الشروح؛ إذ لا وجود للدعاية لأنه لا وجود للإنتاج الخاص ولا للمنافسة. التناقضات كثيرة ومأساوية؛ يعيش العمال محشورين مع أسرهم في مساكن ضيّقة مكوّنة من غرفة واحدة، ولا يمكنهم أن يشتروا أكثر من قطعتين من الملابس في العام الواحد، بينما تمتلئ نفوسهم زهواً بأن مركبة سوفيتية وصلت إلى القمر. وجّه الاتحاد السوفيتي عبر أربعين عاماً طاقته كلّها في العمل لتطوير الصناعات الثقيلة، من دون أن يولي أهمية للصناعات الاستهلاكية. ضحّى جيل كامل في سبيل البناء المتعجّل للاشتراكية، وأحكم ستالين إغلاق البوابات لمنع الدعاية الغربية من الوصول إلى المواطنين، وحقّق قفزة تاريخية قد لا يكون لها مثيل في التاريخ، لكن الأجيال الجديدة تستطيع أن تمنح نفسها ترف الشكوى من عدم توافر الأحذية. إن الأسلحة النووية، والصواريخ الفضائية، والزراعات الممكننة، والإمكانات التقنية الهائلة هي حصيلة 40 عاماً من انتعال الأحذية المتواضعة وارتداء الملابس الرديئة، أي ما يقارب نصف قرن من أكثر أشكال التقشّف تشدّداً.

حاول الكاتب أن يتحدّث مع بعضهم عن ستالين، فقليل منهم من شارك. إن أفضل ما يمكن أن يقال في مدحه مرتبط جوهريّاً بأسوأ ما يمكن أن يقال في قدحه؛ كان شخصيّاً يتحكّم بالأعمار وبالسياسة، وبالإدارة وباللسانيات، وذلك دون أن يبارح مكتبه الخاص؛ ربط كلّ الوزارات بمكتبه في الكرملين، فإذا احتاج مصنع في سيبيريا إلى قطعة غيار ينتجها مصنع آخر في الشارع نفسه، فلا بدّ من أن يطلبها عن طريق موسكو. ورئيس الوزراء الذي تلاه وجد أنه لكي يفكّك النظام الستاليني كان عليه القيام بأمرين: وقف الإنفاق الحربي لصالح السلع الاستهلاكية، وإرساء دعائم اللامركزية الإدارية.

لم تحدّد لأيّ ضيف ساعة النوم، لكن كلّ المنشآت تغلق في تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً، وتتوقّف كلّ المواصلات عند الساعة الواحدة، فتتحوّل موسكو إلى مدينة مقفرة. خرج الكاتب ليلاً للتجوّل بمفرده، وانتظر ساعتين فلم تمرّ سيارة واحدة، وأخيراً جاءت سيارة الشرطة المناوبة فحملته؛ كانت تجمع السكارى التائهين في شوارع موسكو، وتعيدهم إلى بيوتهم. إنه شكل من أشكال الوصاية على الناس يكرهونه أو يحبّونه، لم يستشرهم فيه أحد.

نافذة على الإبداع

قراءة في قصائد الشاعر د.عبد العزيز خوجة الجديدة..

حس مرهف،واختيار يقظ للمفردات،وتصوير تمثيلي بارع.



د. محمد صالح الشنطي
@drmohmmadsaleh

في قصيدته «خبريني»: استهلالٌ صادم وتساؤلٌ مرير، وتقريرٌ لافت في حكمة سائرة وحقيقة مرّة، وتشخيصٌ كنائيّ ومقاربةٌ تمثيليّة قاطعة، تقرأ ما ران على الحواسّ من لغةٍ تنطق بها الملامح وتفشي بها مضمرات السرائر، وقراءةٌ تستنطق العيون وتغوص إلى مكامن الأشجان، ومقاربةٌ جماليّة تستلّ من غمد القلب إشفاقاً، وحشد لمفردات تنطق بالمعاناة وتبوح بمكنونات الألم، مشهد تمرح فيه المشاعر، فاللآلئ والغوالي ثنائيّة الحزن وازدواجيّة الجمال والجلال، وعبر ظاهرة بلاغيّة مذخورة تتبدّى غنائية ناطقة مترنّمة على إيقاعٍ ينذر باقتراب اللحظة المأساويّة أشبه بمفارقة الروح للجسد، وتوالٍ متسارعٍ للحظة القاهرة على مفترق النهايات؛ لقد وظّف الشاعر ظاهرةً بلاغيّةً يضع فيها الحقيقة على قارعة المأساة حيث الفراق الذي لا لقاء بعده.

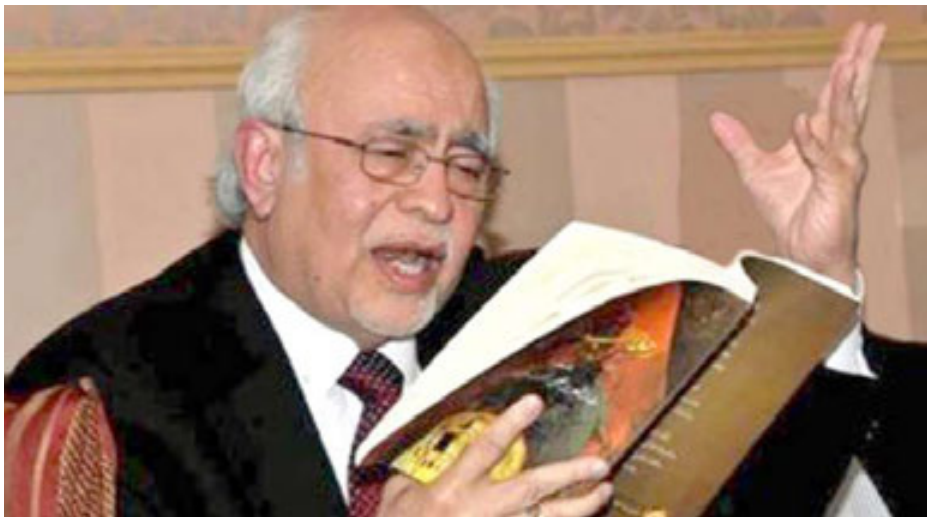
لغةٌ مجازيّةٌ راقية تسفر عن معادلٍ وجدانيّ غنائيّ، وتدفّقٍ غزير يتداعى في سلاسة ويتحدّر في رقّةٍ، ويترقرق في شفافيّة وصفاء، تدفّقٌ خصب يجمع بين ألوان من الأساليب في ديناميّة ساحرة، وترابطٌ عبر أدوات دقيقة الدلالة ما بين مطلق الجمع بين معطيات الخيال ومرئيّات الواقع، وتشخيصٌ استعاريّ النهج غنائيّ التصوير كنائيّ التعبير، وهذا الربط الوثيق والتسلسل المبهر والتعليل المقنع والجمع بين معطيات البصر والخيال والبصيرة واستنطاق الصياغات والتناصّات الخفية التي تفجّر ألواناً من الدلالات، فقوله: ليالي بعد ظعني شكول وفصولي بعد الرحيل شكول يذكّرنا بقول المتنبي: ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل يبن لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدراً ما إليه سبيل

وتضج القصيدة بألوان من الحراك اللغويّ والإيقاعيّ عبر التجاوب النغميّ فيما يشبه الصوت والصدى، وقد جاء هذا النص على وزن الخفيف الذي يتميّز بما هو بين الرشاقة الغنائيّة والمرونة التعبيريّة، وقد استثمر لدى الشعراء في الشعر الوجداني.

وتميّز النص بظاهرةٍ بلاغيّةٍ وزنيّة تتمثّل في التذييل عبّرت بصدق عن الآثار النفسيّة والحيرة والحزن، ولامست سقف الحكمة كما جاء في قوله: فلقانا في عتمة العمر ومضٌ ومقام الهناء فيه قليل

والانتقال في الخطاب من أساليب الطلب إلى التقرير أثرى الإيقاع النغمي وعبّر عن جيشان الشعور وعن ذروة الانفعال، فأفعال الأمر في تعاقبها وتواليها، وكذلك المراوحة بين الجمل الاسمية والفعلية والاستئناف والسببيّة في متواليات الجمل أزجت جيشان العواطف ومتسارعات الوجد ومعاناة الألم.

وفي قصيدته «لقاء» الوجه الثاني للفراق الذي تراءى في أفق القصيدة السابقة «خبريني»، وشتّان ما بين الفراق والسباق، ما بين اضطراب الداخل وجيشان الخارج؛ فنحن أمام ماراثون ينطوي على طرفي الموقف في لحظة شعريّة متوثّبة، فقاموسها تفوح منه رائحة الفرح وانتظار اللقاء القادم ما بين المشاهد والمخفيّ، الفعل وردّ الفعل، فابتداء الشاعر بواو العطف لفتة ذكيّة تشير إلى ما قبلها؛ وللمتلقي أن يعمل خياله ليلتقط الصورة التي يقرّ الشاعر بعجزه عن تصويرها، فيتخطّاها إلى ما بعدها، ولقد جاءت الأفعال مفعمة ممتلئة تتجاوز المألوف في الانتقال من حاسة الشمّ إلى حاسة الذوق، وهذه من خصائص المدرسة الرمزيّة التي تقوم على



تراسل الحواسّ، فجاءت كلمة (ورشفت) بدلاً من (شممت)، وكذلك بين حركة المشي والطيران (وخفقت أجنحتي)، وكذلك التصعيد في الاشتياق فجعل من الفراشة وخفّتها معادلاً وجدانيّاً لما به من شوق للقاء، وهنا يلتقط الشاعر اللحظة التي يستلهم فيها ما ورد في القرآن الكريم: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة»، فجاء التناصّ -هنا- ليضيء اللحظة بكلّ توهّجها، ويمضي في التصعيد الوجداني قدماً؛ فمن ارتشاف الرائحة إلى الطيران بخفّة الفراشة إلى الاحتراق في أتون اللحظة المنتظرة إلى التلعثم والعجز عن الكلام لرهبة الموقف، وفرحة اللقاء وردّ الفعل المماثل من الطرف الآخر: (وتلعثمت كتلعثمي وتردّدت كتردّدي ورحلت في عينين تهفو للعناق)، وإذا بالمشهد ينبلج عن التوحّد في صورة العناق، فنحن أمام وحدة عضويّة نامية تأخذ بتلابيب المتلقّي وتحبس أنفاسه، وهو -إذ يصوّر لحظة اللقاء- يلمّ بطرفي المشهد الحسّي والمعنوي: (الوجد والشوق) ثم (الدمع والعناق)، وهذا الجمع بين طرفي المعادلة الوجدانيّة يمثّل ذروة اللحظة التي امتدّ بها إلى خارج المحيط المكاني وعالمه المحدود إلى رحابة الكون اللامحدود: وجدٌ تفجّر بيننا شوقٌ تحدّى صمتنا دمعٌ ترقرق وائتلاق وتعانقت أكواننا وتشابكت أشعارنا

قصيدة «الطفل الغريب»

حواريّة شعريّة يستعير لها الشاعر عنواناً يتقمّص فيه الطفل الغريب قناع العاشق الذي أذهله ما يحسّ به من غربة تكاد تتلامح مع ما نعرفه من التغريب؛ فهل نستطيع أن نطلق على القصيدة «تغريبة العاشق»؟ ليس مهمّاً ما نقترحه من عناوين؛ فقد أسعفنا الشاعر بمعلّقة العشق ومذهّبة الحبّ، وأدار حواراً اغترف عبره من معين لا ينضب، فقد تبدّى عالمه العشقيّ في تجلّيات متعدّدة؛ ولكنّه ظلّ مسوّراً بالحرمان والعجز عن الإقدام محاوراً ذاته تارة، والذات الأخرى التي تكافئها تارة ثانية، هذه الحواريّة تتراوح بين الهمس (حديث النفس) وبين الجهر (خطاب الآخر)، ويبدو معاتباً لذاته، لائماً لها على عجزها عن الإقدام، ومثل هذه المراوحة في الخطاب تنبعث في لحظة الذروة التي تصل فيها المشاعر إلى أقصى مداها، وهذا اللون من الحوار يعرف بالمناجاة الذاتية في أدبيات النقد؛ ولكن المناجاة -في اعتقادي- تشي بالرقّة والتفاعل الحميم، وحديث النفس هنا فيه شيء من اللوم والتقريع، ولست ميّالاً إلى الأخذ بالمصطلحات الجاهزة المحدّدة؛ إذ أرى أن الحوار هنا فيه تبكيت ولوم، وفيه إشارة إلى المعاناة الوجدانية والغنائية الحميمة التي تلامس سقف الشكوى، فهو يتمرّد على ذاته ويضيق ذرعاً بالصبر، وتتّسع دائرة الشكوى لديه لتتجاوز الذات إلى الآخر المتخيّل، فينتقل من موقع الحوار إلى الشكوى، والشاعر لا يحاور ذاته المنشطرة أو التي يعتمدها خياله الخصب؛ بل يلجأ إلى اختيار الجوارح المختصّة بالحزن وما ينجم عنها من ردود فعل حسّيّة كالدموع: «تقول لي في الليل أدمعي / إلى متى تماطل العهود؟ / ألا تحبها؟ نعم أحبها / نعم أجيب» وهو يتّخذ من الطفل الغريب الذي يتمثّله قناعاً لذاته يتيح له المجال أن يطأ على ما بداخله ويرصد مشاعره ويتمثّل معاناته، ويزجي ركائب تجربته مستثمراً منظومة ثلاثيّة الوصف والسرد والحوار في دراما داخليّة تصوّر ما بأعماقه: يسائل ذاته ويصف مشاعره ومعاناته، ويحاور قناعه ويسرد قصّته مع الحبّ، هذه الثلاثيّة التي يرتكز عليها في بثّه الوجداني، فهو إذ يفرغ من مساءلة الذات ينخرط في وصف المعاناة: «تكاد نارها تضيء عتمة الوجود / ويصرخ الشوق: هل من مزيد»، ويمضي في حواره لها: «تقول هل تدوم سطوة الجوى / أقول: إنّما تزيد» ثم يمضي سارداً: «أواصل الغروب للشروق وأنسج المنى»

وأسلوب الاستفهام الذي به يزلزل يقين العاشق المتبول، وهو يتكرّر في النص معبّراً عن الذهول والاغتراب عن الذات: «أصافح الوجوه كالغريب»، فثمّة تحوّل ما بين خطاب الذات وطيف المحبوبة التي يستحضرها خياله الخصيب، تتبدّى شعريّته التي

تتجاوز التقليد إلى آفاق أرحب دون أن تفقد أصالتها محافظةً على ركنها الركين، منطلقة إلى آفاق الحوار الداخلي (المونولوج) حيث تنشطر الذات الشاعرة في ثورة على التردّد والتباطؤ، ومن الواضح أن الشاعر يعزف على وتر المعجم اللغوي، ويميّز بين المترادفات حتى لا يقع في التكرار، فهو يدرك رهافة المعاني والفروق الدقيقة بينهما (يسهر ويسهد): «يسهر القريب ويسهد البعيد»؛ فالسهر غير السّهاد؛ الفرق بين السهر والسهاد فرقٌ دقيق في الدلالة، وإن اشتركا في معنى عدم النوم، ولا سيما في الاستعمال الأدبي والشعري؛ فالسهر هو البقاء مستيقظاً في الليل، سواء أكان ذلك باختيار الإنسان أم بغير اختياره. فقد يسهر المرء للقراءة أو للعمل أو الأنس بالأصدقاء أو التأمّل؛ فالسهر لا يستلزم المعاناة أو العجز عن النوم، بل قد يكون ممتعاً ومقصوداً؛ أمّا السهاد فهو الأرق وامتناع النوم أو تعذّره، وغالباً ما يصاحبه القلق أو الهمّ أو الشوق أو الحزن؛ ولذلك ترد هذه اللفظة كثيراً في شعر الغزل والشكوى والحنين؛ فالسّهاد يوحي بمعاناة نفسيّة أشد من مجرّد السّهر؛ ولهذا نسب السهر للقريب والسهاد للبعيد. ومما يلفت الانتباه أن الشاعر يحرص على دقة الدلالة عبر التصوير والتمثيل، فيصوّر مرارة اللوعة فيقول: أتعرفين لوعة الحبيب في النوى للطفل في فراق حضنه الحبيب؟ فقد صوّر ما ينتاب العاشق الملتاع من معاناة بما يشعر به الطفل حين يغادر حضن أمّه الرؤوم، ولا يكتفي بهذه الإشارة التمثيليّة فيلجأ إلى التقاط مشهده الحسّي: «عيناه دمعتان من قلق ورعشتان من فرق / وكل لمحة بوجهه الكئيب / تقول إنّه وحيد»؛ واللافت هنا أنه يمارس بلاغة الالتفات حين ينتقل في خطابه من ضمير الغائب إلى المخاطب في حركة عفوية يستحضر فيها الآخر الأنثى (أتعرفين ذلك الوحيد؟ إنّه أنا)، ومثل هذه النقلات الفجائية تمثل لوناً من ألوان الدراما الحركيّة، فتتداعى إلى الذهن الذكريات التي يجيد استحضارها في اللحظة المناسبة، واللافت في هذا الحراك الدرامي اعتماده أسلوب الاستفهام المتكرّر عبر السؤال وجوابه في حديث جوّانيّ نفسيّ متسائل، ويختم القصيدة بقفلة لافتة في أسلوب تقريري يستدعيه من الأعماق: «ووحده يجوب قلبه مفاوز الظنون والطلول / ووحده ولا يقول»

وفي قصيدة «قسماً» يتداعى إلى الذهن منذ مطلع القصيدة تناصٌّ واضح مع آيٍ من الذكر الحكيم في سورة (البلد)، ولذلك دلالة مهمّة توحي بهالةٍ من التقديس والتعظيم للوطن، وخصوصاً في التساؤل: «قسماً وما أدراك ما هذا البلد»، وتكرار القسم يزجي ركائب الاعتزاز والفخر؛ وكما هو مألوف في أسلوب الشاعر فإنّه ينتقي مفرداته بدقة وذائقةٍ شعريّة متميّزة فيعزّز شعريّة القصيدة؛ فالطائفون والراكعون والساجدون مقولةٌ تحيل إلى مكانة البيت العتيق استناداً إلى ما جاء في القرآن الكريم: «وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرّكّع السجود»، وكذلك في استثماره للأسلوب البديعي المتمثل في (الجناس) في قوله: «مجداً لا يعدّ ولا يحدّ»، وفي ذكره لسيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) معتزّاً به، وفي النزعة الإنشائية الغنائية وقافيته الساكنة التي تشبه الوقفة الختامية في الحركة الاحتفالية في الوقفة العسكرية حيث تختتم بضربة القدم، قد اعتمد الشاعر التكرار سواء في ذكره محمداً عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات في المقطع الأخير من القصيدة، وتكراره للفظة (قسماً) في المطلع والختام يؤطّر بها احتفاليته نغماً يعزّز غنائية القصيدة بمعنى أنها منطلقة من أعماق الذات الشاعرة، وقد تكرّرت في النص على قصره ست مرات.

أمّا قصيدته «سندباد» فهي أقرب إلى النهج السيري الذي يلخّص تجربة حياة تشظّت في الأسفار بحكم الوظيفة وتركت آثارها في وجدانه وفكره؛ وكما هو مألوف في شعره، وعلى الرغم من أن استعارة الإبحار سائدة في الشعر العربي نجده قد استأثر بملامح من رؤيته للحياة والرحلة في آفاق الكون الجميل، فيوجّه الخطاب إلى منبع الشعور ومخزن الوجدان (القلب) يمتح من بئره العميقة، وهو يجعل من الغربة وليس الاغتراب محوراً لقصيدته هذه؛ لكنّه رغم وصفه في مستهل القصيدة الأفق والجمال يلامس سقف الحزن وفقدان الحبيب فقد تبعثر عمره ضياعاً ورحيلاً؛ فهو يستحضر اللحظة الوجدانية التي أبعدته عن هواه، وهو يتمثّل السندباد شاهداً على ما اعتراه من أحاسيس في صورة فنّيّة يلتقطها بحواسه وبقلبه، وقد تمثّل الوطن محبوباً له، واستبدل بمشاعر العاشق هوية الانتماء، وهو يرتدّ إلى زمن البراءة مستذكراً إيّاه: «من نورك الهدى النبيل»، معزّزاً شعوره بالاعتزاز بموطن الهدى: «راحل فيها معي عمراً طويلاً».

هذه قراءة موجزة؛ فقصائد الشاعر تستحق دراسة أوسع وأشمل.

«بين رسالتين»

أخضر x أخضر



عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ

@alshaikh2

ضع إصبعك على الرسالة الثانية و اقرأ الأولى وحدها .. هكذا قرأها أهل الريـــاض فجر الأربعاء الرابع من نوفمبر ٢٠٢٦، حين اهتزّ الهاتف لم يكن تحت إصبع أحدٍ منهم الســـطر الذي تعرفه أنت الآن، كان على الشاشة اســـم منطقة الرياض و إنذار من المنصة الوطنية للإنذار المبكر في حالات الطوارئ، و كان أوّل ما يطلبه التنبيه مـــن قارئه أن يتّجه إلى مكان آمن و يبقى فيه، أمّا متى يســـتطيع أن يعود إلى فراشه فذلك سؤال بقي جوابه عند الجهة التي أيقظته.

قد أحتاج إلى نظّارتي لأقرأ الســـطر الأوّل، و قبل أن تصل يدي إليها يكون رجالٌ في مواقعهم قد أنجزوا من العمل ما أتاح لهذا التحذير أن يصلني في بيتي، لا أعرف ما يدور في غـــرف العمليات، لكنني أفهم من الرســـالة ما يخصّني في تلك اللحظة .. أتّجه إلى موضع آمن بعيد عن النوافـــذ و أنتظر فيه، و حين أفرغ من قـــراءة التنبيه بالعربية أجد تحته اســـم الرياض بالإنجليزية، فمَن جاء إلى هذه المدينة من بلد بعيد يستطيع هو أيضاً أن يقرأ اسم المكان الذي ينام فيه أطفاله و أن يدلّهـــم على الغرفة الآمنة، يعجبني أن تتّسع كلمة «الرياض» في ساعة الخوف لكلّ من بات فيها.

أقرأ «الرياض» على شاشـــة الهاتـــف فيخطر ببالي إخوانـــي و أخواتي و عائلتي، و قد يكون أحدهم في طريق عودته إلى المنزل، و مـــا إن أفرغ من قراءة التعليمات و آخـــذ بمقتضاها حتـــى أفتح «قروب العائلة» على الواتســـاب لأكتب «طمّنونا عنكم»، و لعلّ مَن أردت أن أطمئنّ عليه قد ســـبقني بالسؤال نفســـه .. و حين يكتب أحدهم مـــن خارج الرياض «وش صار عندكم؟» أجيبه بما أعرفه عن أهل بيتي «حنّا بخير»، ففي القروب يصلنـــا خبر كلّ بيت من أهله، أمّا خبر الرياض فننتظـــره جميعاً من الدفاع المدني.

و للانتظـــار فـــي غرفـــة آمنة موضع فـــي ذاكرة الرياض، ففي شـــتاء ١٩٩١ كانـــت صافرات الإنذار تعلو فوق المدينة أيـــام الصواريخ العراقية، و كان المذيع ســـليمان العيســـى، رحمـــه الله، يطلّ من شاشة التلفزيون بإرشادات الســـلامة، و في مقال «صفارات الإنـــذار و كمامات هتلر» المنشـــور في جريدة «الرياض» في الثالث عشـــر من مايو ٢٠١٨ استعاد الكاتب عبدالله بن بخيت صوت العيسى و هو يدعوهم إلى الاحتماء في «أوســـط نقطة في البيت نلوذ بها»، و بعد كلّ تلك الســـنين بقي في ذاكرته اســـم الرجل الذي سمعه و الموضع الذي دلّه عليه .. بين شتاء ١٩٩١ و فجر ذلك الأربعاء خمسة و ثلاثون عاماً، تغيّرت فيها الحرب و تغيّر الســـلاح، و صار في راحة اليد ما كان أهل البيت يجتمعون عند التلفزيون لسماعه.

ثم تأتي الرســـالة الثانية .. «زال الخطر عن منطقة الرياض»، نحو تســـع دقائق فصلت بين نشر الدفاع المدني تحذيره و نشـــر إعلانه زوال الخطر، أستطيع اليوم أن أحسبها لأنّ وقت البيانين أمامي، أمّا الذي قرأ التحذيـــر في لحظته فلم يكـــن يعرف إن كان سيقضي في مكانه دقائق أو ساعة، و كان من حقّه في الحالين أن تصله كلمـــة «زال» في الوقت الذي يصحّ فيه قولها.

أتوقّف عند هـــذا الفعل القصير .. ما أثقل أن يقوله أبٌ لصغيره من عند نفســـه ثم يعود إلى فراشـــه يتســـاءل إن كان قد استعجل طمأنته، و ما أيسر أن يقـــرأ عليه العبارة كما وصلته و يســـمّي له الجهة التي قالتها ثـــم يضع هاتفه جانباً، عند هذه الحركة الصغيرة أفهم شـــيئاً من عمل الرجال الذين لا نرى وجوههم، فمن ثمرات عملهم أن يملك الأب جواباً يطمئنّ إليه هو أيضاً حين يقول لصغيره إنّ بوسعه أن يعود إلى النوم.

و لكلمة «زال» عندي وزن أعرف بعضه من بيان سابق للدفاع المدني، ففي الثالث عشر من أكتوبر سقطت في الرياض شـــظايا صاروخين من نـــوع «كروز» أطلقتهما الميليشـــيا الحوثية و جرى اعتراضهما، و ذكر المتحدث الرسمي في البيان المنشور في اليوم التالي أن الشـــظايا أصابت امرأتين و رجلاً و طفلاً و ألحقت أضراراً مادية محدودة بخمســـة عشر منزلاً .. الجهة التي أخبرتنا بما أصـــاب أهلنا هي التي نقرأ اســـمها حين يجيء ما يسرّنا سماعه، و لكلمتها في الحالين وزن واحد.

و أتخيّل بعد ســـنوات حفيداً يعثـــر في هاتف جدّه القديـــم على صورة احتفظ بها للرســـالتين، فيقرأ التحذير و خبر الزوال في نَفَس واحد كما نفعل نحن اليوم، ثم يعود إلى التوقيـــت المثبت إلى جوار كلٍّ منهما و يحسب الفارق على أصابعه، لعلّه يسأل جدّه عمّا فعلوه في تلك الدقائق و يأتيه الجواب أبســـط ممّا توقّـــع .. «أخذنا حذرنا يا ولدي، و يوم قالوا زال الخطر كمّلنا ليلتنا».

ثم يسأله الصغير «وش خلّاك تصدّقهم يا جدّي؟» .. فيضع الجدّ إصبعه على رســـالة الإنذار و يقول: «يا ولدي ..

اللي صحّانا من عزّ نومنا ..

ما يقول لنا ناموا و الخطر باقي»

خط أخضر:

لو طال الإنذار ساعةً لانتظرناها بالثقة نفسها ..

فإن كان في دقيقةٍ أخرى سلامةُ بيتٍ واحد ..

فمن حقّ ذلك البيت أن تنتظره الرياض كلّها.

مذكرات

فصل من سيرة ذاتية (7)

الأنهار العظيمة تصنعها قطرات المطر الصغيرة.



إبراهيم البليهي

الاطلاع العميق المفصَّل؛ على التعارض الحاد بين الأنساق الثقافية التي تتوارثها الأمم، ومعرفة تعارض رؤى الأفراد داخل كل نسق؛ يعطينا ميزانًا شديد التحفظ، واسع المرونة؛ لتقييم الاختلافات؛ كما يجعلنا ندرك صعوبات التحقق في أي شأن. إن الدارسين يجتازون كل المراحل التعليمية من دون أن يكون لديهم الإدراك الكافي لحتمية الاختلاف، وكيف أن اختلافات الناس فيها ثراء للأفكار لكنها من أهم أسباب النزاعات التي تصل إلى حد الاقتتال. إن الخلافات تنشب بين العلماء ويبقون على خلافاتهم حيث لا يقتنع أي طرف بما انتهى إليه الطرف الآخر؛ إلى حد أن العالم الشهير ماكس بلانك، يؤكد أنه لا أمل بإقناع الجيل الذي تشبَّع بنظرية منقوضة؛ إلا بموت الجيل ومجيء جيلٍ ينشأ على النظرية الجديدة. إن هذه من المسائل الأساسية الكبرى التي يجب تكرار التذكير بها؛ فرغم نتائجها المدمرة فإنها لم تنل ما يكفي من التناول والإدراك. وهنا تَحْسُن قراءة كتاب (تناقض الرؤى) تأليف توماس سوويل؛ الذي يقول: ((قد يتشوَّش الرأي العام؛ ويجد صعوبةً في فهم ما يجري؛ تحت ما يَدَّعيه كلُّ طرف)) ويؤكد بأن سبب إصرار كل طرف على تصوره؛ ناتجٌ عن غفلةِ كل الأطراف بأنهم أسرى للسوابق التي كبَّلتْ عقولهم؛ فيقول: ((في حال شبِّ النزاع بسبب التصورات المتعارضة؛ نجد أن الأطراف المعنية؛ التي يكون أصحابها متحمسين جدا لتصوُّرٍ معيَّن؛ هم الأقل إدراكًا للافتراضات التي أمْلَتْ عليهم تَبَنِّي هذه التصورات)) ويقول: ((لا يمكنني حصر وجود التصورات لدى المتعصبين لعقائدهم، وأصحاب الإيديولوجيات الجامدة؛ فكل واحد منا؛ يحمل تصورات معيَّنة، ويمكن اعتبار التصورات؛ على أنها العامل الصامت الذي تتشكل تحت تأثيره آراؤنا ومعتقداتنا الفكرية)) ويؤكد أننا نحن البشر: ((نكون دائمًا على استعداد تام للتضحية بأي شيء من أجل تأكيد وإبراز صحة تصوراتنا؛ نحن على أتم الاستعداد لبذل أي جهد، ودَفْع أي ثمن في سبيل تصوراتنا)) فالناس كما يرى؛ لا يكونون أبدًا مستعدين؛ لمراجعة تصوراتهم، أو الاعتراف بخطأ آرائهم واتجاهاتهم، وهم دائمًا يَبقَون غافلين عن أنهم أسرى للتصورات والآراء والاتجاهات والمواقف والمعلومات التي تتحكم بتفكيرهم لأنها الأسبق إلى عقولهم؛ وهذه من أعقد وأكبر وأفظع المعضلات البشرية، وأشدها خفاءً وإرباكًا للحياة، وأكثرها استعصاءً على الإصلاح؛ فالعقل يُكَوِّنه ويحتله ويتحكم به الأسبق إليه؛ ولأن معظم الناس يجهلون هذه الحقيقة ويظلون أسرى للأسبق إلى قابلياتهم مهما كانت كل الحقائق مضادة، ويدافعون عن هذا الأسبق حتى الرمق الأخير؛ إن هذه هي أُمُّ المعضلات على المستوى البشري بأجمعه.

خمسون عاما من دراسة الحضارة

وهنا تتأكد الأهمية العظيمة لمؤلفات ول ديورانت بوصفها؛ مرجعًا موسوعيًا موثوقًا، زاخرًا بالعمق والاحاطة والدقة والوضوح؛ فالاستفادة منه ستكون حتمًا عظيمة؛ فقد تَعمَّق في دراسة كل الأنساق الثقافية التي تتوارثها الأمم، وتعمَّق في أسباب اختلافات هذه الأنساق، واطلع على تعارض الأفكار والرؤى؛ فاكتسب عقلًا استثنائيا؛ جمع بين العمق والاتساع، وبين الدقة والرهافة؛ ولم يَعُد يعطي أحدًا ثقةً مطلقةً؛ وإنما يتوقع الخطأ، وقصور النظر، والوهم، والتحيُّز، والنقص، والهوى، من الكل فلا أحد معصومٌ من النقائص البشرية. إن ديورانت فيلسوفٌ يختلف عن كل الفلاسفة؛ بأنه لم يحصر عقله في المجال الفلسفي وإنما هو فيلسوفٌ عميق التفكير، وباحثٌ مدققٌ ألزم نفسه بالاستقصاء، وأديبٌ يكتب بأسلوبٍ مشرقٍ لذيذ؛ إنه يجيد استخدام اللغة بمهارة غير عادية، ويقدم رؤاه باتساق رائع، إنه مؤرخٌ واسع الرؤية؛ إنه مع عقله الفلسفي العميق؛ موسوعيُّ المعرفة؛ فهو متنوع المعارف، متعدد الاهتمامات، عميق الفهم، واسع الاطلاع، ومع كل ذلك هو أديبٌ مبدعٌ؛ يقدم أعمق الأفكار؛ بأسلوبٍ زاخر بالإشراق والتدفق؛ لقد أمضى عمره كله الذي قارب المائة عام؛ في الدراسة والبحث والتأليف، لقد أمضى لإنجاز (قصة الحضارة) خمسين عامًا؛ في تفرُّغ تام، وفي متابعات دقيقة؛ لقد انغمس في تاريخ الحضارات، وتاريخ الفنون، وفلسفات الحياة، وآداب الأمم، وتعمق في الأنساق الثقافية المتضادة المتوارثة؛ بحثًا، ودراسةً، وتعمُّقًا، ومعالجةً؛ فهو لم ينشغل خلال عمره بأية وظيفة وإنما تفرَّغ للفهم والتعمق والتأليف وكتابة ما توصل إليه فهو صاحب رسالة إنسانية؛ وقد قال عن نفسه؛ بأنه فيلسوفٌ يكتب التاريخ، وأنه مؤرخٌ بعقل فيلسوف. لم يكن يقرأ لمجرد الاطلاع، بل كان يقرأ ليصل إلى الأعماق؛ من أجل أن يقدم نتائج دراساته للعالم كله في (قصة الفلسفة) وفي (قصة الحضارة) وفي (مباهج الفلسفة) وفي (دروس التاريخ) وفي (أبطال من التاريخ) وفي مؤلفاته الأخرى؛ فاكتسب رؤيةً واسعةً وعميقة وقدم إنتاجه بلغة تفيض بالعذوبة والرشاقة؛ عن الإنسان، وعن الأنساق الثقافية المتوارثة، وعن عظماء الإنسانية، وعن الطبيعة البشرية، وعن الحضارات وعن الأمم.

إن ول ديورانت بعد أن قضى عمره في دراسة التراث البشري وتعمَّق في البحث والتدقيق والفحص والمراجعة؛ وبعد أن أنجز كتابة أكثر من خمسين مجلدًا؛ عاد إلى مراجعة كل ما كتبه؛ فقدَّم في آخر حياته خلاصات رؤيته في كتابه (دروس التاريخ) وفي كتابه (أبطالٌ من التاريخ) إنه يرى بأن طبيعة الرجل مضادة

للتحضُّر؛ بل إنه يرى بأن الإنسان بشكل مطلق برجاله ونسائه؛ مقاومٌ للحضارة؛ ولكن مرونة المرأة جعلتها أقرب لتقبُّل الحضارة من الرجل؛ إنه يرى بأن المرأة هي التي أسست الحضارة؛ فالرجال قبل اكتشاف الزراعة الذي أدى إلى الاستقرار؛ كانوا صيَّادين جوالين؛ فكانوا يقضون وقتهم متجولين يبحثون عن الطرائد. أما النساء فكُنَّ يَبقين في أمكنة المبيت، لذلك فإن المرأة هي التي اكتشفت فكرة الزراعة فأدى ذلك إلى التحول الثاني في الحياة البشرية، حيث كفَّ الإنسان عن التجوال الدائم واستقر وتعلَّم أن يقيم لنفسه بيتًا؛ وهذا أعظم تحوُّلٍ طرأ على الحياة الإنسانية؛ سبَقَه ابتكار اللغة الذي كان أول ابتكارٍ مفصليٍّ عظيم. ثم جاءت الثورة الصناعية التي أشعلها وقادها رتشارد آركرايت، وجيمس وات؛ لتكون التحول الأساسي الثالث في الحياة البشرية.

المرأة وصناعة الحضارة

إن المرأة هي التي دجَّنت الأغنام والكلاب والحمير. بل المرأة هي التي دجَّنت الرجل ذاته وعلَّمته الاستقرار؛ فالرجل طبيعته تقاوم التمدن يقول ديورانت: ((طبيعة الإنسان تتحدى الحضارة كل يوم؛ فالإنسان ليس إلا واحدًا من ملايين الأنواع الحية؛ وهي كلها تتصارع من أجل الوجود، ويحكمها التنافس؛ إن الولع بالكسب، والميل إلى القتال، والاستجابة الجنسية الفورية؛ كلها سماتٌ مميَّزة للإنسان)) ويرى ديورانت أن: ((المرأة هي التي طوَّرت الزراعة)) ويقول: ((تَمَدُّن الرجل جزئيٌّ فقط، وقد قوبل التحضُّر بممانعة شديدة منه. وبالتدريج أخذ الرجل يتعلَّم من المرأة الخصال الاجتماعية: حُب الأسرة، والشفقة، والحنان، والرزانة والرصانة، والاستعداد للتعاون والنشاط الاجتماعي. وتَعيَّن هنا أن يعاد تعريف الفضيلة كخاصيَّة لابد منها لبقاء الجماعة؛ ومن هنا بدأت الحضارة)) فكأن المرأة هي التي خلقت القيم الاجتماعية وهي التي كَوَّنت أخلاق المودة والتراحم والشفقة. ويضيف ديورانت: ((الحضارة تعني صيرورة الناس مواطنين متمدنين؛ يغدو الأفراد متمدنين متحضرين؛ عندما يأمنون على أنفسهم)) لكنه يؤكد بأن الطبيعة البشرية مقاومة للتحضر؛ ويرى بأن انتماء الأفراد لمجموعات مختلفة يجعلهم ينحازون تلقائيًا للمجموعة التي ينتمون إليها ضد كل المجموعات الأخرى فيقول: ((بدأ النزاع العميق المتواصل ما بين الطبيعة والحضارة؛ ما بين الغرائز الفردانية المتجذرة عميقًا في الإنسان؛ إبَّان مرحلة الصيد الطويلة، والميول الاجتماعية التي تكوَّنت لديه على نحو ضعيف بفعل الحياة المستقرة الحديثة العهد)) ويضيف: ((ولأن حماية المستوطنة؛ لا تتم إلا من خلال الاتحاد والتآزر في العمل؛ فقد صار التعاون بين الأفراد؛ أداةً للتنافس بين الجماعات)) فكل مزية بشرية تنشأ عنها نقيصة مضادة؛ فالتعاون بين أفراد أية مجموعة، يجعلهم بشكل تلقائي ضد المجموعات الأخرى. إن الناس يغفلون عن أنهم محكومون بتحيزات تتحكم بهم من دون انتباه؛ التحيز للنفس، والتحيز للقريب، والتحيز للقبيلة، والتحيز للمذهب، والتحيز للغة، والتحيز للتاريخ، والتحيز للمكان، والتحيز لمجال التخصص، والتحيز للقرية أو المدينة؛ إن كل إنسان محكومٌ بحشد من التحيزات التي لا يدركها ولا ينتبه لها؛ وهذه إحدى المعضلات البشرية المزمنة.

وهكذا بعد البحث الممض، والاستقصاء المتعمق؛ تبدَّد انبهاري بالحضارة الغربية كليًا؛ فإذا عُرف السببُ بطَل العجب؛ فقد أدركتُ بأن التحولات الثقافية والأدبية والعلمية والتقنية والعسكرية والاجتماعية والسياسية التي حصلت في أوروبا؛ قد استغرق إنجازها قرونًا، وأن المخترعات الباهرة لم تكن كذلك في بداياتها وإنما مرت بمراحل من الإخفاق والنجاح المبدئي ثم تواصلت التحسينات لتصلنا بعد اكتمالها؛ وعلى سبيل المثال؛ فإن طائرة الأخوين رايت تختلف كليا عن الطائرة التي نراها اليوم، إن دور المخترع هو إبراز الفكرة، وتأكيد الإمكانية، ومثلها السيارة، وهكذا بقية المخترعات الباهرة؛ هي نتاجُ تعديلاتٍ متواصلة، وثمرةُ تحسيناتٍ سرمدية؛ وأهم من ذلك كله أنها لم تتحقق طبقًا لرؤية جماعية مسبقة وإنما قد جاءت استجابةً لأحداثٍ قوية ضاغطة، أو بمبادرات عبقرية فردية معزولة، ولم تتحقق بمعارف علمية كاشفة فارقة، ولا طبقًا لخطة مسبقة؛ وإنما جاءت على شكل فلتات فردية عبقرية إبداعية خارقة تجمَّعت في النهاية لتصير على هذا النحو الباهر، كما هي حال النهر الزاخر الذي هو مجموع قطرات المطر. أما الأحداث المحرِّكة والضاغطة؛ فهي مثل الحصار التركي لأوروبا من الشرق، حيث لم يعد لدى أوروبا منفذ للتواصل والتعامل مع الأمم الأخرى؛ فاندفعتْ أوروبا تبحث عن مَخرج من هذا الحصار الخانق، ومثل رحلة ماركو بولو التي أججت خيال الأوروبيين عن الصين وعن الشرق عموما، ومثل اختراع المطبعة الذي أشاع المعرفة، ومثل فَتْح الأتراك للقسطنطينية الذي أخاف أوروبا وزلزل ركودها، وأدى إلى نزوح العلماء والفلاسفة من القسطنطينية إلى أوروبا فأسهموا في تحريك الجمود الثقافي، ومثل اكتشاف كوبرنيكوس الذي زلزل الثوابت الثقافية فأفاق الأوروبيون من سباتهم، ومثل انشقاق مارتن لوثر عن الكنيسة؛ وانقسام أوروبا؛ أما العامل الأكبر في الزلزال الأوروبي فإنه جاء من نجاح مغامرة كولمبس؛ فهذه المغامرة فجَّرت طاقات أوروبا؛ وفتحت لها أبواب المغامرات؛ فالإنجازات الأوروبية في الأصل كانت اندفاعات تلقائية؛ أسفرت عن إنجازات عمليَّة ولم تكن إنجازات فكرية أو علميَّة؛ وكانت النجاحات الأولى اندفاعيَّة تمثلت في سلسلة من المغامرات الناجحة ولم تكن محكومة بخُطط أو رؤية، كما أنها لم تتحقق كطفرة وإنما استغرقت قرونًا من الاخفاقات والمحاولات والأخطاء.

> * المخترعات الباهرة تحققت بمبادرات فردية معزولة وليس برؤية جماعية مسبقة
>
> * الإنجازات الأوروبية استغرقت قرونًا من الإخفاقات والمحاولات والأخطاء
>
> * المرأة هي التي دجَّنت الأغنام والكلاب والحمير. بل إنها هي التي دجَّنت الرجل ذاته
>
> * كل إنسان محكوم بحشد من التحيزات التي لا يدركها ولا ينتبه لها
>
> * بعد الاستقصاء المتعمق تبدَّد انبهاري بالحضارة الغربية كليًّا

الرياض في ذاكرة السفير التركي..

د. أمر الله أشلر: بدأت طالبًا في جامعة الملك سعود، وعدت إليها أستاذًا، ثم سفيرًا لبلادي.

لقاء: بندر الهاجري
b__alhajri@

في حي السفارات بالرياض، حيث تتقاطع الدبلوماسية مع حكايات التاريخ والعلاقات الإنسانية، جمعني بسفير جمهورية تركيا لدى المملكة، البروفيسور أمر الله اشلر، لقاء أعاد إلى الذاكرة محطات من علاقته بالعاصمة السعودية، التي عرفها شابًا قادمًا من تركيا عام ١٩٧٩، يحمل شغفًا باللغة العربية وطموحًا علميًا قاده، بعد عقود من الدراسة والتدريس والعمل السياسي، إلى العودة للمدينة نفسها ممثلاً دبلوماسيًا لبلاده.

تحمل تجربة اشلر خصوصية تتجاوز المسار الوظيفي المعتاد للدبلوماسيين. فقد ارتبطت علاقته بالمملكة بثلاث مراحل متعاقبة، بدأت طالبًا في جامعة الملك سعود، ثم أستاذًا جامعيًا لتدريس اللغة التركية، وصولًا إلى منصبه سفيرًا للجمهورية التركية في الرياض.

من جامعة الرياض إلى الملك سعود

يستعيد اشلر بدايات رحلته عام 1979، حين وصل إلى العاصمة السعودية والتحق بمعهد اللغة العربية، قبل أن يواصل دراسته في كلية التربية بالجامعة التي كانت تحمل آنذاك اسم "جامعة الرياض". ويتذكر أن الجامعة شهدت خلال فترة دراسته تغيير اسمها إلى جامعة الملك سعود، وهو تحول بقي حاضرًا في ذاكرته بوصفه جزءًا من تجربته التعليمية في المملكة.

أما الدافع الأول لتعلم العربية، فتعود جذوره إلى طفولته في تركيا، حيث نشأ في أسرة كان للعلم الشرعي واللغة العربية حضور بارز فيها. فقد كان والده شيخًا أزهريًا تخرج في جامعة الأزهر، واعتاد إلقاء المواعظ في المساجد، كما كان يلتقي أصدقاءه من خريجي الأزهر ويتحدث معهم بالعربية.

أثارت تلك الأحاديث فضول الابن الصغير، الذي كان يتطلع إلى فهم ما يدور بينهم. ومن تلك الرغبة المبكرة بدأت علاقته باللغة التي ستصبح لاحقًا مفتاحًا لمسيرته العلمية والمهنية.


السفير التركي د. أمر الله اشلر

الغرفة الجامعية التي صنعت الفارق

من التفاصيل الإنسانية التي تستوقف المتأمل في تجربة السفير التركي اختياره السكن مع طلاب سعوديين بدلًا من الإقامة مع زملائه الأتراك. كان يدرك أن إتقان اللغة يحتاج إلى ممارسة يومية تتجاوز قاعات المحاضرات، ولذلك اختار أن يعيش في بيئة عربية تساعده على الاستماع والتحدث واكتساب المفردات والتعبيرات المتداولة. ويؤكد أن مخالطته زملاءه السعوديين أسهمت بصورة كبيرة في سرعة تعلمه العربية، وأنه كان يقضي معظم وقته بين الدراسة والمذاكرة وممارسة اللغة مع أصدقائه. وفي استعادته تلك السنوات، يشيد بالمستوى الأكاديمي الذي عرفته جامعة الملك سعود، وبجودة التعليم الذي تلقاه فيها، مؤكدًا اعتزازه الدائم بالانتماء إلى هذا الصرح الأكاديمي العريق.

وتتجاوز ذكريات اشلر حدود القاعات الدراسية إلى تفاصيل الحياة الجامعية التي عاشها في الرياض. فقد وفرت له الجامعة منحة دراسية وسكنًا جامعيًا ووجبات يومية، إلى جانب المرافق الرياضية والترفيهية التي أتاحت للطلاب ممارسة أنشطتهم المختلفة. ويتذكر السفير أنه تعلم السباحة في مسبح جامعة الملك سعود، وكان يقضي أوقاتًا مع أصدقائه في الملاعب لممارسة كرة القدم. تبدو هذه التفاصيل صغيرة في ظاهرها، لكنها تكشف عن جانب مهم من تجربته السعودية، حيث امتزج التحصيل العلمي بالحياة الاجتماعية، وتشكلت صداقات وذكريات ظلت حاضرة في وجدانه بعد مغادرته المملكة. ويستعيد كذلك تعاون

الأساتذة والطلاب السعوديين معه، وما وجده من اهتمام ومساندة أسهما في تيسير تجربته الدراسية، حتى إنه يصف سنواته الأولى في الرياض بأنها خلت من الصعوبات الكبيرة التي قد يواجهها الطالب عند انتقاله إلى بلد آخر.

من الرياض إلى أنقرة

بعد إتمام دراسته في جامعة الملك سعود عام 1985، عاد اشلر إلى تركيا لاستكمال مسيرته الأكاديمية، فالتحق بالدراسات العليا في مجال التفسير، وحصل على درجة الدكتوراه عام 1993.

ثم اتجه إلى تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، وعمل محاضرًا قبل أن ينضم إلى هيئة التدريس في جامعة غازي، مواصلًا نشاطه العلمي حتى حصل على درجة الأستاذية عام 2004. وتكشف هذه المرحلة عن الأثر الممتد لتجربته السعودية، إذ تحولت اللغة التي جاء إلى الرياض لتعلمها إلى تخصص أكاديمي ومجال للتدريس والبحث العلمي. ثم جاءت محطة أخرى أعادته إلى جامعة الملك سعود، هذه المرة أستاذًا جامعيًا لتدريس اللغة التركية، في مفارقة تختصر مسارًا من التبادل المعرفي بين البلدين. فالطالب التركي الذي قصد الرياض لتعلم العربية عاد إليها ليعلم لغته الأم، في صورة تعكس قدرة المؤسسات الجامعية على بناء روابط علمية وثقافية تستمر عبر الأجيال.

مساهماته في مجلة جامعة الملك سعود

وفي أرشيف جامعة الملك سعود عدد من المشاركات العلمية التي توثق صلته بها، طالبًا وأستاذًا وباحثًا. ومن بينها دراسة بعنوان «الأصوات اللغوية في التركية والعربية: دراسة تقابلية»، نشرها في مجلة جامعة الملك سعود، المجلد السادس عشر، الصادر عام 1424هـ (2004م). وكان أشلر وقت نشر الدراسة أستاذًا مشاركًا في قسم اللغات الأجنبية بكلية التربية في جامعة غازي بأنقرة، وأستاذًا زائرًا في قسم اللغات الآسيوية بكلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود.

وتناولت الدراسة أوجه التشابه والاختلاف بين النظامين الصوتيين، والصعوبات التي تواجه الناطقين بالعربية عند تعلم نطق الأصوات التركية. واستند فيها إلى فرضية التحليل التقابلي في تحديد الاختلافات بين فونيمات اللغتين، مستعينًا بأمثلة من الأخطاء الصوتية التي رصدها لدى طلاب سعوديين يتعلمون التركية. كما تناول أثر الكلمات العربية الدخيلة في اللغة التركية، وما قد تسببه من صعوبات إضافية للطلاب العرب في اكتساب النطق التركي الصحيح.

وتكشف هذه الدراسة عن امتداد اهتمام البروفيسور أشلر باللغتين من تعلم العربية وتدريس التركية إلى البحث في خصائصهما الصوتية، ورصد التحديات التي تواجه المتعلمين في الانتقال بين النظامين اللغويين.

العربية تفتح أبواب السياسة والدبلوماسية

امتد أثر اللغة العربية في حياة اشلر إلى العمل السياسي، حين بدأ عام 2006 العمل مستشارًا أول للرئيس التركي، وتولى مهام الترجمة خلال لقاءاته مع عدد من الملوك والرؤساء. وأتاح له هذا الدور حضور اجتماعات سياسية رفيعة المستوى، والتعرف عن قرب على



السفير التركي مع المحرر

شخصيات قيادية سعودية، من بينها الملك عبد الله بن عبد العزيز، رحمه الله، والأمير سعود الفيصل، رحمه الله. ويستعيد باعتزاز معرفة تلك الشخصيات بخلفيته التعليمية، مشيرًا إلى أن انتماءه إلى خريجي جامعة الملك سعود كان موضع تقدير خلال لقاءاته بهم. وهكذا تحولت العربية من رغبة شخصية نشأت في منزل والده إلى أداة للتواصل السياسي والدبلوماسي، وأسهمت في توسيع آفاق تجربته المهنية.

العودة الثالثة.. سفيرًا في الرياض

بعد مسيرة جمعت التعليم الجامعي والعمل السياسي، عاد اشلر إلى العاصمة السعودية سفيرًا لجمهورية تركيا، لتكتمل ثلاثية الطالب والأستاذ والدبلوماسي. وتحمل هذه العودة دلالة شخصية خاصة، فالمكان الذي استقبله شابًا في أواخر السبعينيات أصبح مقر عمله الدبلوماسي بعد أكثر من أربعة عقود. وفي هذه التجربة يتجلى وجه من وجوه العلاقات السعودية التركية يتجاوز الاتفاقيات والزيارات الرسمية، ويتمثل في الروابط الإنسانية والعلمية التي تتشكل بين الأفراد والمؤسسات، ثم تتحول بمرور الزمن إلى جسور للتواصل بين المجتمعات. ويعكس مسار السفير كذلك مكانة جامعة الملك سعود بوصفها مؤسسة تعليمية استقطبت طلابًا من دول مختلفة، وأسهم خريجوها لاحقًا في مجالات أكاديمية وسياسية ودبلوماسية متعددة.

الرياض في ذاكرة السفير

يحضر الامتنان بوضوح في حديث اشلر عن المملكة، ولا سيما حين يتذكر ما وجده من كرم وحفاوة خلال سنوات إقامته الأولى. ويرى أن رحلته إلى الرياض عام 1979 فتحت أمامه آفاقًا جديدة للتعرف على العالم الخارجي، وأسهمت في تشكيل شخصيته العلمية والمهنية. ويختصر تجربته باعتزازه بما قدمته له المملكة من فرص تعليمية وإنسانية، وبالذكريات التي احتفظ بها عن زملائه وأساتذته وحياته الجامعية.

كما يوجه رسالة إلى الطلاب السعوديين يدعوهم فيها إلى إتقان اللغة العربية، والاهتمام بتخصصاتهم العلمية، والاستفادة من الإمكانات التعليمية المتاحة لهم.

وفي ختام استعادة هذه المسيرة، تبدو علاقة أمر الله اشلر بالرياض أكثر من ذكرى دراسية قديمة. إنها حكاية بدأت بشغف طفل أراد فهم الأحاديث العربية التي كان يسمعها في منزل والده، ومرت بمقاعد الدراسة والسكن الجامعي وملاعب الجامعة، ثم امتدت إلى قاعات التدريس ومجالس السياسة والدبلوماسية.

وبين الرياض التي وصل إليها طالبًا عام 1979، والرياض التي عاد إليها سفيرًا بعد عقود، تتجسد قصة إنسانية عن أثر التعليم في صناعة المستقبل، وعن مدينة ظلت حاضرة في ذاكرة أحد خريجي جامعتها، حتى أعادته إليها الحياة في موقع مختلف ومسؤولية جديدة.

متابعات

ملف الدعم تحوّل إلى إدارة رسمية في وزارة البلديات ..

الأميرة نجود بنت هذلول: سنصنع الفرص للباعة الجائلين ونحفظ كرامتهم.

طلال لبان

بين أرفف خشبية منظمة، وعشرات العبوات المصفوفة بعناية من البهارات والأعشاب والمنتجات الشعبية، تجلس بائعة حائلية اليوم داخل محلها الخاص، في مشهد يختصر رحلة كفاح وصبر امتدت لعامين، نقلتها من بائعة متنقلة تفترش «بسطة» متواضعة، إلى صاحبة مشروع تجاري مستقر ومستدام.

بدأت حكاية هذه السيدة قبل نحو عامين في «سوق زمان» بمدينة حائل؛ حيث كانت تعمل كتاجرة متنقلة، تواجه يوميًا تحديات التقلبات الجوية، وعدم استقرار الموقع، ومحدودية رأس المال، وارتفاع التكاليف التشغيلية. ورغم هذه التحديات، لم تفقد شغفها بالعمل، واستمرت في كفاحها اليومي لتوفير مصدر رزق كريم.

ومع مرور الوقت، وتضافر جهود الدعم والتمكين الموجهة للتجار المتنقلين، استطاعت البائعة أن تخطو خطوتها الكبرى؛ فانتقلت من البيع العابر في البسطة إلى



الأميرة نجود بنت هذلول

افتتاح محلها التجاري الخاص، بمواصفات أفضل وتكلفة إيجار أقل، مما أتاح لها تنظيم بضائعها، وتنويع منتجاتها، وتعزيز فرص استمرارية مشروعها.

لا تمثل هذه النقلة مجرد تغيير في موقع البيع، بل تحولًا في جودة الحياة والاستقرار المهني والأسري؛ وهو الهدف الأسمى الذي تسعى إليه مبادرة «بيت ومستقبل» المنطلقة من حائل، والتي تهدف إلى نقل التاجر المتنقل من دائرة الفرص المؤقتة إلى آفاق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي لأسرته، تحت شعار: «من بسطة.. إلى أسرة مستقرة».

نجود بنت هذلول لـ«اليمامة»: من المبادرات إلى الاستدامة

وتأتي هذه النجاحات الميدانية بالتزامن مع نقلة مؤسسية مهمة، تمثلت في تحول ملف دعم وتطوير وتمكين الباعة الجائلين إلى إدارة رسمية في وزارة البلديات والإسكان.

وفي تصريح خاص لـ«مجلة اليمامة» حول هذا التحول المؤسسي، أوضحت صاحبة السمو الملكي الأميرة نجود بنت هذلول بن عبدالعزيز آل سعود، المشرف العام على إدارة الباعة الجائلين بوزارة البلديات والإسكان، أن تحول ملف دعم وتطوير وتمكين الباعة الجائلين إلى إدارة رسمية في الوزارة يمثل لحظة فخر وامتنان، ويأتي ثمرةً لعمل دؤوب وجهود متواصلة بذلها فريق العمل.

وأشارت سموها إلى أن هذا المسار لم يكن مجرد عمل روتيني، بل



رسالة ومسؤولية وهدف سعى الفريق إلى تحقيقه؛ لضمان حصول كل بائع جائل على فرصته، وتوفير بيئة عمل تحفظ كرامة أصحاب الرزق وتدعم طموحاتهم.

ورفعت سموها بهذه المناسبة أسمى آيات الشكر والامتنان لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز -حفظهما الله- على ما تحظى به جميع فئات المجتمع من رعاية واهتمام وتمكين، مثمنةً



دعم معالي وزير البلديات والإسكان الأستاذ ماجد الحقيل، وإخلاص فريق العمل وصبره، وما أسهمت به جهوده من بصمات في الوصول إلى هذه المرحلة.

واختتمت سموها تصريحها لـ«اليمامة» بالتأكيد على أن إنشاء هذه الإدارة يمثل بداية مرحلة جديدة تتجاوز الاحتفاء بالمنجز المؤسسي، لينتقل العمل فيها من إطار المبادرات إلى الاستدامة، ومن الدعم إلى التمكين، ومن مجرد تنظيم النشاط إلى صناعة الفرص، في وطنٍ يمنح الطموح فرصة حقيقية ليصبح واقعًا ملموسًا.

صدر حديثا

كتاب جديد يوثق لقاءاته مع رموز الأدب والثقافة..

محمد رضا نصر الله يستعيد ذاكرة الثقافة الخليجية وسجالات الفكر العربي

اليمامة ــ خاص

يستعيد الكاتب والإعلامي الكبير محمد رضا نصر الله محطات من تاريخ الثقافة الخليجية والعربية، عبر كتابه الجديد «قضايا وسجالات في الفكر المعاصر والأدب الحديث»، الصادر عن دار «روايات»، التابعة لمجموعة «كلمات» في الشارقة عام 2026، مقدماً شهادات وقراءات نقدية في تجارب عدد من أبرز الأدباء والمفكرين، ومستحضراً سجالات فكرية وأدبية أسهمت في تشكيل المشهد الثقافي العربي خلال العقود الماضية.

ويمنح الكتاب حضوراً لافتاً للتجربة الثقافية الخليجية، التي شكلت نافذة نصر الله الأولى على عالم الأدب والفكر؛ إذ يستعيد في مقال «صور معهم» علاقته المبكرة بالبحرين، ورحلته إليها عام 1971، ولقاءاته بأدبائها، وفي مقدمتهم إبراهيم العريض وحسن جواد الجشي، إلى جانب شعراء جيل السبعينيات، ومنهم علوي الهاشمي وعلي عبدالله خليفة وقاسم حداد ومحمد عبد الملك. كما يتوقف عند دور المكتبات والمنتديات الثقافية الخليجية في تشكيل وعيه الأدبي، وفتح آفاق التواصل مع التجارب العربية.

ويتسع هذا الحضور ليشمل الثقافة السعودية، من خلال مقالات عن غازي القصيبي وحمد الجاسر وخالد الفرج وعلي الدميني وعبدالله بن خميس، تتناول جوانب من تجاربهم الفكرية والأدبية، وتعيد قراءة إسهاماتهم في الحياة الثقافية. كما يخصص مساحة لتاريخ الثقافة في القطيف، مستعيداً سيرة خالد الفرج ودوره الأدبي والاجتماعي، ومناقشاً بعض الروايات المتعلقة بتجربته، إلى جانب وقفات مع المشاركة الكويتية في الثقافة العربية، وعلاقة الهوية بالمكان.

ومن هذه الذاكرة الخليجية ينطلق المؤلف إلى فضاءات عربية أوسع، مستعيداً رحلته إلى القاهرة عام 1974 ولقاءاته بتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأمل دنقل، وما ارتبط بها من حوارات وسجالات حول الأدب والفكر والتحولات السياسية والاجتماعية. كما يوثق زياراته إلى العراق ولقاءاته بأدبائه، ومنها زيارته منزل الشاعر بدر شاكر السياب في جيكور، متأملاً صلة المكان بالذاكرة والتجربة الشعرية.

وفي محور الأدب الحديث، يتناول الكتاب تجارب شعرية عربية بارزة، من السياب وأدونيس ومحمود درويش وسميح القاسم وفدوى طوقان إلى نزار قباني، متوقفاً عند تحولات القصيدة العربية واتجاهات الحداثة، ومقدماً مواقف نقدية من قصيدة النثر، وما يراه المؤلف من تفاوت بين التجارب المؤسسة والمحاولات التي اكتفت بتقليد أشكالها.

كما يناقش تحولات النقد الأدبي ومناهجه، من البنيوية إلى النقد الثقافي، متسائلاً عن أثر انتقال النظريات الغربية إلى البيئة العربية ومدى استيعاب سياقاتها المعرفية والاجتماعية. ويتناول، في سياق الفكر العربي المعاصر، مشاريع محمد عابد الجابري ومحمد جابر الأنصاري وعبدالوهاب المسيري ومحمود أمين العالم وفؤاد زكريا وعبدالسلام بنعبد العالي، من خلال قضايا التراث والحداثة والهوية والتجديد الفكري.

ويجمع الكتاب بين المقالة النقدية والشهادة الشخصية والسيرة الثقافية، مستفيداً من تجربة نصر الله الصحافية ولقاءاته المباشرة مع رموز الثقافة العربية، ليقدم قراءة تتجاوز استعادة الوقائع إلى مراجعة الأفكار والمواقف، وتوثيق جانب من التحولات التي شهدتها الحياة الثقافية الخليجية والعربية.



المواطنة ومساحات الفعل الفردي.

مقال



خلود الدباسي

تضعنا الأحداث التي تمس أمان وطننا وسلامة أهله أمام مفارقة، إذ يتعاظم شعورنا بالمسؤولية تجاه ما يحدث، في الوقت الذي تبدو فيه قدرتنا الفردية على التأثير المباشر محدودة، وفي المسافة بين الرغبة في المساهمة ومحدودية ما نملكه من وسائل، يلحّ على الذهن سؤال: «وش أقدر أسوي؟».

وإذا بحثنا عن الإجابة من خلال قياس مستوى قدرتنا على التأثير بمعيارٍ موازٍ لحجم الحدث نفسه، ستبدو الخيارات شبه معدومة أو غير مجدية؛ ولعل السبب كامن في عدسة النظر التي ترى إما فعل قادر على إحداث أثر جوهري، أو أن ما عداه غير مهم. ومع استمرار النظر من خلال تلك العدسة يتنامى في النفس شعور بالعجز وقد يتحول إلى قناعة راسخة بعدم جدوى المحاولة في صورة تقترب من مفهوم «العجز المتعَلّم» (1)، وهكذا نغفل عن مساحات التأثير المتاحة من خلال الأدوار والقرارات اليومية العادية، والأثر الذي يتعاظم بالتكرار واتساع نطاق ممارستها.

تشكل قراراتنا الشرائية اليومية مثالًا على مساحات الفعل التي كثيرًا ما تُمارس دون وعي بآثارها المتجاوِزة؛ فكل عملية شراء هي بمثابة تصريح بالرغبة في هذا المنتج أو تلك الخدمة، ومع تكرار الطلب واتساع دائرة المستهلكين، تتجاوز الكتلة المجمّعة لهذه القرارات حدود إيرادات المنشأة، لتنعكس على نشاط مورديها والقطاعات المرتبطة بها، وصولًا إلى المحصلة الاقتصادية التراكمية على المستوى الوطني(2). فحين يتجه الطلب نحو منتجات تعتمد على الأيدي العاملة والمواد والخدمات المحلية، تبقى حصة أكبر من قيمتها داخل المملكة، مقارنة بما يُنفق على السلع والخدمات المستوردة. هذا الإدراك من شأنه أن يجلي الضبابية عن عدسة النظر، فيصير بمقدورنا رؤية ما بإمكان قوتنا الشرائية كأفراد أن تحدثه في المشهد الاقتصادي الأوسع، وما يستدعيه ذلك من مراجعة معايير المفاضلة بين المنتجات وفهم أبعاد اختيار المنتج المحلي ودعمه.

وكلما ازداد وعينا بما نملكه من صلاحيات، اتسعت رؤيتنا لمساحات المسؤولية والتأثير المتاحة، والتي تتجاوز حدود ما نختاره بصفتنا مستهلكين. فعلى سبيل المثال، عند ممارسة الصلاحيات الوظيفية لاختيار الموردين أو المفاضلة بين عروض الأسعار، تعكس المعايير التي نستند إليها في اتخاذ القرار مدى إدراكنا لمسؤوليتنا المؤسسية، وللدور الذي يمكن أن نؤديه من خلال توجيه إنفاق المنشأة؛ سواء في اختيار المواد الخام والتجهيزات للمشاريع الكبرى، أو حتى في تأمين القهوة والمستلزمات اليومية لمقر العمل. فإلى جانب مستوى الجودة وكفاءة الإنفاق، يمكن أن يدخل أثر الإنفاق في الاقتصاد المحلي ضمن المعادلة التي تحكم قرارات المنشأة الشرائية؛ إذ يسهم منح الموردين المحليين أولوية عند اتخاذ قرارات الشراء بتوسيع فرص مشاركتهم في سلاسل التوريد، ودعم استمرار أعمالهم ونموها. ومع اتساع نطاق الطلب، تتعزز فرص الاستثمار في تطوير القدرات الإنتاجية وتزداد الحاجة إلى الأيدي العاملة، وما ينتج عنها من توفر فرص عمل جديدة. وبذلك يتضح بُعد أوسع لممارسة الصلاحيات، يتجاوز حدود مصالح المنشأة المباشرة.

ثمة مساحة أخرى للتأثير لا تقل أهمية، وهي مسؤوليتنا تجاه المعرفة؛ فبينما ننشغل نحن البالغين باستيعاب سياقات المشهد والإحاطة بمجريات الأحداث، يواجه الأطفال صعوبة في فهم ما يعايشونه أو يتلقونه من أخبار وصور، وما يصاحب ذلك من مشاعر تتجاوز مقدرتهم على تفسيرها والإفصاح عنها. أضف إلى ذلك تفاوت قدرات الأفراد في الوصول إلى المصادر الموثوقة، في ظل فيضٍ من منصات الإعلام التي تختصر مشقة الوصول إلى الخبر، في مقابل مضاعفة الجهد المبذول في التثبت من صحته.

ولطالما كانت المعرفة مصدر قوة تمنح صاحبها القدرة على التفاعل مع ما يحيط به من مركز أكثر اتزانًا، وتخفف من وطأة الخوف الذي تغذّيه المساحات المجهولة. إلا أن قيمة هذا الامتياز يجب ألا تقف عند حدود مكتسبات الفرد، فبمثل ما يتعاظم رأس المال بالاستثمار، يتعاظم أثر المعرفة بالمشاركة والتمكين. ويتجلى ذلك في أبسط صور التفاعل الإنساني؛ سواء بتيسير الوصول إلى المعرفة الموثوقة ودحض الأخبار الزائفة، أو بتعلّم الأساليب التربوية والنفسية لمساعدة الأطفال على فهم ما يجري بالقدر المناسب دون إغراق في التفاصيل. ولا يتطلب القيام بذلك امتلاك إجابة عن كل سؤال، بقدر ما يستدعي استعدادًا واعيًا للإصغاء وخوض هذا الحوار، وإدراك أن التصريح بعدم امتلاك الإجابة الفورية أحيانًا جزء من التعامل المسؤول مع تساؤلات الطفل.

قد لا نمتلك جميعًا القدرة على التأثير المباشر في مجريات الأحداث، لكننا نملك، كلٌ من موقعه، صلاحيات ودرجات من المعرفة تتيح سبلًا مختلفة للمساهمة. ولعل الإجابة عن سؤال «وش أقدر أسوي؟» تبدأ من الانتباه إلى تلك السبل، وإدراك ما تحمله القرارات العادية من أثر يتجاوز لحظة اتخاذها، ليتبلور تبعًا لذلك وعي بأنك ربما لست مكبّلًا بقلة الحيلة، أنت فقط غير مدرك للمدار الذي تؤثر فيه حيلتك.

---

(1) ارتبط مصطلح «العجز المتعلم» بأبحاث عالميّ النفس مارتن سليغمان وستيفن ماير في ستينيات القرن الماضي، ويشير إلى حالة يتكوّن فيها لدى الفرد اعتقاد بعدم القدرة على التأثير في النتائج، إثر التعرض المتكرر لمواقف خارجة عن السيطرة، مما يؤدي إلى تراجع المبادرة والمحاولة حتى حين تصبح إمكانية التأثير متاحة.

(2) شرّح عالم الاقتصاد النمساوي مفهوم «سيادة المستهلك» في كتابه «الفعل الإنساني»، إذ يقول إنه بخلاف فعل الانتخاب في السياسات الديموقراطية، حيث تحسم أصوات الأغلبية النتيجة، ولا يكون لأصوات الأقلية تأثير مباشر في تحديد مسار السياسات، أما في السوق يحتفظ كل مبلغ بقدرته على التأثير في توجيه الإنتاج، مهما بدت مساهمته محدودة.

حديث الكتب

قراءة في مجموعة «الأحساء خفايا الأرواح»
للقاص عبد الله النصر..

المكان وتقنيات الحوار الدرامي والمشهد السوريالي والمفارقة الختامية.



محمد الحميدي
@mo992001

يحضرُ المكان في البناءِ السردي كعنصر موجِّه للحدث، ومساعدٍ في بناءِ الشخصية، وعاملٍ من عوامل إدراكِ المعنى، لكنْ حينما يتكرَّر يصبح دلالة مقصودةً لذاتها، وعليه ستنبني بقيَّة العناصر والتقنِيَات، وهذا ما تطرحهُ مجموعةُ "الأحساء خفايا الأرواح"، للكاتبِ عبد الله النصر.

الغلافُ الخارجي كشفَ دلالةَ المجموعة، إذْ حضرتِ لفظة "الأحساء" باعتبارها الأهمَّ من ناحية التركيزِ البصري؛ لتستحوذَ على اهتمامِ المتلقي، فهيَ أول ما يُصادفه، ويقعُ خلفها قمرٌ ومبانٍ وكثبان وأنهارٌ وأشباح، وهي تناقضاتٌ لا تجتمع إلا في مكانٍ أسطوري.

الاحتفاءُ بتناقضات الأحساءِ مؤشر على الحنينِ إلى الأرض، وهو أمر كشفهُ الإهداء: "إلى الأرواح التي لم تسكنِ الأحساءَ، بل كانت ذرةً لطينةٍ عُجنت من طينها، ولم تغب، وإن غابت، مخلفةً في تربتِها الدافئةِ مهداً، وفي نخلها الوارف ظلّا، وفي حَجَرها الصامتِ لساناً، لا زال يناديها".

المجموعةُ القصصية تشتغلُ ضمن مستويين؛ الأوَّل مستوى السردِ التاريخي باعتباره الدلالةَ المقصودة؛ لهذا ذُكِرت أسماء الأماكنِ التي تُشتهر فيها: "بحيرة الأصفر – نهر سليسل العظيم – المدرسة الأميرية – القيصرية – برج أبو زهمول – شاطئ العُقير – مسجد جواثا العتيق – قصر إبراهيم – بيت البيعة – تلة المحيرس – عين الجوهرية – المنتزه الوطني – جبل القارة – مغارة النشاب الجبلية".

الثاني مُستوى التقنِيَات السردية التي تمَّ توظيفها لخدمةِ المستوى الأوَّل، وتتكوَّن من: أ) الحوارِ الدرامي. ب) المشهدِ السُّوريَالي. ج) المفارقةِ الختاميَّة.

أ) يظهرُ الحوار الدرامي في قصَّة (سليسل العظيم) بينَ "كويظم" و"طويهر"، اللذين يتجادلانِ بشأن جفاف نهرِ سليسل، وفي قصَّة (بحيرة الأصفر) يظهرُ بين "سعيد" و"عزيز" وهما يتداولانِ بشأن خريطةٍ قديمةٍ تشير لكنزٍ، وفي قصَّة (قيد القصر الأبدي) بينَ "عباس" و"حسن"، وفي قصَّة (أصداء جواثا) بينَ "علي" و"محمد"، وفي قصَّة (صمت العقير) بينَ "عبد الله" و"سعيد"، وفي قصَّة (المحيرس ينسج الذكريات) بينَ "سعيد" و"نور"، أمَّا في قصَّة (المدرسة الأميرية) فجاءت الحواريَّة داخلية بينَ "حسن" و"بين نفسه"؛ لاستكشافِ أسرار المدرسة من خلالِ رسالة تركها له جدُّه.

ب) المشهد السُّوريَالي يتمثَّل في الأحداث الفنتازيَّة غير القابلةِ للتصديق، فأثناءَ احتدام الجدالِ بين كويظم وطويهر في قصَّة (سليسل العظيم): "الأرض تهتز، فجأة. ليس بقوة الزلازل، بل وكأنها تستجيبُ لنداء غامضٍ. الفطورُ الظاهرةُ على سطحها تبدأ في الانفتاح، ويتسللُ من الأعماقِ بريقُ ماءٍ شاحبٍ، أشبهُ بسرابٍ يعكس سماءً لا يراها سوى كويظم، الذي يرتفعُ صوته، صارخاً: سليسلُ يعود، لكنه لا يريدُ الجميعَ. فقط يريدُ من يؤمنون به.

أقدامُ طويهر تتراجعُ بضع خطواتٍ إلى الوراء، نظراته تائهةٌ بين كويظم والأرض. ثم يطلقُ ضحكةً مشوبةً بالخوف، ويقولُ: هل هذا اختبارٌ؟ هل تريدُ الأرضُ أن ترينا جنوننا؟

لكن كويظم يتجاهل، فيخطو نحو الضوءِ، يبدو وكأنهُ منجذبٌ إلى شيءٍ لا يستطيعُ مقاومته. يقول بهدوءٍ يشبهُ الصلاة: ليس جنوناً، بل الحقيقةُ. الأرضُ ليست مجرد ترابٍ. هي ذاكرةٌ، ونحن نخافُ الذاكرة.

طويهرُ يصرخ محاولاً إمساكهُ: عد، هذا خطرٌ!.

إلا أن قدمي كويظمَ تغوصان في الشقِّ، الضوءُ يُخفيه شيئًا فشيئًا، يبتلعهُ مع ملامحه، كأنهُ يعود إلى شيءٍ أعمق من الزمان نفسه. وتعقبها لحظةُ صمتٍ خانقٍ تسود المكان، ثم ينغلقُ الشقُّ ولا يبقى له بقاء"

أمَّا في قصَّة (بحيرة الأصفر) وأثناء حوارِ سعيدٍ وعزيز: "عزيزٌ يضحكُ، ثم يُخرج من جيبه ورقةً صفراء قديمةً،

ويقول: هذه خريطةُ جدي الذي كان يقول إنَّ البحيرة تخفي كنزاً تحت طينها. لكنَّ الأهالي يتهامسون أنَّها تبتلعُ من يقتربُ منها ليلًا!.

سعيدٌ يهزُّ رأسه، متذكرًا ما قرأه في الجرائد، ويقول: لكنَّ الحكومة حوَّلتها إلى محميةٍ طبيعيةٍ.. لأنه يقال إنها أكبرُ بحيرةٍ في الخليج، وتحمي المنطقة من الفيضانات، فضلًا عن أنها المكانُ الذي يأوي إليه الماءُ الفائضُ من المزارع.

قبل أن يتمَّ كلامه، انفتحَ الماء فجأةً كفكَّي وحشٍ. دوَّامة سوداء غارت وابتلعت عزيزًا في لمحةِ بصر، بينما صرخت طيورُ النحام وهربت.. سعيدٌ وقف مذهولًا، مشلولًا، مرعوباً، متألماً، صامتاً، يراقب فقاعات الهواءِ تتصاعد من الأعماق. راقبهُ حتى عاد كل شيءٍ إلى طبيعته، وعاد ماءُ البحيرة إلى لونه الأصفر الهادئ، وكأن شيئًا لم يكن".

وفي قصَّة (المدرسة الأميرية) وبينما "يتمتم حسنٌ بينه وبينَ نفسه: بماذا كنت تحاولُ أن تخبرني يا جدي؟ .. لماذا تركتَ هذه الرقعة لي وحدي؟ .. هل كنت تعلمُ أنني سأصل إلى هنا؟. قلَّب الصفحات، فتسلّلت إلى ذهنه ذكرياتُ الطفولة التي تربطهُ بالمدرسة. هو لا يبحثُ عن إجابةٍ مجردة، بل عن شيءٍ أعمق، عن سرٍّ دفن بين هذه حيطانها المقاومة.

نحوَ الباب الأمامي، يقتربُ أكثر، يتحسسُ خشبه البارد، يشعرُ بقشعريرةٍ ترعش جسمه، ثم يطالعُ رقعة جده مجددًا، فتقع عيناهُ على ملاحظةٍ غامضة: (الغرفةُ الشرقية ليست موضعًا عابرًا، بل هي حلقةُ الزمن المغلقة، من تخط قدمهُ في داخلها خطوةً، سيكون كالثلج الذي لا يقاومُ النار المستعرة)، فحدَّث نفسه مدهوشًا: الغرفةُ الشرقية؟!.. هل كانَ جدي يعلمُ أنني سأقرأُ هذا؟.. كيفَ يمكنُ للزمن أن يصبحَ دائرةً؟.

حينئذٍ تسللت خيوط ضوء القمر .. فكشفت عن مكتبٍ خشبي قديم، تحيط به رقاعٌ مهترئة، إحداها يحمل اسمه .. (حسنُ بن علي الحاج، سيأتي إلى الغرفة الشرقيةِ، وسيكتشفُ ما لا يجبُ أن يكشفَ له) .. تسارع نبضه، ابتلعَ ريقه، وتلفّت حوله. فإذا بالغرفة تتبدّل أمام عينيه، كأنَّها ليست كما كانت عليه. وإذا بالصفوفِ امتلأت بطُلاب بملابس تقليديةٍ، ثياب فضفاضة، غترٌ مسدلة بيضاء بلا عقال، ونعول جلدية مرمدة، عيونهم فارغةٌ كأنَّ الزمن قد أكلها. وعلى المنصةِ، يقفُ رجل صارم الملامح، يلبسُ بشتًا وعقالًا، يطالع حسنًا بنظرة باردةٍ ساكنة.

حسنٌ صرخ بدهشة: لا، هذا مستحيلٌ! محمدُ النحاس، مدير المدرسةِ، الذي ماتَ منذ عقودٍ؟!."

ج) المفارقةُ الخِتاميَّة هدفها إحداثُ صدمة لدى المتلقي، عبرَ إيجاد تناقُضٍ بين بداية الحكايةِ ونهايتها،



فقصَّة (سليسل العظيم) تبدأ وصفيَّة "وقف كويظمُ وطويهرُ، غريبانِ في أرضٍ ألفاها وألفتهم، يسيرانِ على ما كان يومًا شريانًا متشعباً حيًا، هو نهرُ سليسل العظيم"، لكنَّها تنتهي بأنَّ النهر العظيمَ الذي اختفى ولم يعد موجوداً؛ لم يجفَّ وحده، فهناكَ من تسبَّب بجفافه وعليه دفعُ الثمن، فأثناءَ عودة طويهر بعدَ ابتلاع الشقِّ لكويظم: "حدَّث نفسه: أدركُ أن سليسل لم يجفَّ وحده، بل جفّت النفوسُ أيضًا. النهرُ لم يختف، لقد ابتلعهم وابتلع ما يحملون منذ زمنٍ طويلٍ.

يركزُ نظرهُ على واجهةِ مبنى قديمٍ، كانت هناك لوحةٌ صدئة كتب عليها بحروفٍ بالكاد تُقرأ (شركةُ سليسل للمياه – خصخصةُ الموارد الوطنيةِ من أجل المستقبل)، ابتسم بسخريةٍ علقمية، أدركَ الحقيقةَ أخيرًا: لقد باعوا ماءَهم. باعوه قطرةً قطرةً، حتى لم يبقِ منهم شيءٌ".

قصَّة (بحيرة الأصفر) بدأت كذلكَ وصفيَّة "الرياحُ تحمل عبقَ الطين والماءِ العفِن، مخلوطًا برائحة أعشابِ (الأسل) البريّة. تحت أقدامِ عزيزٍ وسعيدٍ، تئنُّ الرمال كما لو كانت تخفي أنهارًا ميتة"، ثم انتهت بأنْ تحوَّلت البحيرة إلى معلمٍ سياحي تعبثُ فيه الأشباح، حيثُ "تحت الطين، كانت هناك أنفاقٌ جوفية تربط البحيرة بالمياه القديمةِ لواحة الأحساء، وبعض الغواصينَ وجدوا عظاماً كثيرة لحيواناتٍ مختلفة الأشكال والأنواع، محاطةً بقطع من القصبِ المجدول، كما كان الأهالي يصنعونها قديمًا لصيد الأسماك ..

ذات مساء، وبينما كان أحدُ العاملين يغلقُ الأبواب، لمح أثرًا غريبًا على الأرضية الطينية عند ضفة البحيرة، وكأن شخصًا قد خرجَ للتو من الماءِ، تاركًا وراءه خطًا طويلاً من آثار قدميه اللاتي بدتْ عريضتين، قبلَ أن يختفي في القصبِ الطويل الكثيفِ.

فر العاملُ كشهاب، وأغلق الأبوابَ بإحكامٍ، وتدثرَ في فراشه تُنادمه الرعشة!".

قصَّة (المدرسة الأميرية) بدأت وصفيَّة أيضاً "الهواءُ كتنهيدة حرّى يلفُّ بالمدرسة الأميرية، كأنما يحملُ بين طياته قصصًا موجعةً قديمةً لم يحدث بها أحدٌ منذ زمن"، ثم انتهت بالطلابِ وهم "يرددون الكلمات ذاتها بنبراتٍ خافتة، كأنهم يُحيون طقسًا لا يدركون معناه"، بينما حسنٌ يشاهد نفسهُ "جالسًا بينهم، يدوّن الجملة ذاتها بيدٍ خاوية، وبعينين لا تنظران، كأنه يوقن، فجأةً، أن ما كان يبحث عنه لم يكن الحقيقة، بل خطئً ميتةٌ كُتبت له منذ البدء. ثم همس الصوتُ في داخله، أكثر وضوحًا من ذي قبل، كأنه قادمٌ من جوف الحبر: لستَ هنا لتعرِف، بل لتُكرِّر".

حديث الكتب



حمد سعد المالك

«مرتكزات الفعل الثقافي» لمنصور الزغيبي ..

أفكار خلاّقة لتطوير الممارسات الثقافية .

حضرتُ خلال الأشهر الماضية عدداً من لقاءات صالون نبل الثقافي، الذي انطلق عام 2023، وتابعت ما يطرحه من موضوعات وما يدور فيها من نقاشات. ومن خلال هذه اللقاءات، تكوّن لدي انطباع عن تجربة ثقافية تتقدم بخطوات واضحة، وتهتم بتنوع موضوعاتها وجودة ما تقدمه. لذلك، لم يكن حصول الصالون على المركز الأول في مسار أندية الهواة الثقافية ضمن مبادرة "الشريك الأدبي" في نسختها الخامسة أمراً مستغرباً بالنسبة لي؛ فقد بدا هذا التقدير نتيجة طبيعية لجهد تابعته عن قرب، ولمست ملامحه في اللقاءات التي حضرتها.

ولأن العمل الثقافي يشكل محوراً أساسياً في تجربة صالون نبل، أصدر مؤسسه منصور بن عمر الزغيبي كتاب "مرتكزات الفعل الثقافي"، الذي يقدم رؤية للأسس الفكرية والقيمية والتنظيمية التي تسهم في تطوير البرامج الثقافية وتعزيز حضورها في المجتمع.

أثناء اطلاعي على محتوى وأفكار الكتاب، استحضرت ما كتبه مالك بن نبي في كتابه "مشكلة الثقافة"، حين تناول الثقافة بوصفها محيطاً يؤثر في سلوك الإنسان وطريقة تفكيره وعلاقته بمجتمعه. ويقترب الزغيبي من هذا المعنى حين يقدم الثقافة باعتبارها مجموعة من القيم والمعاني والرؤى التي تنعكس على الفكر والسلوك، وتتجلى في مختلف أشكال التعبير الإبداعي. وهذا التصور يجعلني أنظر إلى اللقاءات الثقافية من زاوية تتجاوز موضوعاتها المباشرة، إلى ما تتركه لدى الحاضرين من معرفة وأسئلة وأفكار قد ترافقهم بعد انتهاء اللقاء.

يقع الكتاب في 256 صفحة، ويعرض ستة مرتكزات تشكل الإطار العام لرؤية المؤلف. يبدأ بـ"الأساس الثقافي"، الذي يتناول الهوية والوعي والتراث والتوثيق والنقد والتقويم. وقد استوقفتني صلة هذه العناصر بالجهود المبذولة لصون الموروث المحلي، ومنها إدراج السدو ضمن قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي عام 2025؛ فهذه الحرفة تختزن مهارات ومعارف متوارثة، وتحمل جانباً من الذاكرة والهوية السعودية.

ثم ينتقل إلى "القيم والروح الثقافية"، متناولاً الذائقة والجمال والإلهام والحكمة وفلسفة الفعل الثقافي. وعندما أتأمل هذه القيم، تحضرني المجالس التقليدية، المدرجة في قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي عام 2015، بما تمثله من فضاءات للتواصل وتبادل الخبرات ورواية الحكايات. ففي المجالس يتعلم الإنسان آداب الإنصات واحترام الآراء، وتنتقل التقاليد والمعارف بين الأجيال في سياق اجتماعي متوارث.

في مرتكز "الثقافة في الحياة"، يركز المؤلف على الممارسة والحوار والتعددية والمسؤولية والتطوع والوقف الثقافي والمكتبة الثقافية. وأفهم من حضور المكتبة الثقافية



ضمن هذا المرتكز أهمية توفير مساحات ومصادر تتيح للأفراد الوصول إلى المعرفة، وتشجعهم على القراءة والاطلاع. كما أجد أن بقية هذه المعاني تتجلى في مبادرة "جسور الأجيال" التي أطلقتها الهيئة الملكية لمدينة الرياض، وجمعت كبار السن والأطفال حول الألعاب الشعبية والأمثال والحكايات القديمة وآداب الضيافة. وقد أتاحت المبادرة فرصة لتقريب الأجيال، ونقل الخبرات والمعارف فيما بينهم من خلال أنشطة مشتركة تستحضر الموروث الشعبي.

أما "التحول الثقافي والإبداع" فيتناول الابتكار والريادة والتميز. وأرى أن تطوير الحرف التقليدية يقدم مثالاً واضحاً على هذه المرتكزات؛ حين يعيد الحرفي تصميم منتجاته، ويوظف خامات وأساليب حديثة مع المحافظة على هوية الحرفة. فمثل هذه التجارب تمنح الموروث فرصاً جديدة للاستمرار والوصول إلى جمهور أوسع.

يجمع مرتكز "القوة الاستراتيجية للثقافة" بين التخطيط والقيادة والإدارة والحوكمة، ورأس

المال الثقافي والصناعات الثقافية والاستثمار والدبلوماسية وقياس الأثر. ويركز هذا المحور على العوامل التي تساعد المشاريع الثقافية على تحقيق أهدافها واستمرارها، من خلال التخطيط الجيد، وتوفير الموارد، وبناء الشراكات، وتطوير أساليب الإدارة والتقييم. ويمكن ملاحظة ذلك في تنظيم المهرجانات الثقافية، التي تتطلب تحديد أهداف واضحة، وإعداد ميزانية وخطة تشغيل، وتنسيق الجهود بين الجهات المشاركة. كما يساعد قياس النتائج على معرفة أعداد المستفيدين، ومستوى رضاهم، والفرص التي أتاحها المهرجان للمبدعين والمنتجين المحليين.

يختتم المؤلف المرتكزات بـ"آفاق الثقافة ومستقبلها"، مركزاً على الاستدامة والعمق الثقافي ومستقبل الثقافة. وتبرز أهمية هذه الأفكار في برامج تعليم الحرف التقليدية وتوثيق الروايات الشفهية ونقل المعارف المحلية إلى الأجيال الناشئة. فاستمرار هذه الجهود يحتاج إلى أشخاص يمتلكون المعرفة والقدرة على نقلها، ومؤسسات توفر فرص التعلم والممارسة، ووسائل تحفظ هذا الإرث وتيسر الوصول إليه.

من الأفكار التي لفتت انتباهي في الكتاب استحضار المؤلف مفهوم "المثقف العضوي" لدى أنطونيو غرامشي، الذي يشير إلى المثقف المرتبط بمجتمعه وقضاياه، والمشارك في تشكيل وعي أفراده. ويقودني هذا المفهوم إلى التفكير في مسؤولية المثقف تجاه محيطه، ودوره في نشر المعرفة وإثراء النقاش العام، والمساهمة في إطلاق الأنشطة التي تستجيب لاحتياجات المجتمع.

حين أعود إلى اللقاءات التي حضرتها في صالون نبل، أجد في بعض تفاصيلها ما يساعدني على فهم المرتكزات التي يعرضها الكتاب؛ من تنوع الموضوعات، والاهتمام بالإعداد، وإتاحة المجال أمام المشاركين للتعبير عن آرائهم. وقد أتاحت لي هذه التجربة رؤية بعض الأفكار التي يناقشها المؤلف في سياق عملي، والتأمل في أثر التنظيم الجيد والرؤية الواضحة في نجاح اللقاءات الثقافية.

كتاب "مرتكزات الفعل الثقافي" يستحق القراءة من المهتمين بالشأن الثقافي، والعاملين في المؤسسات والمبادرات الثقافية، والباحثين في هذا المجال؛ فقد نجح مؤلفه في تقديم رؤية متكاملة للعمل الثقافي، تجمع بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، وتطرح أفكاراً تساعد على تطوير الممارسات الثقافية وتعزيز أثرها في المجتمع.

وأختم بالعبارة التي اختارها المؤلف لتكون خاتمة كتابه، وتلخص رؤيته لمكانة الثقافة في حياة الإنسان: "الثقافة ليست ما نضيفه إلى الحياة، بل هي الكيفية التي نصوغ بها الحياة نفسها".

طلع نضيد



بدر الروقي
@B__adr0

من يعيد لنا شغف الملاعب الترابية؟

إلى وقت قريب كانت الملاعب الترابية تشتعل بوهج لا ينطفئ، وشغف صنع فوق مساحاتها الصلبة. يتصاعد مع غبارها ويتقد تحت شمسها الحارقة. ورغم محدودية وبدائية تلك المنشآت وفقرها إلا أن الإقبال عليها كان كبيراً ، والشغف نحوها في أعلى قممه. لم يكن الرهان آنذاك لجذب الشباب وقفاً على مساحات خضراء، ولا إضاءات صاخبة، ولا إعلانات مدفوعة، بل كان الرهان على "العفوية" والممارسة المجانية التي تجعل من اللعبة ملكاً للجميع بلا قيد أو شرط.

واليوم تبدلت الملامح تماماً؛ تأنقت الملاعب، واكتست الأحياء بالمسطحات الخضراء الصناعية، وتوفرت الإضاءات الكاشفة والمنشآت الحديثة المهيأة وسلط الإعلام عيونه ولكن في مقابل هذا الترف المادي تراجع ذلك الشغف القديم وانطفأ الوهج والسر وراء هذا المفارقة يكمن في أن اللعبة تحولت من "هواية شعبية عفوية" تجمع أبناء القرية أو الحي الواحد إلى نشاط استهلاكي منظم مقيد بالحجوزات المسبقة ومدفوع الثمن بالإيجار بالساعة؛ مما أقصى البساطة وأفقد اللعبة روحها الاجتماعية. هذا التحول المادي بالتزامن مع غزو البدائل الرقمية والشاشات التفاعلية التي خطفت عقول الجيل الجديد جعل الشباب يتحولون من "لاعبين" يمارسون الكرة بصلابة في الميادين إلى "مستهلكين" يكتفون بمشاهدتها وتحليلها خلف الشاشات. إن أزمة كرة القدم اليوم ليست في جودة الأرضية ولا في حداثة المنشأة بل في "الروح" التي غادرت الملاعب حين أصبحت المنشآت كاملة الأوصاف لكنها باردة المشاعر.

حديث الكتب

الرواية الجديدة للشاعر فاضل الجابر ..

مراوغات سرد الذات في "كائنا ما تكون" .



أثير السادة

في روايته الأخيرة "كائنا ما تكون" والصادرة عند دار "منشورات كلمات"، يكرس الشاعر فاضل الجابر ذاكرته كمنصة يسرد من خلالها سياق تجربته الحياتية، وهو يأخذنا بصوت السارد العليم إلى فضاءات القرية وذاكرتها المشبعة برائحة البحر، البحر الذي يهب المكان روحه وسحنته، وشكل علاقاته الاجتماعية، يقترب بنا من واقع العائلة التي ستشمل عتبته الأولى في عناق الحياة، هناك تستحيل المسافة العمرية بينه وبين باقي إخوته إلى مسافة في شكل المزاج والتكوين والمستقبل.. يمر بنا من دهاليز القرية، وملاعبها الترابية، ومن قلق المشاغبات الصبيانية في الحارة، وقلق الفضيحة في قرية جدرانها نشرات للأخبار، القلق الذي سيترك وشما في روحه، ليصبح بمثابة سيل من الرضات التي ستحدد ملامح شخصيته لاحقا، كشاب تطارده الأصوات، والخيالات، وصور النداءات الخفية.

لا تمر السيرة في واقعيتها بمنعرجات كبيرة، غير أنها تتطور في صورة من تكرار الخيبات، والمخاوف، عبر خط زمني تصاعدي تتعاقب فيه الأحداث، يعضدها سؤال مفتوح على معنى الرسائل المبهمة التي تتعقب الشخصية، والتي تستحيل في لحظة الصراع الداخلي إلى سلسلة من الأصوات، تختزل حيرة السارد وارتباكاته الداخلية، من لحظات الطفولة، وحتى بلوغه مبالغ الرجال، موظفا هذا القلق المستطير في صياغة حركة السرد داخل النص، وفي إثارة التشويق الذي تكاد رتابة بعض الأحداث أن تطيح بفاعليته.

هنا الزمن يبدو متماوجا، حيث الانتقالات السريعة من زمن لآخر، يتباطأ السرد قليلا في يوميات الطفولة، ويركض في يوميات الجامعة، ليعود منبسطا في مشاهد التحولات الوظيفية بحصارها لأحلامه، وانقلابها إلى صورة من صور الخوف من الفشل والعجز والحرمان بعد أن صار رب أسرة، وأبا لطفلين، يقف الجابر طويلا عند مشاعره المتقلبة بسبب الخوف من فقدان مكانته و وظيفته، والتي تصبح شكلا من أشكال فقدان القيمة وفقدان الدور، لا يكشف لنا النص الكثير عن العالم الفكري للشخصية، لا شيء يتمظهر في سيرته الذاتية عن تأرجحاته أو اهتمامه من خارج صورة الإنسان التقليدي، نجد في النص مفاتيح لاكتشاف سماته الشكلية، والعاطفية، بينما في المقابل لا نكاد نقبض على تصورات لهذا القادم من أطراف القرية عن هذا العالم، وحده سؤال المرأة يفتح باب الفضول ليضعنا على ظلال الخوف البكر من صوتها، والذي سيكبر مع الوقت ليتحول إلى مغامرة في عنفوان الشباب.

هذا الارتباك تجاه المرأة يجعل من حضورها ظليا، يقترب منها بقدر ما يهب خيوط الحكاية نصيبا من التعقيد، تحضر في صورة الأم التي تحرسه بالدعاء، والفتاة التي وهبته خاتما ذات لقاء عابر، وفي الزوجة التي فتح لها نافذة السرد في خاتمة الرواية، كضمير آخر ينال فسحة الحكي ضمن المتن الروائي، لا ليتحدث عن نفسه، وإنما ليكمل الحديث عن سمات الراوي العليم في هذا النص.



حاول الجابر استثمار أدواته الشعرية في هذه الكتابة، في إيجاد بعد جمالي للغة، عبر صياغات مثقلة بروح الشعر، في ما يشبه حالة تعويضية لسياق حكاية لا تتسع دائما في أفقها الدرامي، تبدت اللغة في أحيان كرافعة جمالية داخل النص، إلا أن هذا الملمح الجمالي لم يكن حاضرا دائما، ما جعل الرواية تحمل مستويات تعبيرية متباينة، متأرجحة بين البساطة في الأسلوب والبناء اللغوي وبين لغة مطعمة بالشعر والتزويق اللغوي، وليس هذا تنويعا في السرد بقدر ما هو استغلال لجماليات اللغة في سد فراغات البناء الدرامي للحكاية.

الجابر في "كائنا ما تكون" يعيد ترتيب المسافة بين المرئي واللامرئي من سيرته، يجلس وحيدا أمام مرايا الذاكرة، ليحطم الحواجز التي تحضر برسم الخوف لتحول دون استغراقه في البوح، فيمشي بنا خطوات إلى ساحة انتصاراته وانكساراته معا، ويكتب لنا بيانه الثاني بعد "مساحة لن شاغرة" مؤكدا فيه تلك الرغبة المعلنة في تثبيت قدمه على منزلق الكتابة الروائية.

حديث الكتب



عبدالله بيلا *

محمد حسن علوان والسير الروائية ..

"موتٌ صغيرٌ" بامتدادِ الأبدية.

مر زمنٌ طويلٌ منذ أن قررتُ قراءة هذا العمل الروائي "موتٌ صغير"، وكنت قد وضعت قائمةً بالكتب التي عزمت على قراءتها ومن بينها هذه الرواية، ولكنني لسببٍ لا أعلمه أجّلتُ قراءة هذا العمل وتخطيته المرةَ بعد المرة، أو ربما هو مَن أجَّلَ قراءتي إياه، بعضُ الأعمال هي التي تفرض علينا الأوانَ المناسب لقراءتها، وعادةً ما يكون ذلك هو الزمن الأفضل للقراءة.

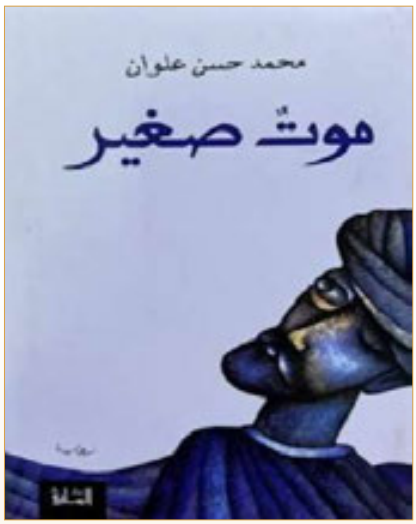
كتب محمد حسن علوان واحدةً من أهم السير الروائية العربية، وأفاض على القارئ من صفحاتِ التاريخ وشهوده ومشاهده ما جعل من "موت صغير"، رحلةً من الأبدِ إلى الأبد، ومفتاحاً لعوالم "محيي الدين بن عربي"، الممتدة على طول مساراته ورحلاته وتنقلاته وهجراته المكانية والزمانية، ومعارفه وأسراره الباطنية الوجدانية، التي كانت هي قطب الرحى لهذا العمل الإبداعي السِيَري.

اختار علوان بشكلٍ تصاعدي مساراً زمنياً ومكانياً لسَفَرِ مخطوطاتِ ابن عربي، عبر الأزمنة، وتنقلاتها في الأمكنة، من يدٍ حانيةٍ إلى يدٍ حافظة، وأيادي كثيرةٍ كانت حصناً منيعاً، وحرزاً حصيناً لهذه المخطوطات، حتى وصولها أخيراً سليمةً إلى لحظةِ الكتابة، وابتداءِ أسفارِ روايته؛ امتدَّ هذا المسارُ من عام 610هـ/1212م بأذربيجان، في سِفْرِ الرواية الأول، وانتهى في العام 1433هـ/2012م ببيروت، لينتهي بذلك سِفْرُ الرواية الأخير؛ سيلاحظ القارئُ اختلافاً وتميُّزاً في لغة الخطاب والأسلوب في كل مرحلة من مراحل انتقالات المخطوطات، مراعاةً لحال ولسانِ أهلِ تلك الأزمنةِ والأمكنة.

لغةُ "موت صغير" وجدانيةٌ صافية، تغترفُ من محبرةِ التصوفِ العميق، وتفيضُ بالإشاراتِ العرفانية، والدلالاتِ الروحانية، وهي لغةٌ تباشرُ القلبَ وتأسرُ القارئَ وتحثه على تنشيطِ همته لإتمامِ أسفارِ الرواية، دون أن تفترَ عزيمته أو يتسلل إليها الملل، وهي لغةٌ قريبةٌ إلى القارئ غير مستوحشة، رغم فصاحتها العالية، وورود بعض المفردات من غريبِ بعض البلدان والمدنِ التي مرَ بها محي الدين، في رحلته العرفانية الطويلة للوصولِ والالتقاء بأوتاده الأربعة، منذ أن تفتحت عيناه في مرسية ببلاد الأندلس، وحتى ابتداء تلك الرحلة، وسعيه الحثيثِ خلف ما خبأته له الغيوب، راحلاً ما بين أقصى الغرب الإسلامي إلى مشرقه، بين إشبيلية وفاس وتونس ومراكش والقاهرة ومكة ودمشق وحلب وقونية وملطية، وغيرها من بلادِ الله، إلى أن انطفأت عيناه أخيراً، وقد تعلَّقتْ بورقةٍ صفراء على أرضيةِ حديقةٍ في دمشق، حاول ابنُ عربي أن يجرفها من الحديقة، غير أنَّ الموت قد كان أسرعَ في الوصول إلى آخر ورقةٍ خضراءَ في شجرةِ روحه.

أبدعَ علوانُ في الوصف وأشركَ قارئه متعةَ الإحساسِ وشهودَ كل تلك البلادِ، بأسواقها وأزقتها ومساجدها وخاناتها وخلواتها وتكياتها ومكتباتها، لكأنَّ الكتابةَ هنا رسمٌ حقيقيٌ بالكلماتِ والمعاني، لذا جاء وصفُ الشخصيات في الرواية على درجةٍ كبيرة من الإتقان الإبداعي، المقرونِ بالروحِ الإنسانيةِ الواقعية التي رافقتْها جميعاً، في كل مراحل وانتقالاتِ الرواية.

خلع علوانُ عن ابن عربي جُبةَ التصوف، في حالاتٍ كثيرة من روايته، وأخرج تلك الشخصيةَ المحاطةَ بهالاتِ التقديس والإجلالِ من تلك المنطقة المتناهية في البعد، ليُقربها أكثر إلى الواقع، ويُسبغ عليها في الرواية روحاً إنسانيةً بسيطةً، يكادُ يلمسُ فيها القارئُ جزءاً



ما من ذاته وهي تتحد في ذاتِ ابن عربي؛ وإذ بتلك الأحاسيس المشتركة تمحو الزمان والمكان، وكأنّ أحدنا يُجالس ابن عربي لصيقاً به في خلوةٍ من خلواته، ويصغي إلى آماله العالية، وآلامه الدفينة، ومخاوفه المتراكمة، وحالاتِ يأسه، وغضبه، وضعفه، وحبه وهُيامه، وتبتله واعتزاله، ومواجع فقده، -وما أكثر ما افتقد من الأهلِ والأحباب-؛ وأظنَّ أنَّ القارئَ شعر بذلك الفيضِ النقائضي بين نفسِ ابن عربي اللوامةِ، ونفسه الأمارةِ بالسوء، وكيف انقضَّت عليه المواجيدُ في حالاتِ قربه وبعده عن الله، وانتظاره الفرجَ بعد الشدة، وفيوض الانكشافاتِ، وتجليات الجذبات، ولحظات الانخطافات.

أبرز ما ميز ابن عربي في هذه الرواية هو التعاطي البشري معه، خاصة في علاقاته مع أصدقائه ومريديه وطلابه، وقد تكون انتكاساته العاطفية من أبهى صور الضعف الإنساني التي لازمت محيي الدين في رحلات حياته بحثاً عن الذاتِ، وطهارةِ القلب، والإيمانِ بدين الحب.

"كلُّ روايةٍ لا تصدرُ من الروحِ ثم ترِدُ عليها.. لا يعوَّل عليها"

* مكة المكرمة

حديث الكتب

رواية «البوابة صفر» لفاطمة الدوسري..

المرأة بين سلطة المجتمع وسلطة السرد.



أ. د. دربة فرحات*

إنّنا حين نقرأ الرّواية بوصفها خطابًا عن المجتمع، نطرح سؤالًا يبدو بسيطًا: كيف يروي النصّ الواقع؟ لكنّ الرّواية الحديثة لا تكتفي بنقله أو عكسه، بل تتساءل أحيانًا عن كيفية روايته، وعن الجهة التي تملك حقّ روايته، وما إذا كان الواقع الذي نقرأه هو الواقع كما هو، أم واقعًا أعاد السّرد تشكيله.

في قراءتنا رواية "البوابة صفر" لفاطمة الدوسري، لا نتعامل مع الواقع الاجتماعيّ خلفيةً للأحداث، ولا مع السّرد وسيلةً شفافةً لنقله، بل ننظر إلى العلاقة بين الواقع الذي يتحوّل إلى سرد، والسّرد الذي يلتفت إلى ذاته وهو يصوغ هذا الواقع. فالرّواية تنتقي العلاقات والقيم والتّوترات الاجتماعيّة، وتعيد ترتيبها، وتوزّع الأصوات ووجهات النّظر، وتختار ما تقوله وما تصمت عنه.

من هنا تبرز الميتاسرديّة، حين يتجاوز السّرد وظيفته الحكائيّة المباشرة ليكشف آلياته، أو يجعل القارئ واعيًا بأنّ الواقع يعاد تشكيله داخل اللغة والحكاية. وانطلاقًا من ذلك، نطرح الإشكالية الآتية: كيف تمثّل "البوابة صفر" الواقع الاجتماعيّ، وكيف يتحوّل هذا التّمثيل إلى وعي بفعل السّرد ذاته؟ وهل تسهم الميتاسرديّة في تعميق رؤية الرّواية للمجتمع، أم تدفعها إلى مساءلة الطريقة التي نفهم بها هذا المجتمع؟

أوّلًا: الواقع الاجتماعيّ مادة للحكاية

تتحرّك الرّواية في فضاء اجتماعيّ واضح، وتستمدّ توترها من احتكاك الذّات الفرديّة بالبنى الاجتماعيّة المحيطة بها. فالمرأة ليست معزولة عن الأسرة والعادات وصورتها التي يفرضها المجتمع، كما أنّها تواجه أسئلة الزّواج والعمل والمكانة المهنية والعلاقة بين الأجيال.

يتحوّل الواقع الاجتماعيّ إلى قوّة فاعلة في تشكيل مصائر الشّخصيّات، كما يظهر في الحديث عن زواج دانة وهادي، حين تصبح إرادة الأفراد خاضعة لسلطة الأسرة والعادات. وهنا يتجاوز الصّراع مسألة الزّواج إلى مسألة الإرادة، إذ تواجه دانة منظومة اجتماعيّة تستطيع اتخاذ القرارات عنها.

وتقودنا مصادرة الإرادة إلى سؤال آخر: إذا كان الآخرون قادرين على اتّخاذ القرار عن الشّخصيّة، فهل يستطيعون أيضًا التكلّم باسمها؟ وهكذا تتقاطع مصادرة الإرادة مع مصادرة الصّوت، لتبدأ العلاقة بين البعد الاجتماعيّ والبعد السّردي.

وفي نهاية "ليلة فرح"، وبعد تصاعد أزمة الزّواج، يتدخل الرّاوي قائلًا: "أعتذر منكم... سأتوقّف هنا... فالدوّامة كبيرة... ودانة ستكمل حكايتها". لا يعود الرّاوي هنا ناقلًا للأحداث فحسب، بل يكشف فعل



السّرد، ويعلن توقفه وتسليم الحكاية إلى دانة. وتكتسب هذه الميتاسرديّة أهميتها من حضورها في قلب أزمة اجتماعيّة تتصل بسلطة العائلة والعادات وحق المرأة في الاختيار، ما يفتح السّؤال عن صوت دانة وحقّها في رواية تجربتها.

ثانيًا: البوابة صفر: من العبور في المكان إلى العبور في الذّات

يحمل عنوان الرّواية دلالة رمزية تتّضح حين تصل دانة إلى مكان جديد، فتجد أمامها ثلاث بوابات، وتستوقفها البوابة صفر، متسائلة عن البوابة التي ينبغي أن تدخل منها. لا يمثّل الصفر رقمًا فحسب، بل عتبةً فاصلةً بين حالتين، وعبورًا من وضع إلى آخر.

تقف دانة، رمزيًا، أمام أسئلة الهوية والاختيار: من أنا؟ وماذا أريد؟ وهل أعيش وفق رغبات الآخرين أم وفق ما أختاره لنفسي؟

تتجلّى نتيجة هذا التحوّل في نهاية الرّواية، حين تعلن: "لن أكون ظلًا لأحد أو رقمًا في حياة شخص لا

يراني. سأبني كياني بيدي بصيغتي التي أراها لا كما يراها الآخرون".
تكشف هذه العبارة انتقال دانة من الخضوع لقرارات الآخرين إلى تأكيد حقّها في بناء كيانها. ويقابل هذا التحوّل الاجتماعيّ تحوّل سردي؛ فكلما ازداد وعي الشّخصيّة بذاتها، ازداد حضور صوتها داخل الرّواية.
ويتجلّى الوعي السّردي أيضًا في قول دانة عن زميلتها هيام: "هيام قصّة أخرى ستجري في حكايتي مجرى الدّم في الشرايين، وربما تطغى". تستخدم دانة مفردات الحكي، وتدخل تجربة هيام في حكايتها الخاصة، فتغدو واعية بتعدّد مستويات الحكاية وبقدرتها على قراءة الأحداث وتفسيرها وإعادة تنظيمها.

ثالثًا: العمل والمرأة... الواقع الاجتماعيّ في فضاء المؤسّسة

ويظهر الواقع الاجتماعيّ في فضاء العمل، حيث تتقاطع المرأة مع السّلطة والمكانة الاجتماعيّة والتوقعات الثّقافيّة. تقول هيام: "أنا بنت آل هامي وأشتغل خدمة عملاء"، في مقابل نظرة دانة إلى العمل بوصفه خبرةً وفرصةً لإثبات الذّات. ويكشف هذا الاختلاف تفاوتًا في فهم قيمة العمل.
ويتسع الصّراع من سؤال الزّواج إلى سؤال أعمق: كيف تتشكّل هوية المرأة؟ ومن يحدّدها؟ أهي العائلة أم الطّبقة الاجتماعيّة أم الوظيفة والشّهادة أم اختياراتها الشّخصيّة؟
وهكذا يعزّز العمل مسار التحوّل الذي تصنعه الرّواية في شخصيّة دانة، ويؤكد ارتباط بناء الذّات بمقاومة التّصنيفات الاجتماعيّة المفروضة.

رابعًا: صراع الأجيال: صراع على تعريف الذّات

يظهر الصّراع بين الأجيال في اختلاف تصوّر الحياة ودور المرأة والعمل والزّواج والحرية. وتستعيد والدة دانة صورة المرأة في جيلها قائلة: "كنت حرمة أطبخ وأنفخ وأنظّف"، لتقارن هذه الصّورة بما أصبحت عليه المرأة في الحاضر.
وتطرح الرّواية أهمية التّكامل بين الأجيال والحفاظ على الهويّة. ويتجلّى ذلك أيضًا في حديث دانة عن موقف والدتها من أفلام الرّسوم المتحرّكة القديمة، إذ ترى فيها معاني تستحق التّقدير، ما يكشف اختلاف النظرة إلى الثقافة بين الأجيال.
وتعبّر دانة عن هذا الصّراع بقولها: "الصّراع بين الأجيال صراع الحاضر والماضي تجذير لثقافة التكامل بين جيلين لاستكمال المشهد والحفاظ على الهوية، فالبدايات الساذجة مرتكز رئيس للمضي نحو بوابة النضوج".
يتيح هذا التصوّر طرح سؤال: كيف تتحرّر الذّات الجديدة من دون أن تقطع جذورها؟ وهو سؤال اجتماعيّ يتحوّل سرديًا إلى حكاية تنتقل من صوت إلى آخر، ومن جيل إلى جيل.

خامسًا: المجتمع حين يصبح حكاية تتداخل في الرّواية حكايات شخصيات أخرى، فتعرض من خلالها قضايا اجتماعيّة متعددة. ومن ذلك حكاية أم راكان، التي تعاني تخلّي زوجها عنها في تربية بناتها، ثم محاولته استمالة ابنته الكبرى لتزويجها ممن يساعده في تأمين المخدرات.
وتبرز كذلك حكاية سدن، التي تهرب من بيت أهلها رفضًا لتزويجها رجلًا متزوجًا من اثنتين، في ظل إيمان والدها بأنّ "الرّجل ما يعيبه إلا جيبه، والمرة ما لها إلّا رجّالها وإلّا قبرها". لكنّ هروبها لا يخلّصها من المعاناة، إذ تقع في زواج خاطئ، فتجد نفسها أمام واقع اجتماعيّ أكثر إيلامًا.
ونتساءل: هل تنحصر المشكلة في الرّجل، أم يمكن للمرأة التي عانت ضغط المجتمع أن تتحوّل بدورها إلى مصدر للقهر؟ يظهر ذلك في تجربة دانة مع هادي، الذي يخضع لسلطة والدته، فتؤثّر هذه السّلطة في زواجه ومصيره. وتقول عن زوجها: "كان مجرد صوت أخرس يقيّدني في كراهية أمّه وحقدها الدفين".
تكشف هذه الوقائع سلطة العائلة وضغط المجتمع. وتقدّم الرّواية هذه القضايا عبر بنائها في مشاهد وحكايات، ثم تمنح دانة فرصة مواصلة السّرد، لتعود العلاقة بين الواقع الاجتماعيّ والميتاسرد إلى الواجهة.

سادسًا: من الواقع الاجتماعيّ إلى مساءلة السّرد

الواقع الاجتماعيّ يقوم على أصوات تتحدث عن دانة، وتتخذ القرارات بشأنها، وتفرض عليها حدودًا؛ في حين يمنحها السّرد مساحة للكلام، فيوازي انتقال الحكاية من الرّاوي إليها انتقالًا اجتماعيًا من الوصاية إلى الاختيار.
وتظهر الميتاسرديّة في مخاطبة دانة المتلقي، كما في قولها: "تذكرون عندما تركني الرّاوي أكمل حكايتي"، وفي مواجهته بعبارة: "لماذا هذه البحلقة! وعلامات الاستغراب؟!"، ثم مخاطبته: "لست غاضبة من انطباعكم الأوّلي، ما زال للحديث بقيّة، وسأقلب طاولة المفاهيم".
تكشف هذه العبارات وعي الشّخصيّة بوجود القارئ وبفعل الحكي، وتحوّل العلاقة بينهما إلى جزء من البناء السّردي. كما تسهم التّرويسات التي تضعها الكاتبة لبعض أجزاء الرّواية، والمعبّرة عن مضمونها، في ربط التّقنية السّردية بالدّلالة الاجتماعيّة.
وعليه، فإنّ قوة الميتاسرد تكمن في انخراطها في سؤال الرّواية الاجتماعيّ؛ فهي لا تكشف لعبة الحكي فقط، بل تسائل أيضًا من يملك حقّ تمثيل الواقع والتّحدث باسم الآخرين.
في الختام، يمكن قراءة "البوابة صفر" بوصفها روايةً عن العبور من مكان إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى، ومن علاقة إلى أخرى، لكنّها أيضًا رواية عن العبور من الصّمت إلى الصّوت. ففي هذا المسار يتقاطع الاجتماعيّ بالسّرديّ، وتصبح استعادة دانة حقّها في رواية تجربتها امتدادًا لاستعادة حقّها في اختيار حياتها وبناء ذاتها.
ولعلّ أبرز ما تحققه الرّواية أنّها تتجاوز سرد الواقع الاجتماعيّ، لتجعلنا نعيد التّفكير في الطّريقة التي يروى بها هذا الواقع، وفي العلاقة بين امتلاك الإرادة وامتلاك الصّوت، وبين أن تكون الشّخصيّة موضوعًا للحكاية وأن تصبح صاحبة الحقّ في روايتها.

* أستاذة جامعيّة وناقدة وقاصّة

حديث الكتب

رواية (مسفر وسارة) لسونيا مالكي ..

أرامكو وبلجرشي وحكايات أخرى.



أ.د.سعد التميمي

تبدأ بعض الروايات من سؤال الحب، ثم لا تلبث أن تكتشف أن الحب لم يكن سوى الباب الذي دخلت منه إلى أسئلة أكثر اتساعًا: سؤال المكان، والهوية، والأسرة، والاختلاف الثقافي، والتحول الاجتماعي. ومن هذا المنظور يمكن قراءة رواية (مسفر وسارة) لسونيا مالكي؛ فهي، في ظاهرها، حكاية امرأة ورجل جمعتهما المصادفة في فضاء الغربة، ثم فرّقتهما شروط المجتمع، لكنها في عمقها رواية عن المسافة بين ثقافتين، وعن الإنسان حين ينتقل من فضاء الحرية الفردية إلى فضاء الجماعة والتقاليد.

ولا تكمن أهمية الرواية التي يسرد أحداثها الراوي بضمير الغائب (العليم) في مصير العلاقة بين سارة ومسفر وحده، وإنما في الطريقة التي تجعل بها الكاتبة من هذه العلاقة مرآة لتحولات اجتماعية وثقافية أوسع، فالحب هنا لا يعيش خارج المجتمع، والزواج لا يمثل خاتمة الحكاية، وإنما يتحول إلى لحظة اختبار حقيقية لما تحمله الشخصيات من تصورات عن الذات والآخر والأسرة والوطن.

حين يعبر الحب حدود الثقافة

تلتقي سارة بمسفر في الولايات المتحدة، في فضاء جامعي يجمعهما بعيدًا عن الرقابة الاجتماعية المباشرة التي كانت يمكن أن تحكم علاقتهما في بيئته الأصلية، غير أن اختلافهما الثقافي لا يغيب عن العلاقة؛ بل يظل كامناً فيها منذ لحظتها الأولى، فسارة ابنة تجربة مركبة؛ والدها عمل في أرامكو ثم انتقل إلى الولايات المتحدة، ووالدتها أمريكية، وقد نشأت في بيئة أكثر انفتاحًا، انعكس أثرها على مظهرها وطريقة حياتها ونظرتها إلى العلاقة بين الرجل والمرأة، أما مسفر فهو طالب موفد إلى أمريكا، جاء من بلجرشي، من بيئة ريفية محافظة، تحمل معها الأسرة والعادات والتقاليد وتوقعاتها الصارمة للمستقبل، ولهذا فإن انجذاب سارة إلى مسفر لا يقوم على التشابه، وإنما ربما على فتنة الاختلاف، تراه في مكتبة الجامعة، فيبدو لها قادمًا من عالم آخر، عالم يحمل شيئًا من الشرق الذي لم ينقطع عنها رغم إقامتها في الغرب، وفي المقابل يجد مسفر في سارة نموذجًا للمرأة التي لم يألفها في بيئته الأولى؛ امرأة أكثر تحررًا، أكثر استقلالًا، وأقرب إلى الحياة التي يعيشها في أمريكا، يتطور الانجذاب إلى علاقة، ثم إلى زواج، فيبدو أن الحب استطاع أن يعبر الحدود التي رسمتها الثقافة، لكن الرواية سرعان ما تكشف أن عبور الحدود في فضاء الغربة أسهل من العيش داخلها بعد العودة، وهنا تتشكل المفارقة المركزية في الرواية: ما بدا ممكنًا في أمريكا يصبح موضع امتحان في بلجرشي.

حين يواجه الحب ذاكرته الاجتماعية

تأتي فرحة سارة بالعودة مشبعة بحلم قديم؛ فهي لا تعود وحدها، وإنما تعود مع حبيبها وعشقها مسفر، وتتطلع أن تكون أسعد امرأة في بلجرشي، وأن والدها سيكتشف أن رهانه عليها كان في مكانه، لكن الرواية تقلب هذا الحلم بمجرد وصولها، فمسفر، الذي كان يعرف أن عليه مواجهة أسرته، لم يخبرها بالحقيقة كاملة: فهناك مسعدة، ابنة خالته التي تربت في بيت الأسرة منذ طفولتها، والتي كان الجميع يتوقعون أن تصبح زوجته،وهنا تتكشف الهوة بين الزواج بوصفه اختيارًا فرديًا، والزواج بوصفه جزءًا من نظام اجتماعي له ذاكرته ووعوده غير المعلنة، فحين يقول مسفر لأسرته: سارة، زوجتي! ، لا تبدو الجملة مجرد تعريف بزوجة؛ إنها في السياق الروائي إعلان عن انقلاب في نظام كامل من التوقعات. ولذلك يأتي الصمت الذي يعقبها محملًا بالدهشة والامتعاض والصدمة.

ولعل أكثر ما يلفت في هذا المشهد أن سارة لا تواجه رفضًا مباشرًا فقط، وإنما تواجه دهشة المجتمع من صورتها؛ فهي امرأة جاءت من أمريكا، وتختلف في مظهرها وسلوكها عن الصورة التي كانت الأسرة تتوقعها لزوجة مسفر،وهكذا يصبح الجسد والمظهر والملبس جزءًا من الصراع الثقافي، قبل أن يصبح الخلاف حول الحب والزواج نفسه.

إن الرواية لا تجعل الأسرة شرًا مطلقًا، كما لا تجعل سارة نموذجًا مثاليًا في مواجهة مجتمع أسير التقاليد ؛ وإنما تكشف اصطدام منظومتين من القيم، ولذلك تأتي الرواية أكثر دلالة حين تترك الشخصيات تتحرك داخل شروطها بدل أن تصدر عليها أحكامًا جاهزة.

مسعدة: المرأة التي يمثلها الوعد القديم

في مقابل سارة تقف مسعدة، بوصفها منافسة عاطفية وابنة المكان وثقافته، إذ تربت في بيت خالتها، وعاشت طفولتها إلى جانب مسفر، حتى صار وجودهما معًا جزءًا من الوعي العائلي الجمعي الذي يتوقع، أن مسعدة لمسفر ومسفر لمسعدة، وتقدم الرواية تفاصيل دقيقة عن حياتها وملابسها وطعامها وعملها في المنزل، حتى تكاد الشخصية تتحول إلى وثيقة اجتماعية حية، فهي محجبة، توقفت عن الدراسة مبكرًا، وتساعد خالتها في شؤون البيت، وتتقن إعداد أطعمة محلية مثل الدغابيس وقرص الصاج والخبزة المقناه والعصيدة والمثرية وغيرها، وهذه التفاصيل التي قد تبدو لأول

وهلة خارج الحبكة الأساسية تؤدي وظيفة بالغة الأهمية؛ لأنها تجعل مسعدة صورة من صور المجتمع الذي يعود إليه مسـفر، إنها ليسـت مجرد امرأة تحب شـخص و تنتظـر الزواج منه، وإنمـا تمثل منظومة من العادات والمهارات والأدوار الاجتماعية التي تشـكلت داخل المـكان، ومن هنا يصبح حضور مسـعدة ضروريًا لفهم أزمة سـارة، فالمواجهة ليسـت بين امرأتين فقـط، وإنما بين صورتيـن للمرأة داخل المجتمع السعودي: امرأة تشكلت في بيئة أمريكية منفتحة، وأخرى تشكلت داخل بنية اجتماعية ريفية محافظة، وبين الصورتين تتعثر حياة مسفر نفسه.

بلجرشي: من المكان إلى الوثيقة

عندما تصل سـارة إلى بلجرشي، تلتفت إلى الخضرة والطبيعة الزراعية، ويشرح لها مسـفر أن المنطقة من المناطق الزراعية المشهورة، لكن المكان لا يبقى في الرواية مجرد منظر طبيعي؛ إذ سـرعان ما يتحول إلى فضاء ثقافي كامل، فالمكان يُروى من خلال البيت والأسـرة والطعام والملابس والعلاقات وطقـوس الضيافة، ومن خلال مفردات الحياة اليومية، وهنا تكشف الرواية عن إحدى وظائفهـا الأكثر أهمية: التوثيق الثقافي، فحين تصف الكاتبة طريقة إعداد الطعام، أو تشـرح مكونات أكلة محلية، أو تقدم طريقة إعداد الخبز والعصيدة، فإنها لا تملأ الفراغ السـردي بتفاصيل شعبية، وإنما تحفظ جـزءًا من الذاكـرة اليومية للمكان، إنها توثق ما قد لا تسـجله كتب التاريخ؛ لأن التاريخ الرسمي غالبًا ما يكتب الأحـداث الكبرى، بينما الرواية تسـتطيع أن تحفظ كيف كان الناس يعيشـون تلك الأحداث والتحولات فـي تفاصيل حياتهم، ومن هنا تغدو بلجرشـي أكثر من مسرح للرواية، إنها تتحول إلى شـخصية ثقافية؛ لها طعامها وعاداتها ولهجتها وعلاقاتها وذاكرتها، ويصبح انتقال سارة إليها انتقالًا من ثقافة إلى ثقافة، ومن فردانية الحياة الحديثة إلى مركزية الجماعة.

من الزواج إلى الانكسار

لا تستطيع سـارة أن تعيش طويلًا داخل هذا التناقض، فالمشـكلة لا تتوقف عند مسعدة، وإنما تتسـع إلى طريقة تعامل الأسـرة معها، وإلى عجز مسفر عن حماية المسـافة التي وعد بها والدها، وكان والد سارة قد أوصى مسـفر بوضوح أن يراعي اختلاف البيئة بين أمريكا وبلجرشـي وألا يحاول تقييد حريتها، وقد وعد مسفر بذلك، لكن الواقع يكشف هشاشـة الوعد أمام ضغط العائلـة، ويأتي اتصال العم د. عبد الله الدوسري ليضع مسفر أمام مسؤوليته، حين يسـأله: (كيف يتسنى لك أن تعيش زوجك وسـط إخوتك الشباب الأربعة؟) ثم يذكره بوعده أن يراعي ظروف سـارة وألا يمارس عليها الضغوط، هنا يصبح الصراع أكثر تعقيدًا؛ لأن مسفر نفسه لم يعد قادرًا على الوقوف خارج النظام الذي ينتمي إليه، لقد اختار سارة في أمريكا، لكنه حين عاد إلى بلجرشي وجد نفسه ممزقًا بين زوجته وأسـرته، بين اختياره الفردي والتزاماته الاجتماعية، وحين تفشل محاولات التوفيق، يتحول الزواج إلى كابوس، وتنتهي العلاقة بالخلع، لتعود سارة إلى أمريكا مثقلة بجرح



التجربة.

لكن الرواية لا تجعل العودة نهاية مطلقة، ففي أمريكا يظهر بيتر، الذي يقترب منها بحـذر، ويحاول أن يفهم آثـار الحزن في وجهها، ثم تتطور العلاقة، ويعلن إسلامه ويتزوجهـا، فيأتي هذا الارتبـاط الثاني ليقدم صورة أخـرى للحب: حبًا لا يبدأ من تطابـق الثقافات، وإنما مـن الرغبة في فهم الآخر واحترام اختياره، وهكذا لا تقدم الرواية بيتر بوصفه بديلًا عاطفيًا لمسـفر فحسـب، وإنما بوصفه علامة على إمكان بناء العلاقة من جديد حين يتحول الاختلاف الثقافي من حاجز إلى مجال للتفاهم.

من الحكاية إلى التوثيق

تتجاوز رواية (سـارة ومسفر) إذن الحكاية العاطفيـة إلى كتابة مرحلـة من التحول الاجتماعي والثقافي. فحكاية سارة ومسفر تكشف اختلافًا بين عالمين، وحكاية مسعدة تحفظ صورة من صـور الحياة التقليدية، وتفاصيل الطعـام والعادات تحفظ ذاكرة المكان، وحضور أرامكو والاغتراب والتعليم والهجـرة يضع الشـخصيات داخل حركة تاريخية أوسع، ولذلك فإن الرواية لا توثق المكان مـن خارجه، وإنما توثقه من خلال الإنسـان الذي يعيش فيـه، وحين تعود سـارة في نهاية الرواية إلى الباحة، بعد سـنوات من التجربة، فإن عودتها لا تبدو مجرد عودة جغرافيـة؛ إنها عودة الذاكرة إلى المـكان، وفي قاعـة المحاضرة التي تستعرض كتاب (موسوعة الباحة الثقافية) يلتقي الخاص بالعام، وتلتقي سيرة امرأة بسيرة مكان، فالمكان الذي كان يومًا جزءًا من جرحها يصبح فضاءً لاستعادة الذاكرة الثقافية، وهنا تكتمل دائرة الرواية: بدأت من مكتبة في أمريكا، حيث التقت سـارة بمسفر، وانتهت في فضاء ثقافي يستعيد الباحة وذاكرتها، وبيـن المكتبة والقاعة مسـافة زمنية تختصر تحولات الإنسـان والمكان والحب.

إنّهـا رواية تقـول إن الحكاية قد تبدأ من قلبين، لكنها حين تتسع للحياة تصبح وثيقة عن زمـن بأكمله، فالحب في رواية (سارة ومسـفر) ليس مجرد قصة عاطفية انتهت بالفراق؛ إنه الطريق الذي عبرت منه الرواية إلى أسئلة الثقافة والهوية والأسرة والمـكان، أمـا التوثيق فليس تسـجيلًا محايدًا للماضي، وإنما اسـتعادة لما تركه ذلك الماضي من أثر في الإنسـان، وهكذا تنتقل الرواية من الحب إلى الاختلاف، ومن الاختلاف إلى الصدام، ومـن الصدام إلى الذاكرة، ومن الذاكرة إلـى التوثيق، وفي هـذه الرحلة تتحول سـارة مـن امرأة تبحـث عـن سـعادتها في بلجرشـي إلـى شـخصية تحمـل معهـا صورة المـكان أينمـا ذهبت، ويتحول مسـفر من حبيب اختارته في أمريكا إلى ابن بيئة لم يسـتطع أن يقطع حبلها، فيما تتحول مسـعدة إلى ذاكرة اجتماعية لزمن كامل، ولعل أجمل ما تتركه الرواية في نهايتها أن المكان لا ينتصر على الإنسان، ولا الإنسان ينتصـر على المـكان؛ فكلاهما يبقى في الآخر، سارة تغادر بلجرشي، لكن بلجرشي لا تغادر سارة.

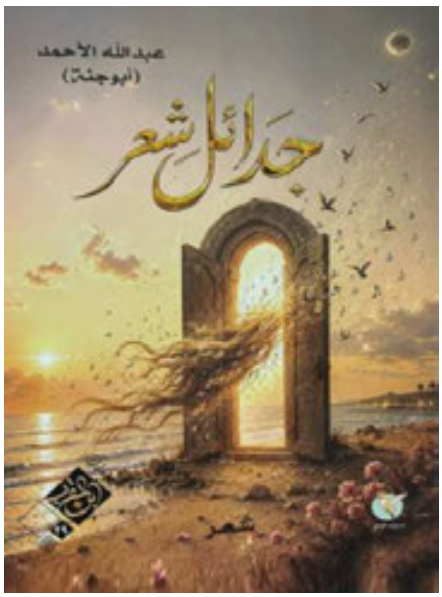
حديث الكتب



عبدالمجيد الموسوي

ديوان «جدائل شعر»
للشاعر عبد الله الأحمد ..

شاعر الرومانسية الكلاسيكية .. والحداثة !



*** مقدمة ومدخل توثيقي للديوان:**

يأتي ديوان "جدائل شعر" للشاعر البهي عبد الله الأحمد ، الصادر عن جمعية ابن المقرب للتنمية الأدبية والثقافية ليقدم تجربة شعرية امتدت على مدى سنوات من الاشتغال والصقل الفني؛ حيث نجح في صياغة نصوصه بوعي فني يراوح بين الأصالة والمعاصرة عبر ثلاثةٍ وثلاثين نصًا، ثلاثةٌ منها من شعر التفعيلة.

*** العنوان ودلالاته الفنية:**

يُطلُ علينا عنوان ديوان "جدائل شِعر" محمّلًا بصورة شعرية تحمل دلالات رمزية طريفة ؛ فالجدائل تتسم بالتداخل والكثافة والتعدد، وحين يقترن هذا اللفظ بمفردة «شِعر»، تتسع الصورةُ لتشير إلى القصائد وهي تتجاور بكل حيثياتها مكونةً نسيجًا واحدًا، ومن جانب آخر؛ نجد أن للعنوان معانيَ دلاليةً بين الشَّعْر والشِّعْر؛ فجدائلُ الشَّعْرِ تحيلنا للصورة الحسية، أما جدائلُ الشِّعْرِ فهي ماينسج بالكلمة ويتسع بالخيال.

ومن هذا التداخل والتعالق يستمد العنوانُ جمالَهُ وإيحاءَه، ممهدًا لنا الطريق لمدخلٍ مناسبٍ لقراءة الديوان.

بعد هذه المقدمة والإطلالة الموضوعية المقتضبة للعنوان، نلج الآن إلى الملامح الفنية التي يحملها الديوان وذلك من خلال ثماني محطاتٍ، تعقبها خاتمةٌ:

*** البنية الفنية والأسلوبية:**

يتميز الديوان بلغة واضحة لا إطناب فيها، مما يجعله تجسيداً حياً لأسلوب ما يسمى "بالسهل الممتنع"؛ حيث تبتعد غالبيةُ النصوص عن التقعر والتشظي والتكلف اللفظي، كما يظهر مثلًا في قصيدة "غانية":

تكاملتْ الخصالُ فبعضُ وصفٍ
يُطالُ وبعضُ وصفٍ لا يُطالُ
تمر على الدروب فكلُّ خطوٍ
له في سكةِ الشوقِ اشتعالُ

ويظهر كذلك في قصيدته "ثقبٌ أسود":

أريدُكِ طائرَ الشوق المعنَّى
يطيرُ بجانبي ويرفُّ حولي
فتحضننا الغيومُ إذا التقينا
ونسعدُ بالغناء بكل حقلِ
ولا أرضاك في قفص المرايا
كظلي كم وكم أتعبتُ ظلي

* الرؤية الشعرية والتكثيف اللغوي:

يميل الشاعر إلى اقتناصِ اللحظة الشعورية وتكثيفِها في صور موجزة وموحية تشبه "الرذاذ المخفف" الذي يتسرب إلى الأعماق بلا صخب؛ كما عبر عن ذلك الأديب الشيخ يحيي الراضي في مقدمته على الديوان ؛ ومن ذلك قول أبي جنة في قصيدة له ملفتة بعنوان "غرقٌ في نقطة وقت" سأطيل فيها لأمر سأذكره بعد النص، يقول:

عندما تغرقُ في نقطةِ وقتٍ
وترى العُمقَ بأوهامك أعمقْ
فتعمق
وتعمق
ربما لؤلؤةُ السرِّ بمحَّارٍ بأعماقِك تُخلقْ
عندما تطفو كحبَات غبارٍ
أو قصاصاتِ ورق
وترى الدربَ شريداً
وترى الرحلةَ تلتفُّ على غيرِ نسقْ
وترى الضوءَ تغشاه ظلامٌ
في محيطٍ من غسقْ
فتعمق
علَّ في ذاتك بعداً آخراً
يفضي إلى الدربِ
وباباً ما انغلقْ
عندما تبصرُ أوراقك تذوي
في خريفِ العمر
تصفَرُّ وتسَّاقطُ أوراقُ الشبقْ
وترى اللهفةَ ما كانت سوى رشفةِ كاسٍ
وترى اللذةَ كوباً واندلقْ

* توصية:

وهنا لابد لي أن أقف قليلًا لأدعوَ الشاعر إلى خوضِ غِمارِ شعرِ التفعيلة لإيماني الكبير بجمالية نفسه في هذا النوع من الشعر لامتلاكه القدرة والمكنة على ذلك.

* الانسيابية والجرس الموسيقي:

تتسق لُغةُ الديوان بانسيابيةٍ فاتنة وجرسٍ موسيقي رائع، حيث تنساب القوافي متدفقةً رقراقة، كقوله في قصيدة "العيون السماوية":

عيونُكِ أبحرٌ، والقلبُ صادي
فمري بالسلام على فؤادي
أنا في لُجةٍ من بحر غيي
فرديني إلى فُلكِ الرشادِ
عيونُكِ والسماءُ على وفاقٍ
لها تمتدُ أعناقُ العبادِ

وقوله في مطلع قصيدة له بعنوان "هاطلة":

هَطَلْتِ في مهجتي قطْرًا من العنبِ
فصرتُ رقصةَ صوفيٍّ بلا حُجُبِ
وكان لي فيكِ معراجانِ من شغفٍ
إن جدَّ لي سببٌ أسمو إلى سببِ
عشقي تعتق من تفاح آدمهِ
وشقوتي فيكِ لم تبرح بعمر صبي

* النزعة الصوفية:

تتلبس الشاعرَ الجميل عبد الله الأحمد نزعةٌ صوفيةٌ واضحة في الكثير من نصوصه وخاصةً الغزلية منها وذلك في تصوري الخاص راجعٌ لطبيعة شخصيته التي تتسم بالوقار والسكينة إلى درجة أنك تشعر وأنت بجانبه أنك أمام كتلةٍ من الوداعة وهالةٍ هائلةٍ من العفويةِ والبراءة؛ حيث يجعله ذلك منساقًا ومتلبسًا بهذه النزعة الصوفية أثناء الكتابة؛ كقوله في قصيدة "متصوف":

أنا في هواها عارفٌ متصوفُ
أهوى اكتشافَ جمالِ ما لا يُكشفُ
تغريني الأسرارُ في أزرارها
وأنا بتفكيك الطلاسم أعرفُ

وفي قوله من قصيدة "غياب":

فمتى أُعيدُ إليَّ دفءَ مواسمي
ومتى تعود مراكبي من خلف أقنعة الضبابْ
وأعيشُ يوماً لا ينامُ على جروحِ الأمسِ
يوماً
ترقصُ الأنفاسُ فيه بلا اضطرابْ
ويذوبُ في صدري جليدُ اليأسِ
يفتح للمسرةِ ألفَ بابْ،
يجتاحني هذا الغيابْ

* شعرية الفقد:

يصور الشاعر الأحمد لوعةَ الحزنِ وحرارةَ الفقدِ الذي يملأُ كلَّ زاويةٍ من زوايا قلبه ووجدانه؛ حيث تفيضُ صفحاتُ الديوان بلوعة الفقد وثيمة الفراق وانصهار المشاعر، عندما يتحول رثاءُ الأب والأم إلى حالةٍ روحيةٍ مؤلمة تترك ندوباً لا تسعها الذاكرة، ففي رثاء أبيه يقول:

يسلّيه الكرى لكن جفاهُ
وكيف ينام من ينعى أباهُ

يحاصرني الأسى من كل صوب
كقبرك إذ يغطيني ثراهُ
ويعصرني الأسى في دكتيه
وأحبسُ صرخةً فتفرُ آهُ
أبي وطني وأيُّ أبٍ عزيزٍ
كأن اللهَ لم يخلق سواهُ
أبي يا نكهة "الأحساء" فينا
أتى وقت الصرام بلا شذاهُ

وفي رثاء أمه من قصيدة "أجنحة الأمان" يقول:

شجاني من غيابكِ ما شجاني
وساح بمقلتي دمعًا كِياني
تلفتنا فلم نلمحكِ حِضناً
يغطينا بأجنحة الأمان

* ذاكرةُ المكان:

تُمثّل "ذاكرةُ المكان" في الوجدان الشعري عند الأحمد نبضاً حيّاً يستنطق به الأماكن، ويحولها إلى أحاسيسَ إنسانيةٍ ومشاعرَ حيةٍ كما في قوله عن الأحساء:

لوّح إلى الأحساء يا شعرُ
فلحضنها في خافقي عطرُ
يا صنوةَ الأملاكِ في نسكٍ
ينسابُ منكِ السلمُ والفكرُ

ومن قصيدة له بعنوان " باريس " يقول:

دعاني منكِ يا (باريسُ) داعي
فجئتُ ولهفتي الحرَّى متاعي
إذا فاضَ الهُيامُ على ضلوعي
تفتحتِ الأقاحي في يراعي
مشيتُ مشرداً في كلِّ دربٍ
ضياعي فيكِ ما أحلى ضياعي
هنا في ساحةِ "الكونكوردِ" فجرٌ
تبلَّجَ من هِتافاتِ الجياعِ
ومن "فولتير" إشراقٌ ثريٌّ
به التنويرُ يُشرقُ في البقاعِ
ليهوي في ثرى "الباستيلِ" عهدٌ
من الإقطاعِ مات بلا نواعي

* فلسفة وتعريف الحب:

يقدم شاعرنا المتألق عبد الله الأحمد رؤيةً عميقةً للحب تتجاوز المعاني العاطفية البسيطة. فالحب في مفهومه يمثل "مختبرا للوجود" وقوةً خلاقةً تعيد هندسةَ الحياة وصياغةَ الأرواح، وتربط الإنسانَ بجذوره الأولى بانسجام يشبه تناغم الأقطاب في الفضاء، لتتلاشى معها أشكال الشقاء لينبعثَ الوجودُ الإنساني من جديد في مقطع شعري بديع من قصيدة له بعنوان "توأم الروح":

للحبِّ فلسفةٌ وراءَ حدودِنا
تاهت بأبسطِ سرِّها الآراءُ
هو بانجذابِ القطبِ نحو نظيرهِ
في سكرةِ الدورانِ، دارَ فضاءُ
الحبُّ مختبرُ الوجودِ به يعيدُ
صياغةَ الأرواحِ كيف يَشاءُ
فيه التكوّنُ من سديمٍ آخرٍ
حتى تصيرَ لخلقنا أسماءُ
ويعيدُ هندسةَ الحياةِ ليرتقي
إنسانُنا ويموتَ فيه شقاءُ
ويعيدُ برمجةَ الشعورِ كأنَّهُ
هو للمشاعرِ ومضُها الوضاءُ
ويعيدُ خلقَ وجودِنا فنائُهُ
وتعودُ في أضلاعنا حواءُ

* الانفتاح الفكري والوسطية:

يحمل الديوانُ نزعةً تحررية واعيةً تدعو إلى الوسطية والانفتاح الفكري ورفضِ التزمتِ والنمطية، كما في قصيدة "وسطية":

هنا سأستَقيلُ من دمي
وأحملُ الحياةَ بالوسطْ
لأنني للحب أنتمي
فكلُ ما خالفه غلطْ
النمطُ الواحدُ سكرةٌ
تحسبوا الصحوةَ بالنمطْ

* المحطة الخاتمة:

يُثبت ديوان "جدائل شعر" أن الشاعر الأحمد يمتلك أدوات فنية رائعة؛ إذ استطاع أن يزاوج بين رقة الرومانسية الكلاسيكية ومظهرٍ من مظاهر الحداثة، مقدماً وجبةً شعريةً تتسم بالانسيابية والموسيقى العالية والصدق الوجداني والرؤية الواضحة.

مقال



مطلق ندا

@mutlaq_nada

«سيبها على الله»

كنت في زيارة إلى جمهورية مصر العربية، وتحديداً القاهرة، وطلبت سيارة عبر تطبيق "أوبر" لتوصلني إلى مشوار يتعلق برحلتي العملية. وبينما كنا في الطريق رن هاتف السائق، فدار بينه وبين المتصل حديث بدا من نبرته أن صاحبه يمر بمشكلة ويطلب رأيه أو يبحث عمن يخفف عنه. لم ألتقط تفاصيل الحديث كلها، لكن عبارة واحدة قالها السائق بقيت في ذهني: "قول يا رب وسيبها على الله". عبارة بسيطة تتردد كثيراً على ألسنة الناس، لكنها ليست مجرد كلمة تقال عند العجز أو الضيق، بل تحمل في معناها قدراً كبيراً من الإيمان والطمأنينة، فهي تبدأ باللجوء إلى الله، ثم تفويض الأمر إليه بعد الأخذ بالأسباب الممكنة. وما أحوج الإنسان إلى هذا المعنى في أيام تتزاحم فيها الهموم، ويكثر فيها التفكير في أمور لا يملك وحده حسمها أو التحكم في نتائجها. التوكل لا يعني أن يترك الإنسان عمله أو يتخلى عن واجبه وينتظر الفرج دون سعي، وإنما أن يبذل ما يستطيع، ثم يطمئن إلى أن تدبير الله أوسع من تدبيره، وأن ما يخفى عليه من الخير قد يكون أكبر مما يراه أمامه. وقد قال تعالى: "وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ"، وهي آية تبعث في النفس أمناً لا تصنعه كثرة الحسابات ولا طول القلق. ولعل بعض الناس يخلط بين التوكل والاستسلام، فيؤجل ما يجب عليه أو يترك السعي ثم يقول: "توكلت على الله"، والحقيقة أن التوكل يصاحبه سعي صادق، فالطالب يجتهد، والمريض يذهب إلى الطبيب وينتظم على العلاج وفق وصفة الطبيب، وصاحب الحاجة يطرق أبوابها المشروعة، ثم يعلّق قلبه بالله لا بالأسباب وحدها. فالأخذ بالأسباب واجب على الإنسان، أما النتائج فبيد الله عز وجل، وهي الحكمة التي تمنح النفس توازنها عند النجاح، وتصبّرها عند تعثر الأمور. كم من حاجة أرهقنا التفكير فيها ثم جاء حلّها من طريق لم يخطر لنا على بال، وكم من باب حسبناه مغلقاً ثم فتحه الله في الوقت الذي اختاره سبحانه، وكم من رغبة لم تتحقق فحزنا عليها، ثم عرفنا بعد زمن أن عدم تحققها كان هو الخير لنا. وليس معنى ذلك أن الإنسان لا يحزن ولا يقلق، فهذه طبيعة بشرية، لكن الفرق بين من يحمل همه وحده ومن يرفعه إلى ربه فرق كبير. لقد أعجبني في تلك العبارة أنها جاءت عفوية، بلا خطبة ولا تكلف، وكأن السائق يقدم لصاحبه خلاصة تجربة يعرفها الناس جميعاً: قل يا رب، واسْعَ فيما تستطيع، ثم سلّم أمرك لله. فالله وحده يعلم ما في القلوب، ويعلم مواضع الضعف والحاجة، وهو سبحانه أقرب إلينا من كل سبب نلجأ إليه. وقد قال تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ". ولعل أجمل ما في هذه الكلمات أنها تذكّرنا بأن في الحياة أموراً لا نملكها، لكننا نملك دائماً أن نطرق باب الله، وأن نثق برحمته، وأن نقول بصدق: يا رب، ثم نترك ما عجزنا عنه بين يديه سبحانه.

ديواننا



إبراهيم عمر صعابي

طيف



أَطْرَقْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا تَتَقَرّبُ
ضَحِكَتْ وَقَالَتْ لَسْتَ إلاَّ واهِمًا

تَرْهُو بِقَامَتِهَا وَقَلْبِي مُتْعَبُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ ..... فَابْتَعِدْ يَا طَيّبُ

عَادَتْ فَأَسْلَمَهَا الحَنِينُ لِعَاشِقٍ
حَتّى تَفَطّرَ خَافِقِي مُتَسَائِلًا

يَصْفُو لَهَا الحُلْمُ النّقِيّ الأَطْيَبُ
مَاذَا أَقُولُ لَهَا وَمَاذَا أَكْتُبُ؟

كَمْ حَيّرَتْنِي بِابْتِسَامَةِ ثَغْرِهَا
فَطَفِقْتُ أَرْوِي لِلرِّفَاقِ حِكَايَتِي

وَعُيُونُهَا مِنْ رُؤْيَتِي تَتَهَرّبُ
وَأُعِيدُ مَا رَوَتِ الشِّغَافُ وَأُسْهِبُ

مَرّتْ كَطَيْفٍ دُونَ وَعْدٍ ضَاحِكٍ
مَا هَالَنِي إلّا عُذُوبَةُ قَوْلِهَا

كَالطِّفْلِ يَصْدُقُ فِي الوعُودِ وَيَكْذِبُ
وَعَلَى الجَبِينِ عِبَارَةٌ لَا تُعْرَبُ

تَمْشِي .. خُطَاهَا نَغْمَةٌ فَوّاحَةٌ
مَنْ ذَا يُجِيبُ عَنِ الغَرِيبِ سُؤَالَهُ:

وَالجَفْنُ سَهْمٌ لِلْفُؤَادِ يُصَوَّبُ
مَا بَالُ ضِحْكَتِهَا بِشَوْقِي تَلْعَبُ؟

أَخْفَتْ شُعُورًا حِينَ جِئْتُ مُسَلِّمًا
سَمْرَاءُ مِنْ خَلْفِ النِّقَابِ كَأَنّهَا

وَأَنَا عَلَى جَمْرِ الغَضَا أَتَقَلّبُ
شَمْسٌ يُغَطّيهَا الغَمَامُ وَيَحْجُبُ

مقال

ما الذي يجعلنا نواصل المحاولة؟



حنين محمد عقيل

@haneen_m_303

ثمة لحظات يصبح فيها الاستمرار أصعب من البداية؛ حين يبذل الإنسان جهدًا متكررًا، ويمضي وقتًا طويلًا في السعي نحو ما يريد، ثم يلتفت حوله فلا يجد نتيجة واضحة تدل على أنه اقترب. عندها لا يكون التعب وحده ما يثقل عليه، بل ذلك السؤال الذي يتسلل إلى داخله: ماذا لو كنت أهدر وقتي؟ وماذا لو أن كل ما أفعله لا يقودني إلى شيء؟ إن غياب النتائج يضع الإنسان أمام شكٍّ يتجاوز قدرته على الإنجاز؛ فقد يبدأ في التشكيك في جدوى الطريق نفسه، وفي قيمة ما بذله من جهد. وما كان يمنحه الأمل في البداية قد يصبح مصدرًا للإحباط، خصوصًا حين تتكرر المحاولات دون أن يرى أثرًا ملموسًا لها. فليس سهلًا أن تواصل العمل وأنت لا تعرف إن كانت خطواتك تقرّبك من غايتك، أم أنك تدور في المساحة ذاتها.

ومع ذلك، ليست المحاولة مجرد وسيلة للوصول إلى نتيجة. ففيها شيء من الإنجاز بحد ذاتها؛ أن يتحرك الإنسان نحو ما يريد، وأن يمنح هدفه وقتًا وجهدًا، بدل أن يكتفي بالرغبة فيه. وحتى المحاولات التي لا تنجح قد تترك أثرًا لا يظهر في صورة نتيجة مباشرة؛ ربما تكشف خطأ لم ننتبه إليه، أو تعرّفنا إلى حدود وسيلة اعتمدنا عليها، أو تجعلنا نرى الطريق من زاوية مختلفة. لكن ذلك لا يحدث لمجرد أننا حاولنا، بل حين نتوقف قليلًا لنتأمل ما جرى، ونسأل أنفسنا عمّا يمكن أن نتعلمه منه.

وهنا لا تبدو كل أشكال الاستمرار متشابهة. فهناك من يواصل لأنه ما زال يؤمن بما يسعى إليه، ويرى في هدفه ما يستحق المحاولة، ولذلك لا يكتفي بتكرار الخطوات نفسها، بل يبحث عن وسائل أخرى، ويعيد النظر في اختياراته كلما احتاج الأمر. وفي المقابل، قد يواصل آخر لأنه لا يريد الاعتراف بأن الطريق لم يعد مناسبًا، أو لأنه يشعر أن التوقف سيجعل كل ما بذله من قبل بلا قيمة. فيتحول الإصرار، من دون أن يشعر، إلى عبء يستنزفه أكثر مما يقربه.

ولعل هذه إحدى المفارقات التي لا ننتبه إليها كثيرًا: أننا قد نتمسك بطريق ما لأننا أنفقنا فيه الكثير، لا لأننا ما زلنا نرى فيه وجهتنا. كأن الاعتراف بأن علينا تغيير المسار يعني الاعتراف بأننا أخطأنا منذ البداية، مع أن بعض الطرق لا تتضح حقيقتها إلا بعد أن نمضي فيها مسافة كافية.

لذلك، لا يمكن أن يكون الاستمرار مرادفًا للنجاح دائمًا، كما لا يكون التوقف دليلًا قاطعًا على الفشل. فقد يحتاج الإنسان إلى الصبر كي يرى أثر ما يفعله، وقد يحتاج إلى الشجاعة كي يغيّر طريقه. وبين الصبر والعناد مساحة دقيقة، لا يكشفها طول الرحلة وحده، بل قدرتنا على أن نسأل أنفسنا: هل ما زلت أتحرك نحو ما أريد، أم أنني أحاول فقط ألا أبدو كمن تراجع؟

ربما لا نعرف، ونحن في منتصف الطريق، أيّ المحاولات ستقودنا إلى ما نرجوه، وأيّها ستكشف لنا أن علينا أن نسلك طريقًا آخر. لكننا نعرف أن الجهد لا يُقاس دائمًا بما يظهر في نهايته؛ فبعض ما نتعلمه لا يتضح إلا بعد حين، وبعض الطرق التي لم تصل بنا إلى وجهتنا جعلتنا نعرف، على الأقل، ما الذي لم نعد نريد أن نسلكه. وبين ما نبلغه وما نكتشفه في الطريق، تتشكل حكاية المحاولة؛ حكاية لا تختصرها نتيجة الوصول وحدها.

ديواننا



معبر النهاري



مَرَّ مِنْ هُنَا ..

إلى سعيد السريحي

كَانَ يَحْيَا الضَّنَى وَيَقْتَاتُ وَهْمَا
وَيُعَانِي مِنَ الْعَذَابَاتِ هَمّا
وَيُنَادِي عَلَى الْجِهَاتِ أَجِيبِي
كَيْفَ سِرُّ الْخُلُودِ لِلطِّينِ يُنْمَى؟
يَا لَفَجْرِ الْغَدَاةِ يَا حُلْمَ لَيْلٍ
خَانَهُ النُّورُ حِينَمَا صَارَ أَعْمَى
أَيْنَ قَلْبِي؟ سَرِيرَتِي ؟ بُوْصَلَاتِي؟
يَا ثَوَانٍ تَطِيشُ كَيْفًا وَكَمّا
كُلَّمَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ الْمَنَايَا
كَانَ عُرْسًا بِهِ الْعَذَابُ اسْتَجَمّا؟!
فِي مَرَايَا الْجِهَاتِ كَمْ ذَابَ قَلْبٌ
أَشْبَعَتْهُ السِّنُونُ كَدْحًا وَظُلْمَا
فَارْتَمَى الصَّمْتُ فِي حَنَايَاهُ قَهْرًا
كُلَّمَا فَزَّ نَبْضُهُ ضَمّ كَلْمَا
رَاقَصَتْهُ الْمُدَى فَمَا ثَمّ نَصْلٌ
غَارَ فِي مُنْتَهَاهُ إِلَّا وَأَدْمَى
يَتَثَنَّى مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ لَكِنْ
ظَلَّ يَرْوِي جَوًى وَيَنْدَافُ حُلْمَا
عُمْرُهُ مِثْلَ مَجْدِهِ قَدّ غَدْرًا
حِينَ صَارَ الضِّيَاءُ لِلزَّيْفِ أُمّا
قَدْ غَدَا لِلسَّنَاءِ أَصْلًا وَرَمْزًا
فَاصْطَفَتْهُ السَّمَاءُ بُرْجًا مُسَمّى
غَارِسًا فِي الْحَيَاةِ نَسْغَ خُلُودٍ
صَاغَ مِنْ تُرْبِهَا الْبَهَاءَ وَعَمّ
وَغَدَا يَقْهَرُ السَّرَابَ لِيَطْوِي
حُلُمَ الْوِرْدِ حِينَمَا كَانَ أَظْمَا
كُلَّ خِلٍّ رَعَاهُ بِالْأَمْسِ طِفْلًا
حَزَّ مِنْهُ الْوَتِينَ إِذْ صَارَ خَصْمَا
مَرَّ مِنْ هَاهُنَا عَذَابًا وَيَكْفِي
خَانَهُ الْكَوْنُ عِنْدَمَا فَاضَ عِلْمَا

مقال

شيطانة الرواية التي أغوت شيطان الشعر.



أ.د.محمد بن راضي الشريف

لم يكن الشعر العربي في أوج سلطانه يتصور أن يأتي يوم ينازعه فيه جنس أدبي آخر مكانته، ويستأثر دونه باهتمام القراء والنقاد ويزاحمه على المنابر والجوائز ومجالس الأدب. فقد ظل قرونًا ديوان العرب ولسان أمجادهم ومستودع حكمتهم حتى استقر في الوعي الثقافي أن الشعر هو الأدب وأن ما عداه يدور في فلكه.

ولم تكن هذه السيادة لتخلو من أساطير تفسر سطوة الشعر وعبقرية الشعراء؛ فكان لكل شاعر فحل شيطانه الذي يوحي إليه ويمده بما يعجز عنه سائر الناس. ولعل هذا الاعتقاد نشأ من غموض العملية الإبداعية نفسها؛ إذ كثيرًا ما يفاجأ الشاعر بصورة أو عبارة تنبثق من أعماقه دون تدبير واعٍ وكأن قوة خفية تملي عليه ما يقول.

وقد تفاخر أبو النجم العجلي بشيطانه قائلًا:

إني وكلُّ شاعرٍ من البشرْ
شيطانُه أنثى وشيطاني ذكرْ

وهو تفاخر يستند إلى تصور ثقافي يجعل الذكورة قرينة القوة والتفوق والأنوثة قرينة الضعف. غير أن المفارقة تكمن في أن المخيلة العربية نفسها نسبت إلى المرأة المكر والغواية وعظيم الكيد، حتى جرى على الألسنة قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. فكيف استهان الشاعر بشيطانة الشعر، وهو ينتمي إلى ثقافة تعترف للأنثى بتلك القدرة على الإغواء والمراوغة؟!

ولعل الأيام قد حملت جوابًا ساخرًا عن هذا التناقض؛ إذ ظهرت الرواية وكأن وراءها شيطانة استطاعت أن تغوي شيطان الشعر نفسه وتنتزع منه جانبًا من سلطانه على الذائقة الأدبية.

لكن هل الرواية كالشعر وليدة تلك القوة الخفية التي اصطلح علم النفس على تسميتها باللاشعور؟

إن الإبداع في الجنسين يتغذى من منابع لا شعورية وإن اختلفت طرائق تجليها؛ فالشاعر كثيرًا ما يفاجأ بما يقوله بينما يفاجأ الروائي بما تفعله شخصياته. فالأول تنبثق في ذهنه الصور والعبارات والإيقاعات، والثاني تتولد في مخيلته الشخصيات والمواقف والصراعات، حتى ليشعر أحيانًا بأن شخصياته قد تمردت عليه واستقلت بمصائرها عن خطته الأولى.

وليس معنى ذلك غياب العقل الواعي؛ فالشعر والرواية كلاهما يحتاج إلى الصياغة والمراجعة والبناء، غير أن اللاشعور يمدهما بمادة الإبداع قبل أن يتدخل الوعي في تشكيلها وتهذيبها.

وهنا تتضح المفارقة بين الشيطانين؛ فشيطان الشعر يوحي بالقول، أما شيطانة الرواية فتغوي بالحكاية. والشاعر مأخوذ بسلطان العبارة، بينما الروائي مأخوذ بسلطان العالم الذي يخلقه. وإذا كان الشاعر قد يشعر بأن القصيدة هي التي اختارته، فإن الروائي قد يشعر بأن شخصياته التي اختارها قد استولت عليه.

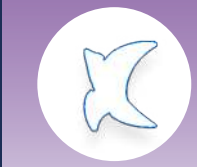
ولعل الرواية قد أحسنت استثمار هذه القدرة على الإغواء؛ فهي لا تكتفي بإمتاع القارئ باللغة، بل تستدرجه إلى عوالم تتشابك فيها الرغبات والمخاوف والأسرار والمصائر، وتتيح له أن يعيش حيوات لم يعشها، وأن يختبر تجارب لم يخضها. وهكذا غدت الحكاية منافسًا قويًا للقصيدة في اجتذاب المتلقي.

ولم تقف غواية الرواية عند القراء، بل امتدت إلى بعض الشعراء الذين هجرت أقلامهم القصيدة إلى السرد، وكأن شيطانة الرواية لم تكتف بمنافسة شيطان الشعر بل أغوت بعض أتباعه أيضًا.

ومع ذلك، فإن صعود الرواية واتساع حضورها في الجوائز والمؤسسات الثقافية والأسواق لا يعني تفوقها الجمالي المطلق؛ فالرواج شيء والقيمة الفنية شيء آخر. وقد تختزن قصيدة عظيمة في بضعة أبيات من التجربة الإنسانية ما تحتاج الرواية إلى مئات الصفحات لاستكشافه.

ثم إن الحدود بين الجنسين ليست منيعة؛ فالرواية قد تستعير من الشعر لغته وكثافته وإيحاءه، والشعر قد يستعير من الرواية الحكاية والشخصيات وتعدد الأصوات، بما يؤكد أن الإبداع أوسع من أن تحتكره صورة أدبية واحدة.

وهكذا، فإن شيطانة الرواية لم تهزم شيطان الشعر بقدر ما زاحمته في مملكة الخيال، وأغوت جمهورًا كان الشعر يستأثر به. أما الشعر، فقد خسر شيئًا من سلطانه، لكنه لم يخسر سرَّه؛ ذلك السر الذي يجعل القصيدة تولد أحيانًا قبل أن يعرف الشاعر كيف وُلدت.



ديواننا



علي الثوابي

تسامي

سَلَامٌ على مَن رَأَوْا في
الحَيَاةِ الحَيَاةْ

ومَن لم يَمُوتُوا
كما مَاتَ مَنْ هَدّهُ
البُؤسُ عُمْرًا
فَكَانَ المَمَاتْ

سَلَامٌ على مَن تَسَامَوْا
وكَانُوا بَيَاضًا
إِذَا مَا تَهَاوَتْ حَكَايَا الرُّوَاةْ

وسَارُوا
كِبَارًا كَعَلْيَاءِ أَحْلَامِهِمْ
إِنْ غَدَا في
الدُّرُوبِ الطُّغَاةْ

سَلَامٌ عَلَيْهِمْ
سَلَامٌ .. سَلَامْ
إِذَا ما الأَمَانِي
تَعَالَتْ على كُلِّ يَأْسٍ
وبَثَّتْ بَهَاءً
فَمَا زَادَ إِلّا كَمَال الثَّبَاتْ ..

ال
ثّ
بَا
تْ
الثَّبَاتْ

روشتّة قلب..

كنتَ وحدكْ
لستُ أدري
ربّما ..
حينَ أجرى في وريد الوقتِ حتفَكْ
وانتضى لكْ
ذلكَ اللاشيءَ
وعدًا
من مواعيد العَنَا
فاستمالَ الحزنَ حتّى
هدهد النبضَ النوى
واصطفى لليأسِ قلبَكْ

يسرِقُ الأفراحَ
من عينيكَ طرًا مثلما
نهنه الآتون سمعَكْ

أيّها الماضي لأوجاع النوى استفق
إن للآتي رؤًى
قد يعيد اليومُ أمسَكْ



مقال



يوسف الحربي

حين يُباع الفن.

يمثّل بيع لوحة أو افتتاح مزاد علني عالمي حدثاً يستقطب اهتمام الكثيرين، مختصين كانوا بالفنون والثقافة أم من عامة الجمهور، إذ يكفي عرض العمل وتقييمه مادياً، ثم إعلان المبالغ الخيالية التي بيع بها، ليتحوّل الأمر فوراً إلى مصدر جدل واستفزاز في الأوساط الفنية والنقدية والاقتصادية على حدٍّ سواء، خاصةً إذا ما أحاطت بالصفقة هالةٌ من الغموض والتعتيم حول هوية المشتري والجهة التي دفعت تلك الأرقام الفلكية، هذا المشهد يضع كل متابع أمام حقيقة شائكة حول مدى ارتباط الفن بالمال، وكيف تحوّل الإبداع من رؤى تعبيرية إنسانية خالصة إلى صفقات استثمارية أُدخلت قسراً في منظومة البيع والشراء.

إن تداخل رأس المال مع الفن، وتزايد الضجة الإعلامية المصاحبة له من سبق صحفي ودعاية وإثارة، خلق آليةً غريبة تتحكم في تسعير اللوحة وتوجيه مسار الإبداع، بل وأسس لدوافع الاحتكار التي تُعلي من شأن فنانين على حساب آخرين، وتبدو هذه الأرقام مستفزةً إلى أقصى حد حين نستحضر سيرة فنان عاش فقيراً يبحث عن قوت يومه، أو عن ثمن خاماته وألوانه، أو حتى عن جمهور يقدّر ما يرسم ويعرض، تماماً كما حدث مع أحد أشهر رواد الفن التشكيلي الحديث الهولندي "فان جوغ"، الذي تُباع أعماله اليوم بملايين الدولارات في حين أنه مات فقيراً، بائساً، ومثقلاً بالمرض، لدرجة أن ورقة كتبها بخط يده يطلب فيها قرضاً بأربعين فرنكاً، أو لوحاته التي لم تجد من يشتريها في حياته، باتت تُباع اليوم بأرقام خيالية تتضاعف مع مرور الزمن.

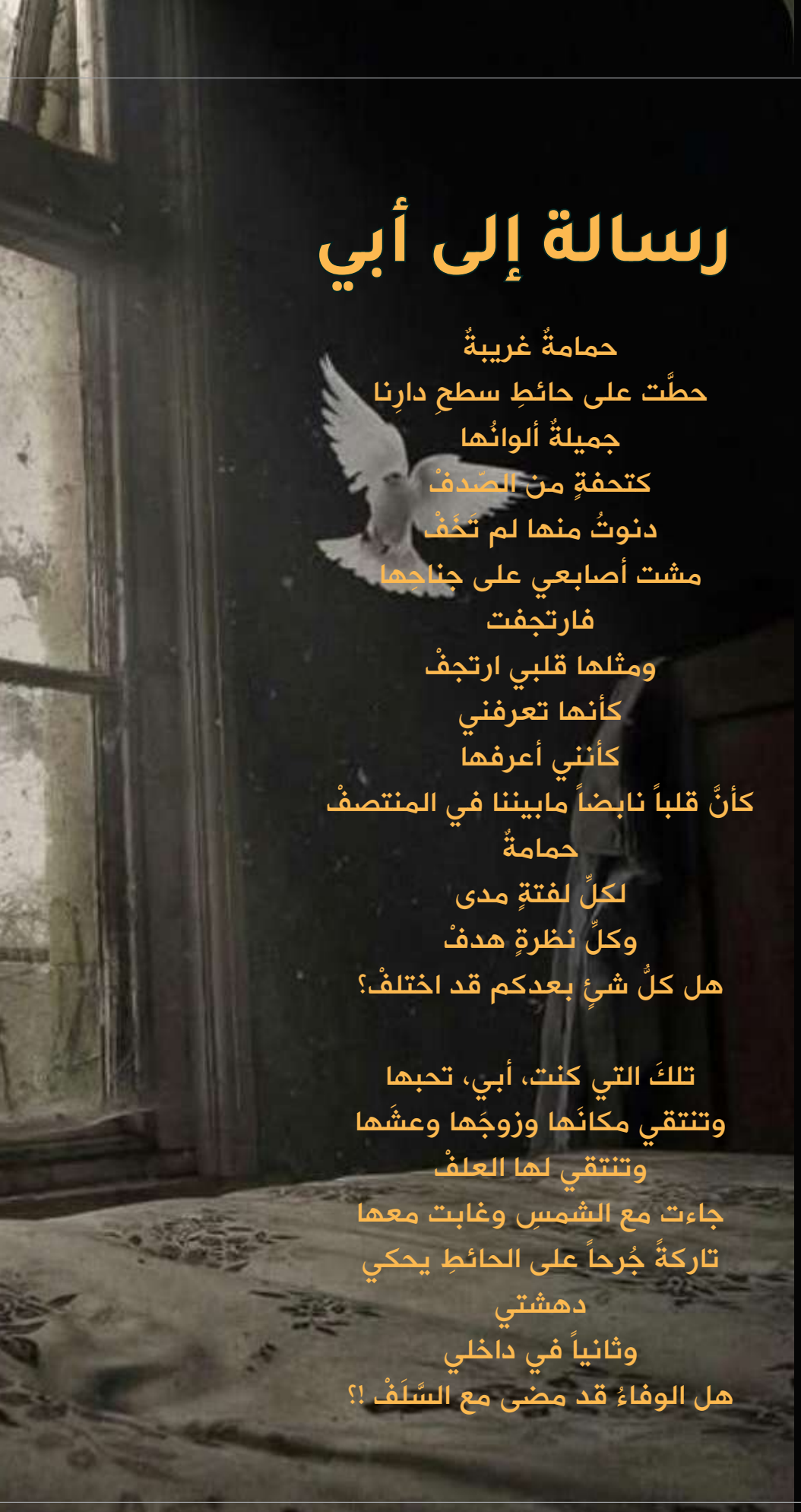
هذا التناقض الصارخ نراه واقعاً ملموساً في منطقتنا العربية، حيث يحتدم الصدام بين فكرة " الإنجاز الفني" وفكرة "التسويق"، فالتسويق للفن في عالمنا العربي لا يزال في معظمه تقليدياً وارتجالياً، لا يخضع لمنطق السوق المؤسسي والاستثمار المدروس، بل يخضع لوصاية الفنان الفردية أو مزاجه الخاص، وإذا كان الفن عالمياً يُعدّ استثماراً مربحاً، فإن غياب المعايير الواضحة لدينا يجعلنا نتساءل : على أي أساس يُقيَّم منجز فنان دون آخر؟ ولماذا نجد قلة من الفنانين الأثرياء مقابل غالبية متزهدة لا تكاد تبيع لوحة في معرض، وإن باعت فغالباً ما يكون ذلك عبر اقتناء المؤسسات الحكومية القائمة على الثقافة، أو أصدقاء الفنان.

إن غياب التصنيف والتنظيم الاقتصادي للفن يحرمه من الدخول الفاعل ضمن المنظومة العامة للسوق، وحتى لو أُدخل إليها، فالأمر يتطلب تهيئة شاملة للمجتمع والمستثمرين على حدٍّ سواء، فالجغرافيا العربية تشهد تفاوتاً اقتصادياً وثقافياً وفنياً كبيراً، مما يجعل درجة الوعي بتلقي الفنون واقتنائها متفاوتة هي الأخرى، وهنا تبرز أهمية إخراج الفنون من دائرة "النخبوية" الضيقة ودفعها نحو المجتمع، وذلك عبر إعادة هيكلة تعليم الفنون في المدارس والجامعات، لا لتُدرَّس كحصة، بل تقدم كعلم ومعرفة لهما أثرهما النفسي والتربوي في الارتقاء بالذائقة العامة وتسهيل تذوق الجمال لدى الأجيال المتعاقبة، وبالتوازي مع ذلك، لا بد من بناء وعي حقيقي لدى رجال الأعمال والمستثمرين، يمكّنهم من إدراك القيمة الفنية والفكرية للعمل الإبداعي قبل النظر إلى عائده المادي المجرد.

إن جوهر الإشكالية في هذه العلاقات الشائكة يكمن في ضرورة التمييز الدقيق بين العمل الفني وبين أي منتج استهلاكي أو "سلعة" عادية لها مداراتها التجارية البحتة، فالتعامل السطحي مع الفن كمجرد سلعة يُجرّده من قيمه العليا ومن إنسانية الفعل الإبداعي، في المقابل فإن تسليط الضوء على الجودة الفكرية والحسية للمنجز الفني هو ما يمنحه قيمته العالمية، وينهض بمردوده الاجتماعي والثقافي والاقتصادي معاً.

وعندما تتكاتف الجهات الثقافية المسؤولة لتفعيل دور الفن كعنصر اقتصادي متكامل، وتضطلع منظومة الإعلام الجماهيري والثقافي بمسؤوليتها في التعريف والتثقيف بجدية تتجنب التهميش والمبالغة، سنصل إلى معادلة عادلة، معادلة تحفظ للفن روحه، وتمنح الفنان المبدع حقه المشروع في التقدير المعنوي والمادي الذي يوازي متطلبات الحياة وتكاليف الإنجاز الباهظة من عرض وتنقل ونشر، ليعيش كريماً بفنه في حياته لا في ذاكرة المزادات بعد رحيله.

* كاتب في المجال الثقافي، مؤلف صدر له ثلاثة كتب منها (حين يُباع الفن).



ديواننا

عبدالرحمن
يوسف الدبيان

رسالة إلى أبي

حمامةٌ غريبةٌ
حطَّت على حائطِ سطحِ دارِنا
جميلةٌ ألوانُها
كتحفةٍ من الصّدفْ
دنوتُ منها لم تَخَفْ
مشت أصابعي على جناحِها
فارتجفت
ومثلها قلبي ارتجفْ
كأنها تعرفني
كأنني أعرفها
كأنَّ قلباً نابضاً مابيننا في المنتصفْ
حمامةٌ
لكلِّ لفتةٍ مدى
وكلِّ نظرةٍ هدفْ
هل كلُّ شيءٍ بعدكم قد اختلفْ؟

تلكَ التي كنت، أبي، تحبها
وتنتقي مكانَها وزوجَها وعشَها
وتنتقي لها العلفْ
جاءت مع الشمسِ وغابت معها
تاركةً جُرحاً على الحائطِ يحكي
دهشتي
وثانياً في داخلي
هل الوفاءُ قد مضى مع السَّلَفْ !؟

مقال



عبدالواحد اليحيائي

ثبات

«جاء عن جمال الدين الأفغاني رحمه الله في خاطراته: سمعت حكاية يعزونها للجنيد، من كبار المتصوفة، وهي أن رجلًا كان ديدنه السرقة، فقطعت يده في الأولى، ثم قطعت الثانية في السرقة الثانية، فثابر على فعل السرقة برجله فقطعت، فسرق بلسانه فقطع، إلى أن استحق القتل فصلب. فمر عليه الجنيد فقبّل جسده، فقيل له: أتقبل جسد لص مصلوب؟ قال: إنما أفعل ذلك لثباته».

ثم علّق الأفغاني على الحكاية قائلًا إن صحت أو لم تصح، ففيها ما يدل على معقول فضيلة الثبات. وتساءل: لو أخذنا ذلك اللص طفلًا، وتعاهدناه بالعلم الصحيح والوسط الصالح والمثال الحسن، وفيه ذلك الاستعداد الفطري للثبات، فأي عظيم من رجال الفضيلة كان يضارعه أو يفوقه؟

نعم، الثبات على المبدأ فضيلة قد تتجاوز الفضيلة الأصيلة. فأنت صادق بمقدار ثباتك على الصدق، لا لأنك صدقت مرة أو مرتين. وأنت شجاع بقدر ثباتك على شجاعتك، وتوصف بالصدق أو الشجاعة أو الكرم والسخاء أو النزاهة إذا ثبتَّ على ذلك حتى صار لك خلقًا وطبعًا.

وكثيرًا ما نحتاج إلى مبدأ الثبات نحن معشر الكتّاب: ثباتًا على القراءة، فتتواصل بلا توقف وفي جميع المجالات المتاحة وبكل اللغات التي نجيدها؛ وثباتًا على التجريب، فيستمر مرة بعد مرة بلا يأس، محاولين اكتشاف أساليب جديدة تناسب الزمان والمكان والإنسان المعاصر؛ وثباتًا على التأمل، عسى أن نصل إلى مزيد من الأفكار المغايرة والموضوعات التي تثير اهتمام القارئ بين حدّي المتعة والمنفعة، أو هما معًا ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

ونحتاج كذلك إلى الثبات في صبرنا على النقد، فلا نغضب من كلمة قيلت هنا أو رأي كتب هناك، سواء أكان لتصحيح خطأ أو تعديل مسار، أم كان رأيًا نختلف معه.

ونحتاج إلى الثبات في مواجهة معوقات الكتابة، فلا نيأس؛ لأن الحياة، بمشاقها ومطالبها وأفراحها وأحزانها، تحول كثيرًا بيننا وبين ما نحب من الأقلام والكتب والأفكار والمشاهدات والتجارب.

ولعل الميزة الكبرى للفنان الكبير، مبدعًا أو ناقدًا، شاعرًا أو ناثرًا، أو المثقف في أي شأن من شؤون الحياة، هي أنه يواصل الثبات على موقفه حين يؤمن بصحته، رغم تردد من حوله ومحاولتهم ثنيه عما يعتقد صوابه، ويبقى صابرًا متمسكًا بأفكاره حتى حين لا يفهمها أحد.

أين كنا سنكون اليوم لو ترك الأنبياء والمصلحون دعوتهم إلى الخير لأن الناس أتعبوهم وهاجموهم وانتقصوا من عملهم، واتهموهم حينًا بالجنون وحينًا بالسحر؟ وكم كنا سنخسر من الجمال لو تخلى المبدعون عن إبداعاتهم في الشعر والرواية والموسيقى لأنها لم ترق لأذواق بعض الأفراد أو المجتمعات؟ وأين كانت ستتوقف الإنسانية كلها لو تخلى العلماء عن أبحاثهم وعملهم الدؤوب ومحاولاتهم المضنية في البحث والاستكشاف، والعمل من أجل حياة أكثر لياقة بالإنسان؟

لنعمل مخلصين مجتهدين، ثم لنصبر قليلًا على الناس وعلى أنفسنا أيضًا بعيدًا عن اليأس والخوف. ومع الإخلاص وتحري الصواب والصبر، سيأتي الخير الكثير بإذن الله، لنا وللناس من حولنا.

أفق النقد



عبد الله طاهر المعيبد

أُغْنِيَةٌ وَمَأْتَمْ ..

تشكلات المفارقة في شعر جاسم عساكر.

ليست القراءة، في بعض التجارب الشعرية، مجرد عبور من البيت إلى معناه؛ فقد تكون إعادة للنظر في الأشياء ومراجعة للمعاني التي ألفناها حتى غدت من المسلمات. فالشعر، في لحظاته الأكثر عمقا، لا يكتفي بأن يقول ما نعرفه، بل يدفعنا إلى مساءلة ما نظن أننا نعرفه، ويضعنا أمام علاقات جديدة بين الأشياء، قد تبدو متناقضة في ظاهرها، لكنها تكشف عن حقيقة أعمق حين نتأملها.

ومن هنا تبرز المفارقة بوصفها آلية جمالية تحرك المعنى بين طرفين متقابلين، وتجعل التوتر بينهما مسارًا لولادة دلالة جديدة. فهي لا تقوم على مجرد الجمع بين المتضادات، وإنما على خلخلة توقع المتلقي وإعادة ترتيب علاقته بما يراه ويسمعه ويفهمه.

تخيلوا إنسانا يئن من وجعه، فيلتفت إليه الناس ظانين أنه يغني. أي مفارقة هذه التي تجعل الألم يسمع كأنه فرح، والأنين يبدو أغنية؟

أون من لوعتي --- وقالوا يغني

فما يسمعه الآخرون غناء هو، في حقيقته، أنين المتكلم. وبين التجربة الداخلية وتأويل الآخرين تنشأ المفارقة صوت واحد، لكن بدلالتين مختلفتين؛ إحداهما تنبع من حقيقة الألم، والأخرى تتشكل بفعل النظر من الخارج.

وهذه المسافة بين حقيقة الشيء ومظهره هي المدخل الذي تقترح من خلاله قراءة شعر جاسم عساكر؛ فالمفارقة في تجربته لا تقتصر على صناعة الدهشة، بل تتجاوزها إلى مساءلة التصورات الجاهزة والكشف عما تخفيه المظاهر من حقائق مغايرة.

ويمكن النظر إلى هذه المفارقة عبر أربعة مستويات متداخلة معرفية تعيد تعريف الأشياء، وعرفانية تنفذ من ظاهرها إلى باطنها، وجمالية تحول التناقض إلى صورة شعرية، وجلالية تفتح التجربة على أسئلة الرجاء والحرية والعلاقة بالمطلق.

ولعل عنوان مجموعته أغنية لهذا المأتم يختصر شيئًا من هذا العالم؛ إذ يجمع بين صوتين يفترض أن يفصل بينهما التناقض: الأغنية والمأتم. غير أن اجتماعهما لا يلغي خصوصية أي منهما، بل يفتح المعنى على احتمال أن يكون الفرح محملا بالحزن، وأن يكون الحزن نفسه قادرا على إنتاج شكل من أشكال المقاومة والأمل.

أولا: المفارقة المعرفية (حين تعيد المفارقة تعريف الأشياء)

تظهر المفارقة المعرفية في شعر جاسم عساكر من خلال قدرتها على إعادة تعريف القوة والهزيمة، والأذى والمقاومة. إنها تبدأ من مساءلة التصور المألوف، وتكشف أن الحقيقة لا تقاس دائما بما يقع على السطح.

تخبئ السم في جلدي عقاربة

لكنها لصميم العزم، لم تصل

يبدأ البيت بصورة الإصابة، ثم ينقلنا إلى نتيجة تخالف المتوقع؛ فقد وقع الأذى، لكنه لم يبلغ صميم العزم. وهنا يفصل الشاعر بين إصابة الجسد ومركز المقاومة في الإنسان؛ فالصمود ليس غياب الألم، بل القدرة على منعه من التحول إلى هزيمة.

تتولد المفارقة من قلب النتيجة المتوقعة؛ فالأذى الذي يفترض أن يهزم الإنسان يقف عند حدود جسده، ولا ينفذ إلى عزيمته. وبذلك لا تعود الإصابة دليلا كافيا على الانكسار، كما لا يصبح الألم مرادفا للهزيمة.

وتتجاوز الصورة حدود التعبير عن الصبر إلى مراجعة مفهوم القوة ذاته؛ فالقوة ليست بالضرورة في ألا تصيبنا الخيبات، وإنما في ألا نمنحها القدرة على إعادة تشكيل حقيقتنا. وهكذا تؤدي المفارقة وظيفتها المعرفية، إذ لا تقدم معنى مدهشا فحسب، بل تعيد النظر في المعايير التي نحكم بها على الأشياء.

لكن مساءلة التصورات تقودنا إلى سؤال آخر: هل تكفي رؤية الأشياء كما تبدو لنا لكي ندرك حقيقتها؟ أم أن الشعر يمتلك قدرة على اختراق الظاهر والكشف عما يستتر وراءه؟

ثانيا: المفارقة العرفانية (الشعر واختراق الظاهر)

لا تكتفي المفارقة العرفانية بتغيير الحكم على الأشياء، بل تحاول النفاذ إلى ما وراء صورها الظاهرة، واستكشاف ما تخفيه من أحوال إنسانية.

تشد المصلي نحو آفاق حانة

وتضفي على السكير أجواء مسجد

يتحدث الشاعر عن قدرة الشعر على تجاوز ظواهر الأشياء والنفاذ إلى بواطنها؛ فهو يشد المصلي إلى آفاق الحانة، ويضفي على السكير أجواء المسجد، لا ليسوي بين المكانين أخلاقيا، بل ليكشف ما يختبئ وراء الصور من أحوال إنسانية.

فالشعر يتأمل حيث يُصنّف غيره، ويستكشف ما لا تبلغه النظرة المباشرة. إنه لا يتوقف عند الحكم على الظاهر، بل ينفذ إلى ما وراءه، دون أن يعني ذلك إلغاء الفارق الأخلاقي بين الأفعال. وتكمن أهمية المفارقة هنا في أنها تحرّر الرؤية من أسر التصنيف المباشر؛ فالشاعر لا يبدل المواقع لمجرد إحداث الدهشة، وإنما يمنح التجربة الإنسانية فرصة لأن تُقرأ من داخلها، ويميز بين قراءة الإنسان وإصدار الحكم عليه.

خذني إليك إلى نجوى سواسية

في مسجد القرب أو في حانة القرب

تنقل لفظة «القرب» السؤال من حدود

المكان إلى حقيقة الصلة؛ فالمسجد والحانة يظلان مختلفين في دلالتهما، لكن الشاعر يجعل مركز الاهتمام معنى القرب وما يكشفه من أحوال لا تستوعبها الحدود المكانية وحدها.

وهنا نستذكر حكمة ابن عطاء الله السكندري: «رب معصية أورثت ذلا وافتقارًا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا».

ليس في الحكمة تمجيد للمعصية، بل تحذير من العجب والاستعلاء اللذين قد يتسللان إلى النفس من باب الطاعة. فقد يستتر الكبر وراء صورة الطاعة، وقد يكون الانكسار بداية مراجعة النفس والعودة إليها.

ومن هنا تتضح وظيفة الشعر في هذا المستوى؛ فهو يكشف المسافة بين المظهر والحقيقة، من غير أن يتخلى عن الميزان الأخلاقي. إنه يوسع مجال النظر إلى الإنسان، ويكشف أن الحكم على ظاهره لا يستنفد بالضرورة كل ما فيه.

وإذا كانت المفارقة العرفانية تكشف المسافة بين الظاهر والباطن، فإن هذه المسافة لا تبقى فكرة مجردة؛ إذ تتحول داخل القصيدة إلى طاقة فنية تنتج الدهشة. وهنا ننتقل من قدرة الشعر على الرؤية إلى قدرته على التشكيل.

ثالثا: المفارقة الجمالية (حين يصنع التوتر صورته)

في هذا المستوى لا يعود التناقض فكرة تحتاج إلى تفسير، بل يصبح مادة لبناء الصورة الشعرية وعنصرا في تشكيل أثرها الفني.

تزهو تعابير وجهي كلما احتشدت
ضدي، جحافل خيباتي بلا كلل

يجمع البيت بين زهو الوجه واحتشاد الخيبات ضد صاحبه. وتكمن قوة الصورة في كلمتين: «جحافل»، التي تنقل الخيبات إلى مشهد جيش مهاجم، و«تزهو»، التي تقلب الأثر المتوقع لهذا الحصار.

فالخيبات تتكاثر، والوجه يزداد زهوا؛ ومن العلاقة غير المتوقعة بينهما يتولد التوتر الجمالي. ويبقى هذا الزهو محتملا لوجهين: أهو انتصار على الخيبات، أم قناع يستر ألمها؟

إن انفتاح الصورة على الاحتمالين هو ما يمنح البيت حيويته التأويلية؛ فالخيبات التي يفترض أن تنتج الانكسار تصبح خلفية لزهو الوجه، ولا يستقر المعنى على دلالة واحدة، بل يظل معلقا بين المقاومة وإخفاء الألم.

وهنا تتحول المفارقة من فكرة يدركها العقل إلى صورة يشارك المتلقي في إنتاج معناها؛ إذ لا تمنحه إجابة نهائية، بل تضعه أمام احتمالين متجاورين، وتترك له مساحة التأويل.

وبذلك لا تكون المفارقة الجمالية مجرد زينة لغوية أو مقابلة بين لفظين متضادين، وإنما طريقة في بناء الصورة، تتولد فيها الدلالة من التوتر بين مكوناتها.

غير أن هذا التوتر لا ينتهي عند حدود



الدهشة؛ إذ يمكنه أن يفتح السؤال على أفق يتجاوز التجربة الفنية إلى قضايا الإنسان والوجود والإيمان. ومن هنا نصل إلى المفارقة الجلالية.

رابعا: المفارقة الجلالية (بين الرجاء والحرية)

تنقل المفارقة الجلالية التناقض إلى مستوى أوسع، حيث يتصل بأسئلة الإنسان في علاقته بالله، وبالتوازن بين الخوف والرجاء، والخضوع والحرية.

«لا تقنطوا» لم تزل مصباح باصرتي
إذا مشيت، تداريني من الزلل

يستدعي الشاعر قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ في تناص قرآني يمنح التجربة الشعرية بعدها الإيماني، ويجعل الآية مرجعية للرجاء ومصدرا للهداية؛ فهي مصباح لبصيرته يهتدي به في مسيره، ويستمد منها القدرة على تجنب الزلل.

وتتشكل المفارقة في اجتماع الرجاء والحذر؛ فالرجاء لا يفضي إلى الغفلة، والحذر لا يقود إلى القنوط. إنها علاقة تحفظ للإنسان أمله، وتبقي بصيرته متيقظة؛ أن يأمل دون أن يغفل، وأن يحذر دون أن ييأس.

تناجي الله أحرارًا ونأبى
بأن نحيا مناجاة العبيد

يفتح البيت سؤالا عن طبيعة العبادة: كيف يجتمع الخضوع لله مع الحرية؟

إنها عبادة الأحرار كما جاء في الأثر؛ فالحرية هنا ليست نقيضا للعبودية لله، بل تحرر من اختزال العبادة في الخوف والمنفعة، وارتقاء بها إلى المعرفة والشكر.

وتقوم المفارقة على الجمع بين دلالتين تبدوان متعارضتين في الظاهر: المناجاة بوصفها خضوعًا، والحرية بوصفها استقلالا. لكن الشاعر يعيد تعريف العلاقة بينهما؛ فالعبودية لله لا تنتقص من حرية الإنسان، بل تمنحه أفقًا للتحرر من سائر أشكال الاستعباد.

وبهذا تبلغ المفارقة أفقها الجلالي؛ إذ تنتقل من مواجهة الإنسان للعالم إلى تأمله في علاقته بالمطلق، ويتحول التناقض من أداة فنية إلى سؤال روحي ووجودي.

خاتمة: تعدد الحقائق واتساع الرؤية

تكشف المستويات الأربعة عن مسارات متداخلة في تجربة عساكر؛ فالمعرفي يراجع البديهية، والعرفاني ينفذ من الظاهر إلى الباطن، والجمالي يستخرج من التوتر صورته، والجلالي يفتح السؤال على علاقة الإنسان بالمطلق. وهي ليست حدودًا فاصلة بين الأبيات، بقدر ما هي وجوه متعددة للرؤية الشعرية.

لا تلزموني طريقة لكل شيخ طريقه
فالكون يا أهل كوني حقائق لا حقيقة!

ولعل في هذه الأبيات ما يكمل أفق القراءة؛ فتعدد الطرق يذكرنا بتعدد وجوه النظر إلى الحقيقة، وبأن التجربة الإنسانية أوسع من أن تحاط بوجه واحد.

فالمفارقة الشعرية ليست جمعا بين الأضداد فحسب، بدل إعادة للنظر في العلاقة بينها، واكتشاف لما يمكن أن يتولد من توترها من معان وصور وأسئلة. ومن هنا تتضح قدرة شعر جاسم عساكر على نقل المتلقي من ظاهر الأشياء إلى احتمالاتها، ومن المعنى المألوف إلى مساءلته.

وهنا تكمن قدرة الشعر على أن يجعلنا نرى العالم بعين أخرى.

بوصلة

عبدالله المحيسن..
حياةٌ خارج النص.!



علي مكي
@ali_makki2

تأخّر الأب في الاطمئنان إلى الطريق الذي اختاره ابنه. كان يتمنى لعبدالله مستقبلاً في الطب أو الطيران، بينما كان الفتى قد عثر في السينما على عالم يستولي على خياله ويستثير فضوله. ومضت سنوات قبل أن يشاهد الأب فيلم «اغتيال مدينة»، فيدرك أن ابنه الذي خالف توقعاته كان يعرف وجهته. أحبُّ هذه الواقعة في سيرة عبدالله المحيسن، ففيها شيء من حيرة الآباء، واستقلال الأبناء، وذلك الاعتراف الذي يأتي بعد انتظار طويل، فيمنح سنوات التعب معنى آخر. وفيها أيضاً ما يساعدني على فهم شخصية اختارت طريقها قبل أن تتوافر له أسباب النجاح، ومضت فيه دون أن تنتظر من الآخرين أن يطمئنوا إلى نهايته.

أعود إلى طفولته، فأجد مكة المكرمة حاضرة في تكوينه بما تختزنه من تنوّع إنسانيّ، وما تمنحه لأبنائها من معرفة مبكرة بالعالم. مدينة تتعدّد فيها الوجوه واللغات والحكايات، وتلتقي في طرقاتها ثقافات بعيدة، يحمل كل منها شيئاً من ذاكرته وتاريخه. وفي هذا المحيط نشأ المحيسن محباً للقراءة، مأخوذاً بالتاريخ، مشغولاً بالرسم، قبل أن تقوده اهتماماته إلى الفن الذي سيمنحه جانباً كبيراً من عمره.

وفي مصر، حيث أمضى شيئاً من طفولته، شاهد فيلماً تعليمياً عن خلايا الجسم ومقاومتها للجراثيم. تبدو الحكاية صغيرة، لكنها تكشف عن طبيعة الفضول الذي رافقه منذ الصغر. لقد أدهشه أن يصبح العالم الخفيّ قابلاً للمشاهدة، وأن تتحول المعرفة إلى تجربة محسوسة. وأتوقف عند هذه القصة لأنها تمنحني تفسيراً أولياً لعلاقته بالسينما. فقد بدأ انجذابه إليها من قدرتها على الكشف والتفسير، قبل أن يتعرف إلى إمكاناتها الفنية والجمالية.

ثم جاء لبنان، بما كان يمثله من حيوية ثقافية وفكرية، ليضيف إلى تكوينه معرفة أخرى. هناك اتسعت علاقته بالأفلام، وأصبح يناقش بناءها وأفكارها، ويتأمل ما وراء الحكايات التي ترويها. وفي تلك السنوات أخذت السينما تستقر في وجدانه اختياراً للمستقبل، حتى قادته إلى بريطانيا لدراسة الفنون والتصميم والإخراج السينمائي.

لم تكن الرحلة (ميسّرة) أو يسيرة، فقد اضطر إلى العمل في مهن شاقة لتمويل دراسته، وعاش ما يعرفه كل من غادر مألوف حياته وراء حلم لم تتضح نهايته. وأتخيله في تلك السنوات موزعاً بين قاعات الدراسة ومتطلبات العيش، يحمل (فكرة) تتعرّض كل يوم لاختبار جديد. ولعل ما يستحق الاهتمام هنا أن المحيسن كان يكوّن شخصيته المهنية في الوقت الذي كان يتعلم فيه كيف يتحمل مسؤولية اختياراته. فقد أصبح عليه أن يجمع بين شغفه بالفن وضرورات الحياة، وأن يحافظ على طموحه دون أن يتجاهل الواقع الذي يعيشه.

عاد إلى المملكة عام 1975، - أي بعد مولدي بعامين -، وقد أصبح لديه تصور واضح لما يريد إنجازه. أسس شركته (العالمية للدعاية والإعلان)، وأنشأ الاستوديوهات ووحدات الإنتاج، وبدأ يوفر الأدوات التي يحتاج إليها عمله. وفي هذه المرحلة تظهر إحدى خصائص تجربته، فقد كان يفكر في السينما بوصفها فناً يحتاج إلى صناعة، ويعرف أن الموهبة وحدها لا تستطيع أن توفر شروط الإنتاج والاستمرار. ومن هنا جمع بين اهتمامه بالإخراج وقدرته على إدارة المشروعات، في وقت كانت فيه الإمكانات المحلية محدودة.

وامتد اهتمامه إلى توثيق التراث الشعبي السعودي، وتأسيس قسم للدراسات والبحوث الإعلامية، في تعبير عن صلته الأولى بالتاريخ. كان معنياً بما يتغير في حياة الناس، وبالتفاصيل التي تتوارى مع التحولات الاجتماعية. وفي فيلمه عن تطور مدينة الرياض، اقترب من عاصمة كانت تعيد تشكيل ملامحها، وتكتب في عمرانها فصلاً جديداً من تاريخ المملكة، فيما تنسحب من ذاكرتها شوارع وبيوت وعادات عاشت طويلاً في وجدان أهلها.

وأرى في هذا الاختيار المبكر ما يستحق التوقف. فالمحيسن الذي نشأ قارئاً للتاريخ أصبح معنياً بتسجيل التاريخ وهو يحدث. كان يدرك أن المدن تتغير أسرع من قدرة الذاكرة على الاحتفاظ بتفاصيلها، وأن ما يبدو مألوفاً في لحظته قد يصبح بعد سنوات وثيقة نادرة. وفي هذا المعنى تتضح العلاقة بين تكوينه المعرفي واهتمامه السينمائي، وبين ما قرأه عن الماضي وما أراد أن يحتفظ به من الحاضر.

ثم جاءت بيروت، المدينة التي عرفها طالباً، وعاد إليها وقد أثقلتها الحرب. في «اغتيال مدينة» تتجاوز المأساة حدود الدمار إلى ما يصيب الإنسان حين يفقد ألفته بالمكان. فالمدن تحتفظ بأصوات سكانها، وبخطوات العابرين في شوارعها، وبالحياة التي تتراكم في مقاهيها وبيوتها. وحين تنهشها الحرب، يتداعى مع الحجر تاريخ من العلاقات والأحلام والوجوه.

وفي عنوان الفيلم إحساس فاجع بالخسارة. فالاغتيال فعل يقع على كائن حيّ، والمحيسن يمنح بيروت حياة تستحق الرثاء. وربما كان يستعيد، وهو يقترب من جراحها، شيئاً من المدينة التي عرفها في شبابه، حين كانت تمنحه المعرفة والدهشة، قبل أن تصبح موضوعاً للألم. وفي هذه المسافة بين بيروت التي عرفها وبيروت التي صوّرها، يمكن أن نلمح جانباً من علاقته بالأمكنة، ومن حساسيته تجاه ما تفعله الحروب بحياة البشر.

وفي «الإسلام جسر المستقبل» اتجه إلى أفغانستان، ثم تناول حرب الخليج في «الصدمة». ويستوقفني في هذه

الاختيارات انشغاله المتكرر بالمناطق التي يتعرض فيها الإنسان لاختبارات قاسية. لقد اقترب من الحروب في مراحل مختلفة، ومن مجتمعات تعيش تحت وطأة التحولات السياسية والعسكرية. ويبدو أن اهتمامه بالتاريخ كان يدفعه إلى متابعة الأحداث في لحظاتها الحاسمة، حين تصبح القرارات السياسية مصائر شخصية، وتتحول الوقائع العامة إلى تجارب إنسانية مؤلمة.

لكنني أتساءل أيضاً عن المسافة التي تركها المحيسن بين قناعاته الفكرية ومعالجته الفنية. فالمخرج الذي يحمل موقفاً واضحاً من قضية (ما) يواجه تحدياً في أن يمنح عمله استقلاله الجمالي، وأن يترك للمتلقي فرصة اكتشاف المعنى دون أن يفرض عليه تفسيراً واحداً. وأرى أن هذا السؤال جدير بأن يكون حاضراً في قراءة أفلامه، لأن تقدير التجربة يكتسب قيمته حين يقترن بالنقد، وحين ندرس الأعمال بما أنجزته فنياً، إلى جانب أهميتها التاريخية.

وفي «ظلال الصمت» عام 2006، اتجه المحيسن إلى عالم روائي مشغول بأسئلة الخوف والسلطة والعزلة. وقد اختار معالجة رمزية تتيح له الاقتراب من أزمات الإنسان العربي من خلال الحكاية والشخصيات. ويكشف هذا التحول عن رغبته في توسيع أدواته الفنية، والانتقال من متابعة الأحداث إلى تأمل ما تتركه في الوعي والسلوك والعلاقات الإنسانية.

وأجد في هذا الفيلم امتداداً لأسئلة قديمة في تجربته. فالحروب التي تناولها في أعماله السابقة كانت تكشف عن العنف في صورته المباشرة، بينما يقترب «ظلال الصمت» من أثر السلطة والخوف في الحياة اليومية. وهنا يصبح الصمت جزءاً من بنية العلاقات الإنسانية، ويتحول إلى حالة تتجاوز غياب الكلام، بما تحمله من استسلام أو عجز أو محاولة للنجاة.

وقد وجد الناقد السينمائي إبراهيم العريس في تجربته مادة تستحق الدراسة، فأصدر عنه كتاب «من مكة إلى كان». ويعجبني في العنوان ما يختصره من مسافة ثقافية وإنسانية، تبدأ من مدينة تشكل فيها وعي المحيسن، وتمتد إلى عالم السينما ومهرجاناتها الدولية. غير أن الأهم في هذه الرحلة هو ما تكشفه عن شخصية استطاعت أن تنتقل بين بيئات مختلفة، وأن تحتفظ باهتماماتها المعرفية والفنية عبر عقود من العمل.

ومن الملامح التي تستوقفني حرصه على مواصلة التعلم. فقد حصل عام 2006 على درجة الماجستير في الإدارة العالمية، بعد سنوات طويلة من الخبرة المهنية. وأرى في هذه الخطوة تعبيراً عن عقل لا يكتفي بما راكمه من معرفة، ويحتفظ باستعداده للمراجعة والتطوير. ولعلها تساعد أيضاً على فهم طريقته في الجمع بين الاهتمام الفني وإدارة المشروعات والمؤسسات.

وقد اتسعت مكانته المهنية، وصولاً إلى تعيينه مستشاراً في الديوان الملكي عام 2015، ثم حصوله على جائزة الإنجاز مدى الحياة في «جوي أووردز» عام 2025. وجاء هذا التقدير في مرحلة أصبحت فيها السينما السعودية تعيش تحولاً واسعاً، وتجد من المؤسسات والفرص ما لم يكن متاحاً حين بدأ تجربته.

وأتساءل كيف ينظر المحيسن اليوم إلى الأجيال الجديدة وهي تدخل المجال الذي



اختاره قبل نصف قرن. شباب وشابات يدرسون السينما، ويكتبون أفلامهم، ويجدون منابر لعرض تجاربهم. لا بد أن في هذه التحولات ما يستدعي لديه ذكريات كثيرة عن سنوات كان فيها إنجاز الفيلم مغامرة شاقة، وعن مشروعات استنزفت من عمره وجهده أكثر مما توقع.

وأود أن أعرف عبدالله المحيسن بعيداً عن المناسبات والتكريمات. أن أسمعه يتحدث عن الكتب التي أحبها، وعن الأصدقاء الذين تركوا أثراً في تفكيره، وعن المدن التي احتفظ بشيء منها في وجدانه. وأريد أن أعرف كيف يقرأ أعماله الأولى اليوم، وما الذي تعلمه من المشروعات التي تعثرت، وكيف تغيرت أفكاره مع تغير العالم من حوله. ففي مراجعة الإنسان لتجربته ما يكشف عن نضجه، وعن قدرته على أن يرى نفسه بوضوح أكبر.

وقد يكون من الجميل أن يكتب المحيسن شهادته الشخصية، وأن يمنحنا ما احتفظت به ذاكرته من تفاصيل لا تسجلها الوثائق، ولا تختصرها الأخبار الصحافية. فحياته المهنية امتدت عبر تحولات ثقافية واجتماعية واسعة، وتجربته تحمل من المعرفة ما يستحق أن يصل إلى الأجيال الجديدة.

وأعود إلى المحيسن الذي عرفته من خلال سيرته وأعماله، فأجد أن أكثر ما يلفتني فيه قدرته على تحويل اهتماماته الفكرية إلى اختيارات مهنية، وعلى الاحتفاظ بعلاقته بالمعرفة على الرغم من تبدل الظروف. فقد كان شغفه بالسينما مدخلاً إلى عالم واسع من التاريخ والفنون والسياسة، ووسيلة للتعبير عن اهتماماته بقضايا الإنسان والمجتمع.

وأتخيله اليوم في قاعة عرض، يتابع فيلماً سعودياً جديداً، وقد أصبح ما كان بعيد المنال في شبابه جزءاً من واقع يعيشه جيل آخر. وربما تمر في ذاكرته أسماء ووجوه وأماكن، وتعود إليه سنوات كان فيها إنجاز الفيلم يتطلب جهداً مضاعفاً. وقد يجد في بعض الأعمال الجديدة ما يثير إعجابه، وفي بعضها ما يدعوه إلى الاختلاف، لكنه سيرى أمامه فناً سعودياً يتسع لتجارب وأساليب وأصوات متعددة.

وأحب أن أترك عبدالله المحيسن عند هذه المسافة من الزمن، حيث تتجاور ذاكرة البدايات مع حيوية الحاضر. ففي سيرته ما يمنحنا فرصة لفهم جانب من تاريخ السينما السعودية، وفي شخصيته ما يذكرنا بأن المعرفة حين تصبح جزءاً من تكوين الإنسان، فإنها ترافقه في اختياراته وتجاربه، وتمنحه القدرة على الاستمرار والتجدد.

وربما كانت أجمل لقطة في فيلم حياته لم تُصوَّر بعد. تلك التي يجلس فيها بهدوء، وقد ابتعدت عنه مشقة البدايات، وأمامه جيل يواصل الحكاية بلغته الخاصة. عندها يستطيع أن يطمئنّ إلى أن الطريق الذي اختاره ذات يوم أصبح واسعاً بما يكفي لأحلام الآخرين، وأن شيئاً من استقلاله القديم ما يزال حاضراً في كل تجربة سعودية جديدة تجرؤ على أن ترى العالم بطريقتها.

(*) كاتب وصحافي سعودي

وجوه غائبة



سامي حسن حسون*

عاصم حمدان..

عاشق طيبة الذي أعاد كتابة ذاكرة المدينة.

ليست كل المدن بحاجة إلى من يؤرخ شوارعها، فبعضها يحتاج إلى من يصغي إلى حكاياتها، ويصغي أكثر إلى صمت بيوتها، وإلى الوجوه التي عبرت أزقتها ثم غابت، وإلى الأزمنة التي تركت ظلالها على أبوابها ونوافذها. والمدينة المنورة، بما تختزنه من تاريخ وروح وذاكرة إنسانية، وجدت في الدكتور عاصم حمدان قلمًا لم يكتفِ بوصفها، بل حاول أن يستعيد روحها، وأن يكتب تاريخها من داخل بيوتها وحاراتها ومجالس أهلها.

كان الدكتور عاصم حمدان واحدًا من أولئك الأدباء الذين لا يفصلون المعرفة عن المحبة؛ فهو مؤرخ حين يستدعي الوقائع، وأديب حين يستنطق الأمكنة، وناقد حين يقرأ النصوص، وصحفي حين يطل على قضايا عصره. ولد في المدينة المنورة عام 1953م، ونشأ في أحيائها، حيث تشكل وجدانه الأول في ظلال المسجد النبوي الشريف، وبين مجالس العلم وحكايات الناس. ولعل هذه النشأة هي التي جعلت علاقته بطيبة علاقة تتجاوز الانتماء إلى المكان، لتصبح مشروعًا ثقافيًا ظل يرافقه حتى آخر أيامه.

درس اللغة العربية وآدابها في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وحصل على درجة البكالوريوس عام 1976م، ثم شد الرحال إلى بريطانيا، حيث نال الدكتوراه في الأدب من جامعة مانشستر عام 1986م، عن دراسة تناولت أدب المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري. وهناك، بين المكتبات والمراجع والدرس الأكاديمي، اتسعت رؤيته للأدب، دون أن يفقد بوصلته الأولى التي كانت تشير دائمًا إلى



المدينة المنورة.

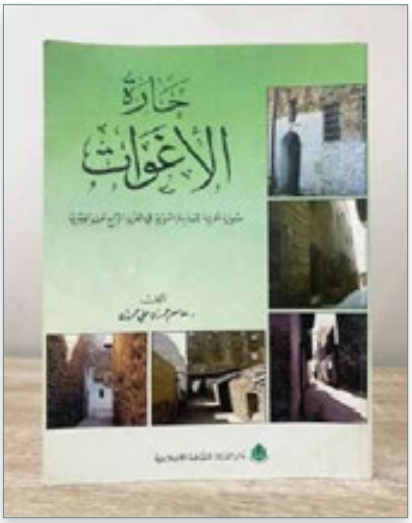
عاد إلى المملكة ليعمل في المجال الأكاديمي، أستاذًا للأدب والنقد بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، جامعًا بين البحث العلمي والكتابة الصحفية والعمل الثقافي. ولم يكن حضوره الجامعي منفصلًا عن حضوره الأدبي؛ فقد كان يرى في البحث وسيلة لاستعادة المعرفة، وفي المقالة نافذة لمخاطبة القارئ، وفي الكتاب مساحة أرحب لحفظ ما قد يضيع من ذاكرة المكان.

ولعل مشروعه الأبرز تمثل في انشغاله بتاريخ المدينة المنورة الأدبي والاجتماعي، فقد أدرك أن تاريخ المدن لا تصنعه الأحداث الكبرى وحدها، بل تصنعه أيضًا حياة الناس العاديين، وعاداتهم، وأحاديثهم، وملامح أحيائهم. ومن هنا جاءت مؤلفاته «المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ»، و«صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة»، و«قديم الأدب وحديثه في بيئة المدينة المنورة»،

لتقدم للقارئ صورة واسعة عن الحركة الأدبية في طيبة، وأعلامها وتحولاتها وامتداداتها الثقافية.

أما في كتابيه «حارة الأغوات» و«حارة المناخة»، فقد بدا عاصم حمدان كأنه يستعيد مفاتيح البيوت القديمة، ويفتح أبواب الذاكرة على أزمنة كانت فيها الحارة عالمًا متكاملًا، يعرف فيه الناس بعضهم بعضًا، وتتداخل فيه العلاقات الإنسانية مع تفاصيل الحياة اليومية. لم يكن يكتب عن الجدران والأزقة باعتبارها شواهد عمرانية، بل كان ينفخ في تفاصيلها روحًا، ويستدعي من خلفها رجالًا ونساءً، وشخصيات ظلت حاضرة في ذاكرته.

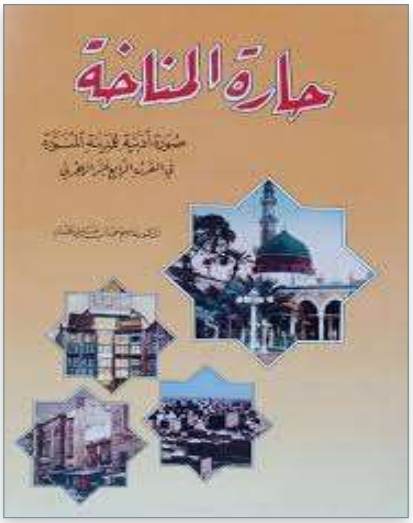
وفي «رحلة الشوق في دروب العنبرية» و«ذكريات من الحصوة» تتضح تلك العلاقة الحميمية بين الكاتب والمكان، حيث يمتزج التاريخ بالسيرة، والبحث بالحنين، وتتحول الشخصيات التي عرفها



أو سمع عنها إلى لوحات إنسانية نابضة. كان يكتب عن البسطاء بمحبة خاصة، ويرى في حكاياتهم ما يستحق البقاء، وكأنما كان يخشى أن تبتلع سرعة الحياة الجديدة تفاصيل زمن لا يمكن استعادته إذا ضاع.

ولم تنحصر اهتماماته في الأدب المحلي، بل امتدت إلى الأدب المقارن والعلاقة بين الثقافتين العربية والغربية، فكتب «نحن والآخر»، و«دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي»، و«الأدب العربي في مدونات المستعربين». كما تناول قضايا الفكر والنقد، وقرأ تجارب أدبية متعددة، مؤكدًا أن الثقافة لا تنمو بالانغلاق، وإنما



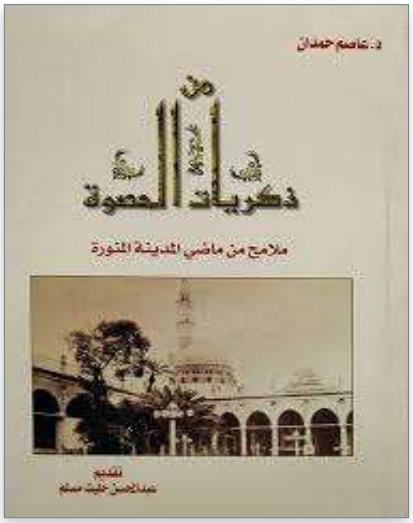


بالحوار والمعرفة والقدرة على اكتشاف الذات في مرآة الآخر.

وفي الصحافة، كان له حضور مميز عبر صحيفة المدينة، من خلال زاويتيه «ذكريات من الصفة» و«رؤى فكرية»، كما كتب في المجلة العربية وصحيفة «عرب نيوز». وتولى رئاسة تحرير مجلة «الحج»، ومجلة «جذور» الصادرة عن النادي الأدبي الثقافي بجدة. وقد امتلك في مقالاته لغة تجمع بين رصانة الباحث ورهافة الأديب، فلا تبدو الكتابة عنده استعراضًا للمعرفة، بل محاولة لفتح نافذة على فكرة أو استعادة حكاية أو إنصاف شخصية غابت عن ذاكرة القراء.

رحل عاصم حمدان في السادس عشر من مايو عام 2020م، تاركًا وراءه مكتبة ثرية وذاكرة مدينة كاملة. لكن رحيل الجسد لم ينهِ علاقته بطيبة؛ فما زالت كتبه تعيد إلينا أسماء الأمكنة، وتمنح الحارات القديمة فرصة أخرى للحياة، وتذكرنا بأن المدن لا تحفظها الخرائط وحدها، بل تحفظها الأقلام التي تحبها.

إن عاصم حمدان لم يكن مجرد مؤرخ للمدينة المنورة، بل كان أحد الذين أعادوا إليها صوتها الأدبي



والإنساني. كتب تاريخها بعين الباحث، وروح الأديب، وحنين الابن الذي يعرف أن بعض الأماكن لا نغادرها أبدًا، لأنها تسكن فينا أكثر مما نسكن فيها.

* كاتب صحفي وقاص

قلباً لقلب



جاسم المشرف

ناجي الحرز وسيرورة الأجناس الأدبية ..

الكلاسيكي والحداثي والرومانسي الشفيف !



الأدب مخاض حوار، وابتكار في أعماق الذات، يصور الذات والآخر بما هما فيه، وبما نأمل، وعلى وسادة الطموح يتكئ المبدع؛ ليعيد تشكيل العالم كما يجب أن يكون لا كما هو كائن .

والجنس الأدبي لوحة وأداة لهذا الفكر الإبداعي الخلاق، ولكل أداة مزاياها، وقيمتها.

والشعر العمودي بالرغم من أنه أقدم الأجناس الأدبية وأكثرها عراقة، وأعذبها إيقاعاً، وأجملها انسياباً إلا أنه لا يكفي وحده لتجلية الذات، والكشف عن مكنوناتها؛ ورسم العالم الواقعي والافتراضي؛ لما في نظامه مِن صرامة في وزنه، وقافيته، وروية، هذه الصرامة كثيراً ما تُقَيِّد الدفقة الشعورية في مسار لا تحيد عنه، كما تُقَيِّد الصورة المتخيلة في قالب شكلي ثابت، وبالخصوص لدى مَن لم يحضَ برصيد وافر مِن الأسلوب، واللغة في نحوها، وصرفها، وتركيبها، ومفرداتها. وتأتي قصيدة التفعيلة لتعطي أفقاً أكثر حرية، وأوسع امتداداً؛ لتصبح مسرحاً رحباً للخيال، ومضماراً طيِّعاً للوجدان.

ويزداد الأفق اتساعاً عبر ما تُسمى بِـ (قصيدة النثر) أو النثر المشعرن، وبما أننا في معرض الشاعرية والإيقاع فإننا أمام نظام، وإنْ صعب الإمساك بمحدداته الدقيقة، وانفلت عن وعي المتلقي، كما هو الحال في هذا الجنس الأدبي الخلاق.

ولا يقف الأمر عند الجنس الأدبي الواحد وإن تعددت أنواعه، بل يمتد إلى الأغراض، والغايات التي يدور النص في فلكها، ولكلٍّ مدارٍ طقسه، ومألوفاته من التراكيب والألفاظ، فمعجم قصيدة الغزل يختلف عن معجم قصيدة الهجاء، وهكذا.

إنّ ما تتيحه المقالة الأدبية من أفق ممتد في التعبير عن أدق تفاصيل الوجدان يختلف عما تحققه القصيدة الإبداعية من تخييل، وتكثيف للمعاني، كما أنَّ للقصة القصيرة مدارات رحبة ليس بوسع القصيدة ارتيادها.

كل هذه الأجناس في بناء إبداعي دقيق إذا كتبها أديب واسع الأفق، خصب الخيال، عميق الثقافة، مكتنز التجربة، يجيد التعاطي مع تقنيات أكثر من جنس أدبي، وقل من اتسم بهذا

وذاك.

مِن هنا لا أرى أنَّ رواياتنا العربية بكليتها حققت ما نرنو إليه من تكامل فني.

إنَّ الأديب الذي يبدع في أكثر من جنس أدبي، وفي أكثر الأغراض الفنية لجدير بانحناءة تقدير وإجلال؛ لأنه استطاع عبر هذا التنوع التعبير عما في ذاته، والعالم من تنوع، ويكشف عبر جنس ما لم تصل إليه طاقة جنس آخر.

أجناس الأدب كدرجات الإشعاع، والعالم قد يحتمل درجة من الإشعاع دون غيرها، والأدب كالضوء، ولكن ما كل ضوء تعكسه سطوح الأشياء، الأدب بناء وخلق، وأجناسه كأدوات النحت والبناء، لا تغني أداة عن أداة.

إنَّ مَن تعددت وسائله وأدواته، وامتلك الخبرة في استخدامها: لِمَ؟ وكيف؟ ومتى؟ وأين؟ استطاع أن ينجز، ويحقق ما لم يحققه غيره. وللكشف لذة لا تدانيها لذائذ العالم مجتمعه!

والأديب الكبير ناجي بن داوود الحرز واحدٌ مِن تلك القلة الذين أبدعوا فأجادوا، وقدموا فأضافوا، وأخلصوا لإبداعهم، وجَلَّوا عن جوانب شخصياتهم، وعالمهم بما هو كائن، وكما ينبغي أن يكون. هذا الإبداع لم يكن في غرض أو غرضين من أغراض الشعر، بل في كل أغراضه، وعلى مستوى إبداعي متقارب إن لم يكن متطابق، وليس في الشعر العمودي فحسب، بل في قصيدة التفعيلة، وما يسمى بِـ (قصيدة النثر)

وإذا ما وقفت على اللغة المحكية في الشعر الشعبي، والنبطي للحرز فلا تخال نفسك إلا أمام أروع عمالقة القصيدة الشعبية، بما تكتنزه من لغة عذبة، وصور حية، وأخيلة لافتة، وإيقاع آسر، وإحساس مرهف بالحب والحياة. وعبر ما فيها من كثافة الصورة، وعمق الفكرة، حيث التفرد، والتفوق لمعظم نتاجاته.

وفي كل جنس، ونوع، وغرض تجد صورة بل صوراً، ولوناً بل ألواناً، وواقعاً للذات والآخر.

أحياناً تقرأ ناجي كلاسيكياً موغلاً في أعماق التراث، وأحياناً حداثياً غارقاً في عالم الحداثة لغة، وتركيباً، وصورة، وخيالاً، وما بينهما في غالب نتاجه، وما بين هذا وذاك تجد خيطاً رقيقاً مشعاً من الرومانسية الشفيفة، التي تهيمن على شعره، كما تلوح لك صورة المجتمع في غضبه، وحَنقه، وتهكمه، وسخريته، وخفته، وضحكته، وحبه، وإخلاصه، وتطلعه وأمله. وهذا قليل من كثير مما يكشفه (شيخ الطريقة) في شعره.

ولقائل أن يقول: إنَّ هذا لكبير لمن عرف الشعر وخبره، فالشعر «كركوب البحر أهون ما يكون على الجاهل، وأهول ما يكون على العالم» .

عُرِف الأستاذ ناجي كقامة شعرية متعددة المواهب، والجوانب، والغايات، فماذا عن النثر هل أخذ منه بنصيب؟ عندما سمعت مقامة مختارة في (منتدى الينابيع الهجرية) ذات مساء خلتني أمام الحريري، أو بديع الزمان الهمداني في حسن التضمين والاقتباس، والجدل والاستدلال، والتهكم والسخرية، واللغة المتماسكة التي لا نشاز فيها ولا إغواء، وتأخذك الدهشة عندما تجد موضوعها من قضايا عصرنا، وشخوصها ممن نعايشهم، وأماكنها مما نرتادها، يأخذنا الفضول للسؤال عن هذا المبدع القادم مِن أعماق التاريخ، والأدب العباسي، عن هذه الإضافة الجديدة في مشهد نا الأدبي، تنتظر النهاية؛ لتجد توقيع: ناجي بن داوود الحرز! تعدد المبدعون في مبدع، يا للدهشة هل للفن كل هذه الطاقة الاستيعابية الخلاقة؟! وَ «الفن لا يعكس الواقع، بل هو القوة التي تدفعنا لرؤية هذا الواقع بشكل مختلف» كما يقول سلافوي جيجيك

والسؤال القريب البعيد: أنى لمثل هذا بكل هذا؟ ماذا قدَّم مِن عناء، وجهد، وتضحية حتى وصل إلى ما صار إليه؟

أكاد أقطع أن ناجي لم يكن ليخطط لكلِّ ذلك، بل مطلعاً واعياً، لا يقرأ الفن، بل يعيشه، ويلازمه، يعرجُ من خلاله إلى عوالم جديدة لم يقاربها إبداعه من قبل، ولم تشاهدها عيون وجدانه، ثم يهبط إلينا؛ ليصف هذه الصور والأخيلة.

الأدب الحقيقي لا يعطيك جمالاً قبل أن يحرقك، ومع كل العذابات التي نعانيها، ما نلبث أن نلملم أشلاءنا من جديد؛ لنرمي أنفسنا في أحضانه، لم يكن ناجي بناجٍ مِن سطوة الإبداع التي وزعته ذات اليمين وذات الشمال، لا يكاد يتعافى مِن صفعة قصيدة إلا ورمى نفسه في أحضان قصيدة أخرى، ومع هذا لم يكن للمبدع ملاذٌ سوى الأدب.

حروفه ترتع في بساتين المعنى، ومعانيه تسبح في جداول الحروف، بنضارة وضيئة، لا تجاعيد فيها ولا شحوب.

طالما أخذ من سلة الوقت ساعات وأيام؛ ليوزعها على نوارس الإبداع الفتية؛ ليروي ظماءها، ويفك حيرتها.

التقرير



بندر الهاجري
@b__alhajri

ارتباط كبير بالهوية والقيم ..

كيف تعيد الثقافة تشكيل وعي المستهلك السعودي ؟



يشهد المجتمع السعودي تحولاً فكرياً واجتماعياً متسارعاً يلقي بظلاله على جوانب الحياة كافة، ومنها طبيعة العلاقة الرابطة بين الأفراد والمنظومة الاقتصادية المحيطة بهم. ويكشف تقرير إيدلمان للثقة 2026 عن ملامح هذا التحول الجوهري، مبيناً انتقال خيارات المستهلكين من دائرة الرغبات الاستهلاكية العابرة إلى فضاءات التعبير الثقافي والانتماء القيمي. غدت السلعة التجارية، وفق هذا المنظور السوسيولوجي الحديث، أداة إعلان عن الموقف الأخلاقي والشخصي، وشريكاً فاعلاً في صياغة الهوية المعاصرة داخل مجتمع يعتز بجذوره التاريخية ويتطلع بثقة نحو المستقبل.

التحول القيمي في سلوك الشراء

تُفصح الأرقام الواردة في الدراسة عن دلالات ثقافية عميقة، إذ يرى 75٪ من المشاركين في السعودية أن العلامات التجارية التي يختارونها تعبر عن قيمهم وأولوياتهم في الحياة. يعكس هذا الارتفاع البالغ 14 نقطة مئوية منذ عام 2021 نمواً واضحاً في مستويات الوعي الجمعي، وتنامي الرغبة في إيجاد تقاطعات حقيقية بين الممارسات اليومية والمبادئ الأخلاقية. يتجاوز الفرد اليوم فكرة الشراء المجرد، ليصبح مدفوعاً بأسئلة حول الأثر الاجتماعي والثقافي للمؤسسة التي يتعامل معها، مما يفرض على قطاع الأعمال ضرورة مراجعة رسائله وفلسفته التشغيلية لتتوافق مع هذا العمق المعرفي والوجداني السائد في المملكة.

الركائز الثقافية المحركة للثقة

الارتباط بالمسند الثقافي المحلي يتجاوز مجرد مواكبة الصيحات التسويقية المؤقتة، فالوعي الاستهلاكي الجديد يبحث عن الجدوى والأثر المستدام. تعكس البيانات رغبة مجتمعية حقيقية في رؤية علامات تجارية تتصف بالسمات التالية: حيث جاء الابتكار وحل المشكلات الحقيقية

في مقدمة العوامل المؤثرة بنسبة ٪93، مما يوضح تقدير المجتمع للمشاريع التي تقدم حلولاً فعلية ترفع جودة الحياة. بينما التعبير عن الهوية والقيم الشخصية، حلت في المرتبة الثانية بنسبة ٪89، مؤكدة رغبة الأفراد في رؤية مبادئهم منعكسة في السلع والخدمات. أما الارتباط بأولويات المجتمع فقد حازت على نسبة ٪87، مما يبرز أهمية المسؤولية الاجتماعية للشركات. في حين نالت التجربة الممتعة والأثر العاطفي، نسبة ٪85 من خلال محتوى العلامة وإعلاناتها، بينما حصلت مواكبة الثقافة والاتجاهات الرائجة على ٪82. تؤكد هذه النسب كينونة البُعد الثقافي كعنصر هيكلي أصيل، وليس مجرد قشرة خارجية تُزين بها المنتجات لجذب الانتباه. البُعد الاجتماعي وفعل الانتماء

تتجلى مرونة المجتمع وقوة ترابطه في المعايير الاجتماعية التي تحكم خيارات الأفراد. يعلن ٪52 من المشاركين في المملكة توقفهم عن استخدام علامات تجارية معينة نتيجة قناعاتهم الشخصية الخالصة. يقف هذا السلوك دليلاً على حالة نضج قيمي واكتفاء ذاتي لافت، خصوصاً أن هذه القرارات تأتي نابعة من إيمان داخلي مستقل. مما يترجم التأثير البالغ للدائرة الاجتماعية المحيطة، ويبرز كيف يوازن الإنسان السعودي بين تطلعاته الفردية ومسؤوليته التضامنية تجاه محيطه المجتمعي.

سيكولوجية بناء الثقة الحديثة

في عصر التدفق المعلوماتي الرقمي، أصبحت الخطابات المنمقة والرسائل الإعلانية التي تبثها الشركات عن نفسها غير كافية لبناء جسور الثقة مع الجمهور. يرى ٪38 من المستهلكين في السعودية أن آراء الأصدقاء، والمراجعات الشخصية، والمجتمعات الرقمية التفاعلية هي المحرك الحقيقي والأكثر تأثيراً في صياغة مواقفهم وتوجهاتهم الشرائية. تتقدم هذه القنوات الحيوية بفارق كبير على الرسائل المباشرة للعلامات التجارية التي حظيت بتأييد ٪22 فقط من المشاركين. الثقة هنا تُبنى عبر التواتر والشهادات الحية الناتجة عن تجارب



حقيقية، مما يجعل المجتمع الحَكَم الثقافي الأول والمنصة الأساسية لتقييم مصداقية أي منتج واستدامته.

معادلة الانفتاح والارتباط المحلي

يناقش التقرير مفهوم «الانغلاق في الثقة»، وهو ميل الأفراد إلى حصر تعاملاتهم وثقتهم في المحيط الضيق الذي يشبههم تماماً ويطابق خلفياتهم. تظهر السعودية ضمن الأقل ميلاً لهذا النمط عالمياً بنسبة ٪54 مقارنة بـ ٪66 كمتوسط عالمي، مما يضع المملكة في المرتبة الرابعة بين الدول الأكثر انفتاحاً وقبولاً للتنوع والتجارب الجديدة. يمثل هذا المؤشر مرونة ثقافية وقدرة على التفاعل الإيجابي مع المنتجات والأفكار العالمية، ويعكس طبيعة المجتمع السعودي المضيافة والمواكبة للتطور الإنساني.

يظل هذا الانفتاح المعرفي محافظاً على حيوية الارتباط بالجذور ومقومات الاقتصاد الوطني؛ إذ يؤكد ٪77 من المشاركين أن وجود المقر الرئيسي للعلامة التجارية داخل وطنهم يُعد عاملاً حاسماً في اختيارها ودعمها، وهي ثاني أعلى نسبة مسجلة عالمياً بالتساوي مع الصين. يبرز هذا التوازن الفريد وعياً وطنياً يسعى لدعم المحتوى المحلي والمساهمة في تحقيق التنمية الشاملة، بالتوازي مع الانفتاح على العالم والاستفادة من أفضل الممارسات الدولية.

من التواجد العابر إلى الوجود القيمي

تتكامل هذه المعطيات لتكشف عن مشهد ثقافي متطور يتجاوز الأنماط التقليدية للتسوق، لينتقل إلى مساحات الوجود القيمي الواعي. المستهلك في المملكة يسير اليوم في رحلة تبدأ من معرفة العلامة التجارية، وتمر بتقييم ممارساتها، لتصل إلى مرحلة اختيارها عن قصد لتكون جزءاً حيوياً ومؤثراً في تفاصيل حياته اليومية وبناء شخصيته. يفرض هذا التحول معادلة جديدة على الشركات تقتضي تبني الصدق الفني، والمسؤولية الأخلاقية، والاندماج الحقيقي في النسيج الثقافي السعودي كشروط أساسية للنمو والبقاء والقبول في هذا السوق الحيوي الواعد.

مقال

عندما تبدأ الخوارزميات بتشكيل شخصيتك.

أماني بنت عبدالله البهكلي

كان المرء، فيما مضى، يخشى على رأيه من صاحبٍ شديد الحجة، أو كتابٍ حسن العبارة، أو مجلسٍ يكثر فيه المتكلمون؛ أما اليوم فقد دخل عليه مؤثر جديد لا يجلس قبالته، ولا يرفع صوته، ولا يقول له: اتبعني.

إنه يعرف أن الطريق الأقصر إلى الإنسان ليس أن تأمره، بل أن تكرر أمامه الأشياء حتى يألفها، ثم تدع الألفة تتم بقية العمل. تلك هي الخوارزمية.

ولا أظن الخطر فيها أنها تعرف ما نحب؛ فالبائع القديم كان يعرف زبونه، وصاحب المقهى يعرف شراب رواده، وبائع الكتب يحفظ أذواق قرائه.

وإنما الغريب أن معرفتها لا تقف عند ما نحب، بل تستخدم ما أحببناه بالأمس لتقرر ما ينبغي أن نراه اليوم، ثم تستخدم ما رأيناه اليوم لتخمّن ما سنحبه غدًا.

وهنا تبدأ الحكاية.

فإن النفس، كما يعرف من خبر الناس، ليست بناءً مكتملًا نخرج به إلى الدنيا ثم لا يتغير. هي شيء يأخذ ويترك، ويألف وينفر، ويقوى فيه خاطر بكثرة وروده، ويضعف آخر بقلة استحضاره.

وما أكثر ما ظن الإنسان رأيًا له، وما هو إلا رأي جاوره طويلًا حتى نسي أنه جاءه من الخارج.

وقد قيل في معنى الحكمة إن المرء يُعرف بصحبته. ولو عاش أصحاب هذه الحكمة في زماننا لربما أضافوا: ويُعرف أيضًا بما تعرضه عليه شاشته حين يكون وحده.

ذلك أن الصحبة القديمة كانت ظاهرة. تعرف أنك تجالس فلانًا، وتسمع فلانًا، وتقرأ لفلان. أما صحبتك الجديدة فلا اسم لها.

إنها ترتيب خفي للأشياء: هذا الخبر أولًا، وهذه الصورة بعده، وذلك الرأي عشر مرات، والرأي المخالف مرة واحدة، ثم يقال لك في نهاية المطاف: اختر.

وما أسهل الاختيار حين يكون أحد الطريقين قد فُرش أمامك كل صباح، والآخر قد أخفته الأعشاب.

ليست الخوارزمية شريرة؛ لأنها، في الأصل، لا تعرف الشر كما نعرفه، ولا الخير كما نعرفه. هي تريد منك شيئًا أبسط: أن تبقى.

أن تبقى دقيقة أخرى.

أن تمرر إصبعك مرة أخرى.

أن تشاهد مقطعًا آخر.

والمصيبة أن ما يبقينا ليس دائمًا ما ينفعنا.

فالهدوء لا ينافس الغضب بسهولة، والتفسير المتزن لا يجري في الناس جريان الفضيحة، والحقيقة المعقدة أثقل من الكذبة البسيطة، والرجل الذي يقول: «لا أدري» أقل إثارة من رجل يملك جوابًا قاطعًا لكل شيء منذ خلق الله الأرض.

ومن طلب بقاء الناس عند بابه، أكثر لهم مما يستوقفهم، لا مما يصلحهم.

وهكذا قد تدخل المنصة وأنت قليل الاكتراث بأمر، ثم تخرج بعد أشهر تظنه قضية حياتك.

وقد تبدأ بمشاهدة محتوى ساخر عن فئة من الناس، ثم لا تشعر إلا وقد صار احتقارك لهم جزءًا من حديثك.

وقد تتوقف عند مقطع عن الجمال، فتتبعه عشرات المقاطع، ثم تنظر في المرآة يومًا فلا ترى وجهك؛ ترى قائمة من العيوب التي علّمتك الشاشة أسماءها.

والأشد خفاءً أن الإنسان لا يشعر غالبًا باللحظة التي تغير فيها.

فالتحولات الكبيرة التي نخشاها قلّما تدخل علينا كبيرة.

يدخل أكثرها في ثياب العادة.

مقطع.

ثم مقطع.

ثم ضحكة.

ثم عبارة نكررها.

ثم فكرة ندافع عنها.

ثم يصبح ما كان غريبًا عنا جزءًا من تعريفنا لأنفسنا.

ومن آفات النفس أنها إذا ألفت الشيء حسبته طبيعيًا، وإذا كثر حولها ظنته شائعًا، وإذا وافقها أحبت قائله، وإذا خالفها بحثت فيه عن عيب قبل أن تبحث في قوله عن حجة.

والخوارزمية بارعة في خدمة هذه الطباع.

فإذا ملتَ إلى رأي أتتك بأهله، وإذا غضبت من أمر جاءت بمن يزيد غضبك، وإذا خفت عرضت عليك أسبابًا أخرى للخوف.

لا لأنها تكره طمأنينتك، بل لأن المنفعل أطول مقامًا من المطمئن.

ثم ينشأ للمرء عالم صغير يشبهه إلى حد مريب.

الجميع غاضبون مما يغضبه.

الجميع يضحكون مما يضحكه.

الجميع يرون الناس كما يراهم.

حتى إذا خرج إلى الحياة الحقيقية فوجئ بأن العالم لم يوقّع على آرائه بعد.

فيقول: كيف يفكر هؤلاء هكذا؟

ولو أحسن السؤال لقال:

كيف لم أرَ هؤلاء من قبل؟

وليس الأمر مقصورًا على السياسة والفكر، كما يتوهم بعض الناس؛ بل قد يكون أشد أثرًا في الأمور التي نحسبها شخصية خالصة.

ذوقك في الملابس.

صورتك عن الزواج.

مقياسك للنجاح.

تصورك للرجولة والأنوثة.

المكان الذي ينبغي أن تسافر إليه.

الكتاب الذي ينبغي أن تقرأه.

الوجه الذي تسميه جميلًا.

حتى الطريقة التي ينبغي أن تحزن بها، والطريقة التي ينبغي أن تتعافى بها.

صرنا نرى أحيانًا إنسانًا يعيش تجربة، وفي الوقت نفسه يبحث عن الطريقة الصحيحة لعرض تجربته.

لا يكفيه أن يشرب القهوة؛ ينبغي أن تبدو القهوة كما تبدو في الصور.

ولا يكفيه أن يسافر؛ ينبغي أن تكون رحلته قابلة للنشر.

ولا يكفيه أن يحب؛ يريد علاقة تشبه المقاطع التي شاهدها عن الحب.

وهنا ينتقل تأثير الخوارزمية من اقتراح المحتوى إلى اقتراح شكل الحياة.

وهذا فرق عظيم.

فمن دلّك على ثوب تستطيع أن تشتريه أو تتركه، أما من أقنعك بصورة معينة للسعادة فقد يفسد عليك نعمًا كثيرة؛ لأنها لم تأتِك بالهيئة التي رأيتها على الشاشة.

وليس العاقل من يهجر التقنية؛ فالهرب من أدوات العصر ليس حكمة، كما أن الاستسلام لها ليس تقدمًا.

ولكن العاقل من يعرف موضع الأداة منه.

أهي في يده، أم صار هو في يدها؟

ومن حسن سياسة المرء لنفسه أن يسألها أحيانًا أسئلة لا تحبها:

هل كنت أهتم بهذا الموضوع قبل أن تكثر رؤيتي له؟

هل هذا رأيي، أم العبارة التي سمعتها من عشرين شخصًا حتى استقرت على لساني؟

هل أحب هذا حقًا، أم أحببت أن أكون من النوع الذي يحب هذا؟

هل غضبي بحجم الحادثة، أم بحجم ما شاهدته عنها؟

ومتى كانت آخر مرة بحثت فيها متعمدًا عن رأي لا يشبه رأيي؟

هذه الأسئلة الصغيرة قد تكون من آخر ما بقي للإنسان من سيادته على نفسه.

ومن أعجب أحوال زماننا أن المرء يحرس هاتفه بكلمة سر، ولا يحرس عقله بمثلها.

يخاف أن يدخل أحد إلى صوره، ولا يخاف أن تدخل إلى نفسه كل يوم مئات الصور.

ويختار بعناية من يسمح له بدخول بيته، ثم يفتح باب ذهنه لكل عابر استطاع أن يصنع مقطعًا جذابًا في ثلاثين ثانية.

والعقل بيت أيضًا.

بل لعله البيت الذي إذا اختل ترتيبه لم يصلح للمرء بيت بعده.

فلا تجعل كل ما يطرق بابك ضيفًا، ولا كل ما يكثر ترداده حقيقة، ولا كل ما يوافق هواك حكمة. واعلم أن من أحسن معرفة ميولك استطاع أن يقودك من حيث تظن أنك تختار.

ولست أخشى يومًا تعرف فيه الخوارزمية شخصيتنا معرفة كاملة.

أخشى شيئًا أدق من ذلك:

أن تعطينا شيئًا قليلًا مما نحن عليه، فنستحسنه؛ ثم تزيده قليلًا قليلًا، حتى نصبح الصورة التي توقعتها لنا.

عندئذ لا تعود المسألة:

هل تعرف الخوارزمية من أنا؟

بل تصبح:

كم بقي مما أنا عليه لم تقترحه عليّ خوارزمية؟

ولعل الحرية في عصرنا لن تكون أن تستطيع الوصول إلى كل شيء؛ فقد أصبح كل شيء تقريبًا أمامك.

الحرية الأصعب أن تستطيع، وسط هذا كله، أن تختار ما لا يُختار لك.

أن تبحث بدل أن تنتظر الاقتراح.

أن تقرأ ما يخالفك.

أن تغلق الشاشة قبل أن تشبع منها.

أن تحتفظ بأشياء تحبها وإن لم تكن رائجة.

وأن تترك في شخصيتك غرفة لا تعرف المنصات عنها شيئًا.

فإن للإنسان حقًا في أن يبقى فيه شيء لم تصنعه السوق، ولم تقترحه الشاشة، ولم تمنحه الجماعة اسمًا.

شيء يقول عنه، إذا خلا بنفسه:

هذا أنا.

لا لأن أحدًا عرضه عليّ كثيرًا؛ بل لأنني نظرت، وفكرت، واخترت.



ديواننا

لطيفة عكور

ميلاد عمري

ميلاد عمري أنا ميلاد إحساسي
دفءٌ يسامرني في ليل أعراسي
محظوظةٌ هذه الأيام أنّ لها
عمرًا تسميه في أوراق أنفاسي
أنا وكل حروفي جئت في فرح
كأنني قد وُلِدتُ الآن في الناسِ
عمرٌ تَعَثّرَ في أوراق أسئلةٍ
كالطفل يلعب في واحات قرطاسي
ياعُمْر يالهفةً تجري على عجلٍ
خفف مسيرك وارحم قَرعَ أجراسي
اليوم ذاكرتي مَلّاى بأغنيةٍ
سكبتها من قديم الحب في كاسي
ميلادنا قصةٌ نروي حكايتها
وأجمل العمر يبقى بين أقواسي



التحقيق



مختصون يدعون إلى تربية تقوم على الحوار والاحتواء وحماية الطفولة..

العنف ضد الأطفال.. معاناة صامتة ومستقبل يحتاج إلى الحماية

إعداد: زهير بن جمعة الغزال - الأحساء

ليست كل جروح الطفولة مرئية، فبعضها لا تتركه الكدمات أو آثار الضرب على الجسد، وإنما تخفيه نظرات الخوف، والصمت، وفقدان الثقة، واضطراب المشاعر، وبينما يفترض أن تكون الأسرة الملاذ الأول للأمان والاحتواء، يجد بعض الأطفال أنفسهم في مواجهة أشكال مختلفة من العنف، سواء بالضرب أو الإهانة أو التهديد أو القسوة اللفظية، لتتحول سنوات الطفولة التي ينبغي أن تكون مساحة للفرح والاكتشاف إلى تجارب مؤلمة قد تظل آثارها عالقة في نفوسهم لسنوات طويلة.

وتكمن خطورة العنف ضد الأطفال في أنه لا يتوقف عند حدود الأذى الجسدي أو النفسي الآني، بل قد يمتد تأثيره إلى تكوين شخصية الطفل، وقدرته على التواصل مع الآخرين، وبناء علاقاته الاجتماعية، وثقته بنفسه، بالإضافة عن انعكاساته على مستقبله الأسري والمهني، ومن هنا تبرز أهمية الوقوف على أسباب العنف وصوره وتداعياته، واستعراض مسؤولية الأسرة والمجتمع في حماية الأطفال، وترسيخ ثقافة التربية القائمة على الرحمة والحوار والاحتواء، بما يضمن لكل طفل حقه في طفولة آمنة تحفظ كرامته وتصون مستقبله.

يؤكد الدكتور نبال الشواقفة، استشاري

الأطفال وحديثي الولادة ، أن الإيذاء العاطفي يُعد من أخطر أشكال العنف الموجه ضد الأطفال، مقارنة بالعنف الجسدي أو الإهمال أو حتى العنف الجنسي، نظرا لصعوبة اكتشافه والتعرف على علاماته في كثير من الحالات، فضلا عن خطورة النتائج التي قد تترتب عليه على المديين القريب والبعيد.

ويوضح أن خطورة هذا النوع من الإساءة لا تتوقف عند التأثير اللحظي في مشاعر الطفل، وإنما تمتد لتطال مراحل متعددة من نموه وتكوينه، حيث يمكن أن تؤدي إلى تأخر تطوره النفسي، وتراجع قدرته على التفاعل مع محيطه، وعن قصور في التحصيل التعليمي قد يستمر معه إلى مراحل متقدمة من حياته.

ويشير الشواقفة إلى أن الاضطهاد العاطفي يأخذ صور متعددة، تشمل كل سلوك يجعل الطفل يشعر بالنقص أو يفقده الثقة في قدراته وإمكاناته الطبيعية، ومن ذلك توجيه النقد اللاذع إليه بصورة مستمرة، أو تجاهله ورفضه، أو تهديده وإشعاره بأنه غير مرغوب فيه، وهي ممارسات قد تبدو للبعض بسيطة أو عابرة، لكنها تترك تأثيرات عميقة في نفسية الطفل، خصوصا عندما تصدر ممن يفترض أن يكونوا مصدر الأمان والحماية له.

ويضيف، أن حرمان الطفل من الروابط العاطفية والاحتواء الأسري قد ينعكس سلبا على نموه، ويؤدي إلى اضطرابات في تطوره النفسي والعاطفي، وقد تصاحب ذلك مشكلات وأمراض عضوية، وهو ما يستدعي التعامل مع الظاهرة بقدر كبير من الجدية والاهتمام، وعدم التقليل من شأن الإساءة النفسية لمجرد أنها لا تترك آثارا ظاهرة على جسد الطفل.

ويلفت إلى أن اضطهاد الأطفال ظاهرة يمكن أن توجد في مختلف شرائح المجتمع، ولا تقتصر على طبقة اجتماعية أو فئة اقتصادية بعينها، الأمر الذي يجعل مواجهتها مسؤولية عامة تتطلب نشر الوعي، وتصحيح المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالتعامل مع الأطفال، وترسيخ ثقافة تقوم على احترام احتياجاتهم النفسية والعاطفية، إلى جانب الاهتمام بسلامتهم الجسدية.

من جانبه، يفند الدكتور ساري دعاس، استشاري أمراض الأطفال وحديثي الولادة أشكال الإساءة التي يمكن أن يتعرض لها الطفل، موضحا أنها لا تقتصر على الاعتداء البدني المباشر، وإنما تشمل مجموعة واسعة من الممارسات التي تختلف في طبيعتها، لكنها تشترك في إلحاق الضرر بصحة الطفل ونموه وتوازنه النفسي والسلوكي.

ويشرح أن الإصابات الجسمانية تأتي في مقدمة صور الإساءة التي يمكن التعرف عليها من خلال ما تتركه من كدمات أو حروق أو جروح، وقد تصل في بعض الحالات إلى كسور عظمية خطيرة أو إصابات داخلية بالأعضاء والأحشاء، وهناك مجموعة من المؤشرات التي قد تثير الشكوك حول تعرض الطفل للاعتداء، من بينها عدم توافق رواية الإصابة مع طبيعتها أو شدتها، والتأخر في الإبلاغ عنها، أو تكرار الإصابات، إلى جانب عدم اهتمام ولي الأمر بما يتعرض له الطفل من أذى.

وينتقل دعاس، إلى شكل آخر من أشكال الإساءة، يتمثل في الإهمال، موضحا أن التجاهل الشديد لاحتياجات الطفل الأساسية والتطورية قد يؤدي إلى تعثر نموه، فضلا عن تعرضه لالتهابات وأمراض متكررة نتيجة ضعف النظافة والرعاية الصحية، ولا تقف آثار الإهمال عند الجانب الجسدي، بل تمتد إلى التطور النفسي والعاطفي، وقد تظهر في صورة تأخر في النطق والتعلم، وضعف الأداء المدرسي، وعدم القدرة على اكتساب المهارات المناسبة للمرحلة العمرية.

أما الإساءة العاطفية، فيوضح أنها تتجسد في رفض الطفل وعدم إظهار الحب والاهتمام به، والتعامل معه بالسخرية والتهديد والتجاهل بصورة متكررة، وهي ممارسات يمكن أن تقود إلى اضطرابات خطيرة في السلوك والمشاعر،وأن هذا النوع من الإساءة قد يترافق مع الاعتداء الجسدي أو الجنسي، ما يزيد من تعقيد الحالة ويضاعف حجم الأضرار التي يتعرض لها الطفل.

ويشير استشاري أمراض الأطفال وحديثي الولادة، إلى أن هناك شكلا آخر بالغ الخطورة يتمثل في التسمم المتعمد، عندما يعطى الطفل دواء أو مادة ضارة بصورة مقصودة، ثم يحضر إلى قسم الطوارئ وهو يعاني أعراضا قد تبدو في ظاهرها غير مرتبطة باعتداء متعمد، مثل تسارع التنفس في

الدكتور عزت عبدالعظيم: الضرب والقسوة ليسا وسيلة للتربية.. والعقاب يجب أن يتناسب مع الخطأ



الدكتور ساري دعاس: للإساءة للطفل صور متعددة تبدأ بالإهمال ولا تتوقف عند الاعتداء الجسدي



الدكتورة عزيزة عبدالله الطائي: الأسرة المدرسة الأولى لترسيخ المواطنة وتعزيز الانتماء الوطني



بعض حالات التسمم بالأسبرين، أو النعاس الشديد والسبات نتيجة تناول الأدوية المهدئة والمركنة.

وفيما يتعلق بالإساءة الجنسية، يوضح دعاس أنها تتمثل في تعرض الطفل أو الطفلة لاعتداء جنسي من شخص آخر، وقد ينتج عن ذلك عدد من الإصابات الجسدية، إلى جانب آثار نفسية وسلوكية عميقة قد تترك انعكاساتها على شخصية الطفل وشعوره بالأمان وثقته بالمحيطين به.

ويشدد على أن التعامل مع حالات الإساءة للأطفال لا ينبغي أن يتوقف عند علاج الإصابات أو الأعراض الظاهرة، بل يجب أن يشمل حماية الطفل من تكرار الاعتداء أو تعرضه لمزيد من الإيذاء، وأن تدبير كل حالة يبدأ بتقديم العلاج الطبي المناسب وفقا لطبيعتها وأصول التعامل معها، غير أن ذلك لا يمثل سوى جانب من جوانب التدخل المطلوب.

ويضيف، أن ضمان سلامة الطفل يستلزم إجراء بحث اجتماعي معمق للوقوف على ظروف الإساءة ومصدرها، وتحديد التدابير اللازمة لمنع تكرارها، وقد يتطلب الأمر تدخل الجهات الأمنية المختصة في بعض البلدان لضمان حماية فعالة للطفل، وتهيئة الظروف التي تسمح له بمواصلة نموه بصورة سليمة بعيدًا عن مصادر الخطر.

من الناحية النفسية والتربوية، يشير الدكتور عزت عبدالعظيم، استشاري الطب النفسي ، إلى أن بعض الآباء والأمهات يقعون في خطأ شائع عندما يعتقدون أن الإيذاء البدني أو النفسي هو الوسيلة المناسبة لتأديب الطفل وتقويم سلوكه، فيلجؤون إلى القسوة والعنف باعتبارهما أسلوب تربوي يضمن الانضباط، بينما تؤكد الآثار النفسية المترتبة على هذه الممارسات خطورة هذا التصور وعدم سلامته.

ويوضح أن العنف ضد الأطفال ليس وسيلة ناجحة للتربية، بل أسلوب خاطئ قد ينعكس بصورة سلبية على الصحة النفسية للصغار، ويؤثر في تكوين شخصياتهم وقدرتهم على التفاعل مع المجتمع، ومن أن انتشار هذه الممارسات قد يسهم في نشأة أجيال تعاني اضطرابات نفسية وتعقيدات سلوكية، وتفتقر إلى التوازن والثقة بالنفس، بما ينعكس على حياتها الشخصية والاجتماعية وقدرتها على الإسهام بصورة إيجابية في مجتمعاتها.

ويؤكد عبدالعظيم أن التربية السليمة لا تعني غياب العقاب أو ترك الطفل دون توجيه، وإنما تقوم على تحقيق التوازن بين الثواب والعقاب، واستخدام أساليب تربوية تتناسب مع عمر الطفل وطبيعة الخطأ الذي ارتكبه، فالتشجيع والثناء والمدح والمكافآت تمثل وسائل مهمة لتعزيز السلوك الإيجابي، وتحفيز الطفل على تكراره، بينما ينبغي أن يكون العقاب وسيلة للتوجيه والتصحيح، وليس أداة لإهانة الطفل أو الانتقام منه.

ويوضح أن العقاب في حالة تكرار الخطأ يجب ألا يتجاوز حجمه أو يتحول إلى وسيلة لإلحاق الضرر بالطفل، ويمكن أن يأخذ أشكالا تربوية بسيطة، مثل الحرمان المؤقت من بعض الأشياء التي يحبها، أو توجيه نظرة حازمة، أو الامتناع عن التحدث معه لفترة محدودة، بما يساعده على إدراك أن هناك سلوكا غير مقبول ينبغي تصحيحه.

ويتطرق استشاري الطب النفسي إلى مسألة الضرب، موضحا أنه لا ينبغي اللجوء إليه إلا باعتباره حلا أخيرا وفق التصور الذي يطرحه، مع ضرورة توافر شروط محددة، أهمها أن يكون الطفل قادرا على التمييز بين الصواب والخطأ، وأن يكون مصرا على ارتكاب الخطأ، وألا يتحول العقاب إلى ضرب مؤذ أو يستهدف مناطق حساسة في الجسم مثل البطن والصدر والوجه.

ويؤكد أن الهدف الأساسي من التربية هو بناء شخصية الطفل وتوجيه سلوكه، وليس إخضاعه للخوف أو تعويده على العنف، فالفارق كبير بين الحزم الذي يساعد الطفل على فهم الحدود والمسؤوليات، والقسوة التي تزرع داخله الشعور بالتهديد وعدم الأمان، ومن ثم فإن الآباء بحاجة إلى إدراك أن العلاقة التربوية الناجحة تقوم على الحوار والاحتواء والتوجيه، مع استخدام العقاب المنضبط الذي يحفظ للطفل كرامته وسلامته النفسية والجسدية.

كما يقترح عبدالعظيم تفعيل دور المؤسسات الحكومية والأهلية، إلى جانب وسائل الإعلام والعلماء والأطباء والمعلمين والمعلمات، في التعريف بمخاطر العنف ضد الأطفال، وتصحيح المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالتربية والتأديب، كما يدعو إلى إطلاق برامج توعوية تستعين بالمتخصصين في مجالات التربية وطب الأطفال والطب النفسي، لتقديم إرشادات عملية للآباء والأمهات تساعدهم على اختيار الأساليب السليمة في التعامل مع أبنائهم، وأن حماية الأطفال من العنف



بيان الجفري: العنف الذي يتعرض له الطفل قد يحول ألمه إلى سلوك عدواني



عبدالعزيز مسعود أبوصباح: العنف ضد الأطفال يهدد سلامتهم النفسية والاجتماعية ويفتح أبواب الانحراف



ميادة رامس العمرية: يترك ندوبًا نفسية تلازم الإنسان طوال حياته

والإساءة ليست مسؤولية الأسرة وحدها، بل مسؤولية مجتمعية مشتركة، تتطلب تعاون مختلف الجهات المعنية، انطلاقا من أن الأطفال يمثلون الدعامة الرئيسية للمستقبل، وأن توفير بيئة آمنة لهم، نفسي وجسدي وعاطفي، هو الأساس الذي يمكن من خلاله إعداد أجيال أكثر توازنا وقدرة على بناء المجتمع.

يرى - معمر بن عوفيت الشحري..

أن العنف ضد الأطفال من القضايا المجتمعية التي تستحق وقفة جادة، لما تتركه من آثار عميقة في تكوين شخصية الطفل ومستقبله النفسي والاجتماعي، مؤكدا أن الطفولة ليست مجرد مرحلة عمرية عابرة، وإنما هي الأساس الذي تتشكل من خلاله ملامح الشخصية، وتتكون فيه نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى الآخرين والحياة من حوله.

ويؤكد الشحري، أن من أشد صور المعاناة أن يبحث الطفل عن الأمان داخل أسرته فلا يجد سوى الخوف، وأن يطلب الحنان والاحتواء فيقابل بالقسوة والإيذاء، مشيرا إلى أن تحول العنف إلى وسيلة للتربية وفرض الطاعة يترك آثارا قد تستمر سنوات طويلة، حتى بعد انتهاء المواقف التي تعرض فيها الطفل للإساءة.

ويوضح أن العنف لا يقتصر على الضرب والاعتداء الجسدي، بل تتعدد أشكاله لتشمل الإهانة اللفظية والتهديد المستمر والتحقير والتخويف والإهمال والحرمان من الاحتياجات الأساسية، وتكمن المشكلة، بحسب رؤيته، في اعتقاد بعض الآباء أن القسوة تصنع شخصية قوية، وأن العقاب المؤلم يضمن استقامة السلوك، بينما قد تؤدي التربية القائمة على الخوف إلى نشأة طفل يبدو مطيعًا أمام الآخرين، لكنه يعاني داخليا القلق والغضب وفقدان الثقة بالنفس.

ويلفت إلى أن انعكاسات العنف تتجاوز الجانب النفسي لتشمل صحة الطفل وقدراته اليومية، إذ قد يؤدي الاعتداء الجسدي إلى إصابات متفاوتة الخطورة، فيما ينعكس الضغط النفسي المستمر على النوم والتركيز والشهية والقدرة على التعلم، أما على المستوى النفسي، فقد تتولد لدى الطفل مشاعر الخوف والقلق والعزلة، ويبدأ في النظر إلى نفسه باعتباره أقل قيمة من أقرانه، أو يشعر بأنه لا يستحق الحب والاحترام، موضحا أن حجم هذه الآثار يختلف وفق طبيعة العنف وشدته ومدته، ومدى توافر الدعم الأسري والاجتماعي.

ويحذر الشحري من أن خطورة الظاهرة تتضاعف عندما يعجز الطفل عن التعبير عن معاناته، أو يجد نفسه محاصرا بين الخوف ممن يمارس العنف ضده والخشية من الإفصاح عما يتعرض له، الأمر الذي قد يدفعه إلى الانسحاب من محيطه الاجتماعي، أو ممارسة السلوك العدواني تجاه الآخرين، أو البحث عن الانتماء والتقدير في بيئات غير آمنة.

وفي المقابل، يشدد على أهمية عدم التعامل مع الطفل الذي تعرض للعنف باعتباره مشروعا لشخصية مضطربة أو منحرفة، فالتعرض للإساءة لا يعني بالضرورة أن الطفل سيواجه مستقبلا سلبيا، إذ يمثل التدخل المبكر والاحتواء والدعم النفسي والاجتماعي عوامل أساسية في الحد من الآثار المترتبة على العنف، ومساعدته على استعادة ثقته بنفسه والشعور بالأمان.

ويؤكد أن مواجهة هذه الظاهرة تبدأ من الأسرة، باعتبارها البيئة الأولى التي يتعلم فيها الطفل معاني الحب والاحترام والتعامل مع الآخرين، وذلك من خلال ترسيخ ثقافة الحوار، وتعليمه التمييز بين الصواب والخطأ بأساليب تربوية متوازنة، ووضع حدود واضحة للسلوك دون اللجوء إلى الإهانة أو الإيذاء، كما شدد على أهمية الدور الذي تضطلع به المدرسة في رصد التغيرات النفسية والسلوكية التي قد تظهر على الأطفال، وتوفير بيئة آمنة تشجعهم على التعبير عن مشكلاتهم وطلب المساعدة دون خوف أو تردد.

ويضيف أن مسؤولية الحماية لا تتوقف عند الأسرة والمدرسة، وإنما تتطلب تكامل جهود المؤسسات الصحية والاجتماعية والجهات المعنية بحماية الطفل، والتعامل الجاد مع حالات الإساءة، وتوفير الدعم اللازم للأطفال المتضررين، بما يضمن عدم استمرار معاناتهم أو تعرضهم لمزيد من الأذى، كما أن حماية الطفولة ليست مسؤولية أسرية فحسب، ولا قضية تخص فئة اجتماعية بعينها، بل هي مسؤولية مجتمعية وأخلاقية ووطنية، لأن الطفل الذي ينشأ في بيئة آمنة يكون أكثر قدرة على احترام ذاته والآخرين، وبناء علاقات إنسانية سليمة، والمشاركة الإيجابية في مجتمعه، كما إن المجتمع لا يحتاج إلى جيل يخشى العقاب بقدر حاجته إلى جيل يدرك الصواب، ولا إلى أطفال يتعلمون الصمت خوفا، وإنما إلى أطفال يمتلكون



عبدالرحمن بن مشعل العوفي: للعنف في الطفولة جروح نفسية قد تمتد آثارها إلى مراحل العمر

الثقة للتعبير عن مشاعرهم ومشكلاتهم، ويجدون من يستمع إليهم ويحميهم. فالعنف قد يفرض الصمت للحظة، لكنه لا يستطيع بناء إنسان سوي، بينما تمثل الرحمة الواعية والتربية المسؤولة الطريق الحقيقي نحو طفولة آمنة ومجتمع أكثر تماسكا، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم، "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، داعيا إلى استشعار عظم الأمانة في البيوت والمدارس والمؤسسات، وجعل الرحمة أساس للتربية، والحوار وسيلة للتوجيه، والأمان حق أصيل لكل طفل، فالأطفال أمانة تستوجب الرعاية الصادقة، وسلامتهم النفسية والجسدية تمثل ركيزة أساسية لبناء مجتمع متماسك ومستقبل أكثر إشراقا.

أكدت الدكتورة - عزيزة عبدالله الطائي... أن بناء الانتماء الوطني لدى الأجيال الجديدة يبدأ من داخل الأسرة، باعتبارها المحضن الأول الذي تتشكل فيه شخصية الطفل وتتكون من خلاله مشاعره تجاه وطنه ومجتمعه، مشيرة إلى أن حب الوطن يرتبط ارتباط وثيق بحب الأسرة، وأن التربية على المواطنة لا ينبغي أن تقتصر على الشعارات والكلمات، بل يجب أن تتحول إلى سلوك يومي وممارسات عملية يكتسبها الأبناء من خلال القدوة والتنشئة السليمة.

وأوضحت أن الوطنية تعبر عن ارتباط مجموعة من البشر بأرض محددة، تجمعهم رموز مشتركة وعلم ونشيد وطني، وتوحد بينهم أهداف وقيم ومشاعر وجدانية، مؤكدة أن الانتماء الوطني يتجاوز مجرد الوجود الجغرافي إلى الاعتزاز بالأرض والتراث والتاريخ، والولاء للمبادئ والقيم التي تشكل هوية المجتمع وتحفظ تماسكه.

وأشارت الطائي إلى أن برامج التربية على الوطنية والمواطنة تتخذ أشكال متعددة، تشمل المناهج الدراسية التي ينبغي أن تراعي المراحل العمرية ومستويات النضج الفكري لدى الطلاب، إلى جانب البرامج التوعوية والإرشادية التي تقدمها المؤسسات الإعلامية، فضلا عن أهمية القدوة والنماذج الحياتية التي يراها الطفل في محيطه الأسري والاجتماعي، فكل هذه الوسائل تتكامل من أجل بناء جيل يدرك قيمة وطنه، ويستوعب مسؤوليته تجاه حاضره ومستقبله.

وشددت على أن الأسرة تمثل الركيزة الأساسية في هذه العملية، لما تؤديه من دور محوري في التنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية، فهي المصدر الأول لإشباع احتياجات الفرد النفسية والاجتماعية، ومن خلالها يكتسب مشاعر الأمان والحب والرعاية والمكانة، وهي المشاعر التي تؤسس لانتمائه إلى أسرته، ثم تتسع تدريجيًا لتشمل المدرسة والمجتمع والوطن.

وأضافت أن تنمية الشعور بالانتماء لدى الطفل تبدأ بتعزيز تقديره لذاته، وإشعاره بقيمته داخل أسرته، حتى ينشأ معتزا بوجوده ومحيطه، ثم يأتي دور الأسرة في توسيع مداركه وتعريفه بالمسؤوليات والواجبات والحقوق، بعيدا عن أساليب الوعظ المباشر وترديد الشعارات، من خلال إشراكه في مواقف عملية تساعده على فهم معنى المسؤولية واحترام الآخرين والتوازن بين ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

ولفتت إلى أن التربية على المواطنة تظهر في تفاصيل الحياة اليومية، ومن أبسط صورها تعويد الطفل على المحافظة على نظافة الأماكن العامة والمرافق التي يرتادها، كالحدائق والمجمعات التجارية، وتعريفه بأن هذه الممتلكات ليست بعيدة عنه أو منفصلة عن حياته، وإنما هي جزء من بيئته ومجتمعه، والمحافظة عليها تعكس إحساسه بالمسؤولية والانتماء.

وأكدت، أن المدرسة تأتي امتداد لدور الأسرة في بناء الشخصية الوطنية، إذ يكتشف الطفل من خلال احتكاكه بزملائه معنى الجماعة والتعاون واحترام الآخرين، ويتعلم كيف يكون فرد فاعل داخل محيطه المدرسي، كما تسهم المدرسة في ترسيخ مجموعة من القيم الأساسية، وفي مقدمتها الولاء للوطن، والمحافظة على الهوية، والاعتزاز بالحضارة والتاريخ، وصيانة الآثار والموروثات، واحترام الرموز الوطنية، وفي مقدمتها العلم والنشيد الوطني.

وأوضحت، أن احترام العلم والوقوف أثناء عزف السلام الوطني ليسا مجرد طقوس شكلية، بل يمثلان مدخل تربوي لتعريف الأطفال بدلالات الرموز الوطنية وما تحمله من معان تاريخية ووجدانية، وهو ما يستوجب تقديم هذه المفاهيم بأسلوب مبسط يتناسب مع أعمارهم وقدراتهم على الاستيعاب، حتى تتحول الممارسة إلى قناعة راسخة وليست مجرد استجابة لتعليمات مفروضة.

وفي سياق متصل، دعت الطائي إلى ضرورة تزويد الأسر بالمهارات التربوية التي تمكنها من غرس مفهوم المواطنة المسؤولة والمبدعة والمفكرة لدى الأبناء، وتنشيط دورها في تدريب الناشئة على احترام النظام والقوانين وتحمل المسؤولية، مؤكدة أهمية تكاتف مؤسسات المجتمع، وفي مقدمتها المدارس وأجهزة الإعلام والمساجد، لاستثمار التراث العربي والإسلامي في توجيه السلوك وتعزيز قيم الولاء للوطن والعطاء للإنسانية.

وأضافت أن إعداد الأبناء ليكونوا مواطنين صالحين يتطلب استثمار المواقف اليومية والفرص المتاحة للحوار معهم حول حقوقهم وواجباتهم، وتعويدهم على السلوكيات التي تعبر عن الإخلاص للوطن، واحترام أنظمة الأمن والسلامة، مع ضرورة شرح الغايات من وراء القوانين واللوائح بلغة تتناسب مع مراحلهم العمرية، حتى يدركوا أنها وضعت لحماية الإنسان وصيانة حقوقه ومصالحه وتنظيم شؤون حياته، وليست مجرد قيود تحد من حريته.

وشددت على أن التربية الوطنية قادرة على الإسهام في بناء مواطن متزن ومسؤول، يمتلك الوعي والقدرة على توظيف طاقاته في خدمة مجتمعه ووطنه، غير أن تحقيق ذلك يرتبط بجودة البرامج التربوية، وإحكام الخطط، ووجود وعي حضاري متطور قادر على تحويل المبادئ النظرية إلى ممارسات ملموسة. فالتربية على المواطنة، بحسب رؤيتها، ليست مجرد تلقين لمفاهيم الولاء والانتماء، وإنما هي عملية متكاملة تهدف إلى ترسيخ ثقافة تحترم الإنسان وحقوقه في الوجود والتفكير والممارسة.

وتابعت أن تكوين شخصية الطفل المتعلم يجب أن يقوم على ثقافة حقوق الإنسان، وأن تنعكس هذه الثقافة على علاقاته بالآخرين وعلى نظرته إلى المجتمع، بما يؤهله لاحترام الاختلاف والتعامل مع المحيطين به على أساس من الحقوق المتبادلة. ومن هنا تبرز أهمية التربية على قيم الديمقراطية في الحياة اليومية، من خلال تمسك الفرد بحقوقه، مع إدراكه الكامل لضرورة احترام حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها.

واعتبرت أن المواطنة تمثل الآلية التي تنقل حقوق الأفراد من إطارها القانوني والنظري إلى واقع عملي وسلوكيات يومية، فلا يكفي أن تكون الحقوق منصوصا عليها في القوانين والمواثيق، ما لم يواكبها وعي



صالح الحمداني: جروح نفسية قد تمتد آثارها إلى مستقبلهم

مجتمعي يضمن ممارستها واحترامها، كما أن المواطنة لا تعني الحصول على الحقوق وحدها، بل تقترن بالقيام بالواجبات تجاه الوطن والمجتمع، والاستعداد للمشاركة في تقدمه وازدهاره والمحافظة على أمنه وسلامته.

وطرحت الطائي تساؤلات مهمة بشأن حضور التربية الوطنية في المنظومة التعليمية والإعلامية، متسائلة عن أسباب غياب هذه المادة بمسماها ودلالاتها التربوية عن بعض المناهج الدراسية، رغم أهميتها في تعريف الأجيال بحقوقهم وواجباتهم، وتعزيز إدراكهم لمعنى المواطنة الحقيقية.

كما تساءلت عن مدى إسهام المؤسسات الإعلامية في ترسيخ مفاهيمها، وعن أسباب افتقار بعض الموظفين إلى المعرفة الكافية بحقوقهم، بما يمكنهم من فهم واجباتهم وممارستها على الوجه الصحيح، كما أن العلاقة بين الوطن والمواطن علاقة متبادلة لا يمكن الفصل بين طرفيها، فالوطن يمنح الإنسان هويته وجذوره وفضاءه الذي ينتمي إليه، والمواطن يمنح الوطن حضوره وقيمته من خلال مشاركته وعطائه ووفائه، مؤكدة أن الوطن بلا مواطن يفقد أحد أهم مقومات وجوده، وأن الإنسان بلا وطن يفتقد هويته ومرجعيته ومكانه الذي يشعر فيه بالانتماء والاستقرار، ومن هنا تظل التربية على المواطنة مسؤولية مشتركة تبدأ من الأسرة، وتتواصل عبر المدرسة والإعلام ومؤسسات المجتمع، حتى يصبح الانتماء ممارسة حقيقية تنعكس على سلوك الأفراد وعلاقتهم بأوطانهم.

حذر الأستاذ - عبدالعزيز مسعود السعدون أبوصباح... من الآثار الخطيرة للعنف ضد الأطفال، مؤكدا أن الطفل الذي يتعرض للضرب والإهانة والتهديد المستمر لا يعاني جسديا فحسب، بل قد يحمل آثارا نفسية مؤلمة تلازمه لسنوات، وتنعكس على سلوكياته وعلاقاته الاجتماعية، وربما تدفعه إلى العدوانية أو الانحراف.

وأوضح أن أخطر ما في هذه الظاهرة اعتقاد بعض الآباء أن القسوة وسيلة ناجحة للتربية، وأن الضرب يصنع شخصية قوية، بينما يحتاج الطفل إلى التوجيه والاحتواء والاحترام أكثر من حاجته إلى العقاب، مشيرا إلى الفرق الكبير بين التربية القائمة على الانضباط والمسؤولية، وتلك التي تعتمد على الخوف والإذلال وكسر الشخصية.

وأضاف أن العنف الجسدي قد يتسبب في إصابات وكدمات وكسور، كما يؤدي الخوف والقلق المستمران إلى اضطرابات النوم والصداع وآلام البطن وضعف الشهية، بالإضافة إلي تأثيراته المحتملة على نمو الطفل وصحته العامة، وعلى المستوى النفسي، قد يفقد الطفل ثقته بنفسه، ويشعر بأنه غير مرغوب فيه أو مكروه من والديه، ويعاني القلق والاكتئاب وصعوبة التعبير عن مشاعره، وقد يتعامل مع العنف باعتباره أسلوب طبيعي في التعامل مع الآخرين.

وأشار إلى أن التداعيات الاجتماعية قد تظهر في صورة عزلة وضعف التحصيل الدراسي والهروب من المنزل أو المدرسة، والبحث عن الاهتمام والانتماء خارج الأسرة، الأمر الذي قد يعرض الطفل لرفقة سيئة وسلوكيات ضارة، مؤكدا أن العنف لا يعني بالضرورة انحراف كل طفل يتعرض له، لكنه يزيد من احتمالات تعرضه لمخاطر اجتماعية وسلوكية.

وشدد على أن مواجهة الظاهرة تبدأ من الأسرة، بالتعاون مع المدرسة والمؤسسات الاجتماعية، من خلال التوعية بأساليب التربية السليمة، وتوفير الإرشاد النفسي، وتشجيع الأطفال على الإبلاغ عن الإساءة دون خوف أو تردد، والتعامل الجاد مع مؤشرات العنف والإهمال، كما ان من الضروري تغيير ثقافة تبرير العنف باسم التربية، فالطفل ليس ملكية خاصة يحق لأحد إيذاؤها، وإنما إنسان له كرامته، ومن الطبيعي أن يخطئ ويحتاج إلى التوجيه. فالمجتمع الذي يسعى إلى حماية أبنائه عليه أولًا أن يحمي طفولتهم من العنف والإساءة، لأن الطفل الذي نحميه اليوم ونحافظ عليه هو أساس المجتمع الذي سيعيش مستقبلا.

تؤكد الأستاذة - بيان عبدالرحمن الجفري.... أن العنف الذي يتعرض له الطفل في سنواته الأولى قد يترك آثار نفسية وسلوكية تمتد إلى مراحل لاحقة من حياته، كما أن دائرة الأذى قد تستمر عندما يتحول الألم الذي عاشه الطفل إلى غضب ورغبة في الانتقام أو ممارسة العنف تجاه الآخرين.

وتوضح الجفري، أن العنف لا يقتصر على الضرب والإيذاء الجسدي، بل يشمل أيضا العنف اللفظي، مثل السخرية والصراخ والإهانة، فضلا عن الاعتداء والاستغلال الجنسي، والتنمر والعنف الإلكتروني الذي قد يتعرض له الأطفال عبر الألعاب والمنصات الرقمية دون علم أسرهم.

وتلفت إلى أن التعرض المستمر للعنف والتوتر الشديد قد يؤثر في نمو دماغ الطفل وقدرته على تنظيم انفعالاته والتعلم، وتظهر انعكاساته في اضطرابات النوم، والخوف من الأصوات أو الاقتراب الجسدي، والعزلة، وصعوبة بناء العلاقات والتعبير عن المشاعر، وقد يتحول الألم المكبوت في بعض الحالات إلى سلوك عدواني تجاه الآخرين، لكنها تشدد على أن تعرض الطفل للعنف لا يعني بالضرورة انحرافه.

وتستشهد الجفري بموقف من واقع عملها مع الأطفال، لطفل كان يدخل في نوبات غضب شديدة ويعتدي على من حوله، ما استدعى التدخل لحمايته وحماية بقية الأطفال، وعندما تواصل الفريق مع والدته لفهم أسباب سلوكه، فوجئوا بأنها تطلب منهم ضربه أو تهديده بالشرطة، وهو ما كشف جانبا من البيئة العنيفة التي قد تؤثر في طريقة تعامله مع الآخرين.

وتشير إلى موقف آخر لطفل اعتاد عض الأشياء ووضع ملابسه في فمه حتى تبتل، وبعد متابعة حالته تبين أنه تعرض لعنف شديد في مدرسته السابقة، وهي المكان الذي كان يفترض أن يجد فيه الأمان والحماية، كما أن الأطفال أمانة، ولا ينبغي أن يكونوا وسيلة لتفريغ ضغوط الحياة، داعية إلى الفصل بين توترات الكبار وطريقة تعاملهم مع أبنائهم، وجعل الحوار والإنصات أساسا للعلاقة معهم، حتى يشعروا بالأمان ويتمكنوا من الإفصاح عما يتعرضون له قبل تفاقم المشكلة، مؤكدة أن الوقاية من العنف تبدأ حين يجد الطفل من يسمعه ويحميه، لا من يخيفه.

يرى صالح بن سعيد بن صالح الحمداني... أن العنف ضد الأطفال قضية إنسانية واجتماعية بالغة الخطورة، لما يتركه من آثار صحية ونفسية وسلوكية قد تمتد إلى مراحل متقدمة من حياتهم.

ويؤكد الحمداني، أن الطفل يفترض أن يجد داخل أسرته ومحيطه الاجتماعي الأمان والحنان، إلا أن بعض الأطفال يعيشون تجارب قاسية تترك في نفوسهم جروح عميقة، سواء من خلال الضرب أو الإهانة أو التهديد أو الإهمال، وتتعدد صور العنف بين الجسدي واللفظي والنفسي، وقد تقع



معمر بن عوفيت الشحري: العنف يفرض الصمت على الطفل لكنه لا يبني إنسانا سويا

داخل المنزل أو المدرسة أو غيرهما من البيئات التي يفترض أن توفر الحماية والرعاية.

ويشير إلى أن آثار العنف لا تقتصر على الإصابات الجسدية، بل قد تمتد إلى اضطرابات النوم والصداع وفقدان الشهية، بالإضافة إلي الخوف والتوتر وفقدان الشعور بالأمان، كما تتراجع ثقة الطفل بنفسه، ويصبح أكثر ميلا إلى العزلة والانطواء، وقد يعاني القلق والحزن وصعوبة التركيز والتحصيل الدراسي.

ويحذر الحمداني من استمرار هذه الممارسات دون تدخل أو احتواء، لما قد تتركه من تصورات سلبية لدى الطفل عن ذاته والآخرين، وانعكاسات على علاقاته الاجتماعية وسلوكه، موضحا أن الطفل الذي ينشأ في بيئة يسودها التهديد والقسوة قد يتعلم استخدام القوة لفرض رأيه، أو يلجأ إلى التمرد والهروب من المنزل والتغيب عن المدرسة، وقد تدفعه مشاعر الرفض والحرمان إلى رفقة سيئة أو سلوكيات خطرة، مؤكدا أن التعرض للعنف لا يعني بالضرورة الانحراف، فالدعم والاحتواء والتدخل المبكر عوامل تحد من آثاره.

ويشدد على أن مواجهة الظاهرة تبدأ من الأسرة باعتماد الحوار والتوجيه الهادئ، والابتعاد عن العقاب المؤذي والإهانة، ومنح الطفل مساحة للتعبير عن مشاعره ومشكلاته دون خوف، إلى جانب مسؤولية المدارس في رصد التغيرات السلوكية والتعامل الجاد مع مؤشرات الإساءة، وتوفير بيئة تعليمية تحترم كرامة الطفل وتحمي حقوقه، كما أن المؤسسات الصحية والاجتماعية والجهات المعنية بحماية الطفل لها دور مهم في استقبال البلاغات وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي وتعزيز الوعي بالتربية السليمة، مشيرا إلى أن حماية الأطفال مسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، وأن الاستثمار الحقيقي في مستقبل الأجيال يبدأ بتوفير طفولة آمنة يسودها الاحترام والرعاية والرحمة.

ترى الأستاذة - ميادة رامس عبدالله العمرية...

أن العنف ضد الأطفال لا تقتصر آثاره على الأذى الجسدي، بل يمتد إلى تكوينهم النفسي وسلوكهم الاجتماعي، مؤكدة أن مشاهدة الطفل للعنف الممارس ضد أحبائه، كتعرض والدته للإيذاء، تمثل بدورها صورة من صور العنف النفسي الذي يقوض شعوره بالأمان والاستقرار، كما أن الصدمات التي يتعرض لها الطفل قد تظل كامنة في داخله، ثم تظهر عند مواجهة مواقف مشابهة، فتنعكس على مشاعره وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين.



الدكتور نبال الشواقفة: الإيذاء العاطفي الأخطر لصعوبة اكتشافه وامتداد آثاره

وتشير إلى أن الطفل الذي ينشأ في بيئة تعتمد الضرب والإهانة وتفتقر إلى الحوار، قد يعاني اضطرابات نفسية وسلوكية، تظهر في صورة تمرد وعدوانية وتراجع في التحصيل الدراسي وفقدان الشغف بالتعلم، وقد يصل الأمر إلى ما يعرف بـ"النبوءة المحققة لذاتها"، حين تتكون لدى الطفل صورة سلبية عن نفسه باعتباره فاشلا أو سيئا، فيكرر السلوكيات الخاطئة وكأنه يؤكد تلك الصورة أمام نفسه والآخرين.

وتضيف أن بعض الأطفال يلجأون إلى الارتباط بأقران يشتركون معهم في السلوكيات العدائية والتجارب المؤلمة، فتتشكل بينهم بيئة تعزز التمرد وتعيد إنتاج العنف، سواء من خلال التخريب والانحراف أو ممارسة القسوة على من هم أضعف منهم، كالإخوة في المنزل أو الزملاء في المدرسة.

وتؤكد أن معالجة هذه الآثار تتطلب اعتماد أساليب تربوية قائمة على الرحمة والرفق، موضحة أن التأديب لا يعني الضرب المبرح أو الإهانة الجسدية، وإنما ينبغي أن يكون إجراءً مشروطا غايته التنبيه لا إلحاق الأذى، وألا يلجأ إليه إلا بعد ثلاثة أعوام كاملة من النصح والإرشاد، كما أن حماية الأطفال من العنف مسؤولية دينية ومجتمعية، وأن التربية السليمة تقوم على الرفق والحوار، مستشهدة بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه"، فبالحوار والرحمة يبنى جيل قادر على البناء، بينما تؤدي القسوة والاضطهاد إلى ترسيخ التمرد والانحراف.

يرى الاستاذ - عبدالرحمن بن مشعل العوفي...

أن العنف ضد الأطفال يترك آثار كبيرة لا تقتصر على الطفل وحده، بل تمتد إلى الأسرة والمحيط الاجتماعي والوطن والأمة، موضحا أن العنف له صور وأشكال متعددة، ويتمثل في الممارسات غير التربوية التي تصدر عن أحد الوالدين أو كليهما، أو أحد أفراد الأسرة، سواء بالقول أو بالفعل.

ويشير إلى أن آثار العنف تتنوع بين الصحية والنفسية والاجتماعية، إذ تتمثل الأضرار الصحية في الإصابات الجسدية، مثل الكدمات والحروق وكسور العظام، بينما قد تكون الآثار النفسية أشد ضررا وإيلاما، لما تتركه من تبعات خطيرة على نفسية الطفل وسلوكه وعاداته الفطرية، فتسلبه القدرة على التعامل بعفوية الطفل البريء، فلا يضحك ولا يبكي كغيره من الأطفال.

ويؤكد أن بكاء الأطفال قد يكون وسيلة للشفاء والتفريغ النفسي، لكن بكاء الطفل المعنف قد يتحول إلى معاناة تلازمه في مراحل عمره المختلفة، من المراهقة إلى الشباب ثم الكهولة، مشيرا إلى أن من يتعرض للكسر والإهانة في طفولته قلما ينجبر كسره.

ويضيف أن العنف قد يزرع داخل الطفل خوفا غير طبيعي، ويهز ثقته بنفسه، ويولد لديه مشاعر البغض والكراهية تجاه من مارس العنف ضده، وهو ما قد ينعكس على مستقبله، فيتعثر في زواجه أو وظيفته، أو يعجز عن إتقان فن العلاقات، معتبرا أن هذه النتائج امتداد للتربية القائمة على العنف في الطفولة، لأن أثره في نفس الطفل يشبه النقش على الصخر، ولا يزول إلا أن يشاء الله.

إبداع التفكير خارج الصندوق.



أحمد بن عبدالرحمن السبيهين

@aalsebaiheen

ينتشر في أوساط التنمية البشرية مفهوم "فكّر خارج الصندوق"، أو "اخرج من الصندوق"؛ مما يعني الخروج من الدائرة الضيّقة في التفكير، إلى سَعة الأُفق وفضاء الابداع، وإيجاد الحلول وابتكار الأفكار، والتنقيب عن أفكارٍ جديدة وحلول ذكية لم تخطر بالبال من قبل.

وانطلاقاً من قول "المتنبي": "وبضدّها تتبيّن الأشياءُ"، نعرض مثالاً للتفكير "داخل الصندوق"؛ حيث يتّضح ذلك جليّاً فيما نُسب إلى "تشارلز هولاند دويل"، مُفوّض "الولايات المتّحدة" لبراءات الاختراع والعلامات التجارية، من أنه قال ذات مرّة: "إن كلّ شيء كان من المُمكن اختراعه، فقد تمّ اختراعه"؛ أي أنه لا مجال لاختراعات جديدة في هذا العالم!

فهذا القول مثالٌ واضح للتفكير "داخل الصندوق"، ومن المُدهش أن "دويل" قال هذا الكلام في عام 1899، أي في الوقت الذي كان الناس يستخدمون الخيول والبغال للتنقّل، وقبل اختراع السيارات والطائرات ورحلات الفضاء وشبكات المعلومات والطاقة النووية وغيرها بأمدٍ بعيد.

وغير بعيدٍ من ذلك في تراثنا العربي، مفهومٌ مُماثل يحثّ على التفكير الضيّق، وهو قول: "ما ترك الأول للآخر شيئاً"، وقد عارضه "الجاحظ" بقوله: "إذا سمعتَ الرّجل يقول: ما تركَ الأول للآخر شيئاً، فاعلم أنه لا يُريد أن يُفلِح"!

إن كثيراً من الناس يظّنون أن التفكير خارج الصندوق يعني أفكاراً غريبة، أو كسراً للعادات والتقاليد السّائدة، لكن الحقيقة العلمية تقول: "لا يُمكن للعقل أن يخرج من الصندوق، إذا لم يُدرك أوّلاً حدود الصندوق نفسه".

وفي علم النفس المعرفي، هناك ما يُسمّى "بالإطار الذّهني"؛ أي إن كلّ إنسان يعيش داخل "نظام افتراضات" عن كيفيّة سَير الحياة، وحلّ المشكلات.. والمُفارقة هُنا أن أغلب الناس يُحاولون الإبداع وهُم أسرى لهذه الافتراضات!

إن التفكير خارج الصندوق يبدأ بسؤال: ما هي المُسلّمات التي يتعامل معها الفرد، وكأنها قوانين طبيعية؟ بينما هي في الأصل مُجرّد عادات أو تصوّرات اجتماعية.

فعلى سبيل المثال: نرى الشركات التي أحدثت ثورةً في مجال أعمالها، لم تأتِ بأفكارٍ مُعقّدة، بل كسرتْ افتراضاً واحداً، كان الجميع يراه بديهياً.. فشركة "أوبر" كسرتْ فرضيّة: "أن سيّارة الأُجرة لا بدّ أن تملكها الشركة"، وشركة "كيندل" كسرتْ فرضيّة: "أن الكُتب لا يُمكن أن تُقرأ إلا ورقيّة".

ومن المعروف في كُتب التنمية البشرية، أن هنالك طُرُقاً يُمكن أن يُستدلّ بها للحصول على أفكار إبداعية خارج الصندوق، يضيق المجال هُنا عن ذكر تفاصيلها.. ولكن هنالك أمثلة على أفكارٍ إبداعية في مجالات مُختلفة أتتْ بنتائج رائعة، يُمكن اعتبارها حافزاً لتجارب وطُرق تفكير غير تقليدية للخروج بنتائج أخرى مُذهلة.

فمن الأمثلة المشهورة على حلّ المشكلات بفكرةٍ خارج الصندوق؛ ما واجههُ روّاد الفضاء الأمريكيون، من صعوبة الكتابة أثناء رحلاتهم الفضائية، نظراً لانعدام الجاذبية وعدم نزول الحِبر إلى رأس القلم.

ولمحاولة التغلّب على هذه المشكلة، أنفقت وكالة الفضاء الأمريكية آلاف الدولارات على بحوثٍ استغرقت أشهُراً، لتتمكّن في النهاية من إنتاج قلَمٍ يكتب في الفضاء، وتحت الماء، وعلى أرقّ الأسطح وأصلبها.. ولكن بالمُقابل، تمكّن روّاد الفضاء الرّوس من التغلّب على نفس المشكلة بحلّ بسيط؛ وهو استخدام القلم الرصاص!

وفي أحد مصانع الصابون في "اليابان"، اختلطت على العاملين الكراتين المملوءة، بالكراتين الفارغة، وكانت مُتشابهةً تماماً من ناحية الشكل والحجم، وعددها ضخمٌ جداً.. فاحتاروا هل يقومون بفرزها جميعاً بناءً على وزنها، وهذا سيستغرق وقتاً طويلاً وعمالةً مُكلّفة، فهل من حلّ آخر؟

لقد توصّلوا إلى حلّ سريع وبسيط وغير مُكلّف؛ فعمدوا إلى نصب مروحة أرضيّة كبيرة أمام سيرٍ كهربائي، تمُرّ عليه جميع الكراتين، فالفارغ منها يسقط أرضاً، والمُمتليء يمضي في طريقه إلى المستودع!

وفي "اليابان" أيضاً، كان الصيّادون يصيدون الأسماك من مسافات بعيدة عن شواطيء البحار، فلا يتمكّنون من العودة والوصول إلى الأسواق، حتى يتغيّر مظهر الأسماك وجودتها ولا تكون طازجةً كما ينبغي، جرّاء إخراجها من الماء وبقائها على قوارب الصيد مُعرّضة للظروف الجوية فترةً طويلة، مما يُقلّل من جودتها وأسعارها والطلب عليها.

فلجأ الصيادون إلى القيام بفكرةٍ بسيطة إبداعية، حيث قاموا بوضع الأسماك في شِباكٍ كبيرة تحت الماء وربطوها بقواربهم، لتصل إلى الشاطيء وهي على قيد الحياة، مُحافظةً على جودتها وأسعارها!

ذاكرة حية



الحسين معافا

محمد الحازمي..

صوتٌ تسكنه ضمد.

شخص واحد سيظل يلمع في ذاكرتك منذ الطفولة، في شيء رأيته للمرة الأولى وأحببته، ثم مضت سنوات طويلة وما زال ذلك الأثر كما هو، لا يخفت ولا يفقد دهشته.



الخطيب المفوه والأديب الشاعر محمد بن يحيى عبدالله الحازمي، أيقونة ومقياس رفيع لكل أصوات القراء حوله، صوت من بحة الأجداد الأوائل، الشيخ الذي عرفته المنابر وصالات الفكر في محافظة ضمد والوطن بشكل عام، الخطيب الذي ينشر فضائل المعرفة وزراعة الوعي في جامع ضمد الكبير.

الشاعر الذي لا يمكنك أن تغفو في خطبته لوهلة دون أن تشتد روحك كوتر، بذلك الصوت الخاشع والدمعة الطارفة، بثقافته الواسعة، وصوته الذي يعرف جيداً متى يخفضه ليربت به على أكتاف الرجال، ومتى يرفعه ليلمس به السماء.

في الجامع الكبير، الذي بناه القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي، وكما ذكره شيخنا الجليل محمد يحيى الحازمي في مؤلفه «جامع ضمد الكبير ورسالته العلمية والمنبرية»: «بناه في مستهل القرن العاشر الهجري عندما اختط القاضي العلامة الضمدي بلدة ضمد في موقعها الحالي، وبقي هذا الجامع إلى عام 1201هـ، العام الذي داهم فيه مدينة ضمد سيل كبير ملأ الوادي وأخذ معه هذا الجامع، فكان حدثاً كبيراً».

وتولى الإمامة فيه مجموعة من المشايخ والعلماء، حتى تم تعيين شيخنا الحازمي الذي يغادر المصلون صلاته وخطبته المرتجلة بذلك الأثر العميق في النفس؛ أثر الحجة والبرهان، أثر الكلمة الصادقة والتلاوة المؤثرة، والعودة إلى الله بوجه أجمل، وعمل أقرب إلى الكمال، ولا كامل إلا وجه الله.



وصدق الكاتب والصحفي الكبير محمود السعدني عندما قال: «الأصوات كالوجوه، لكل منها سحنة خاصة، هناك أصوات تنفر منها وأخرى تدخل السرور عليك، وأصوات ترتاح إليها، وأخرى تجعلك رغمًا عنك تعشقها وتحبها».

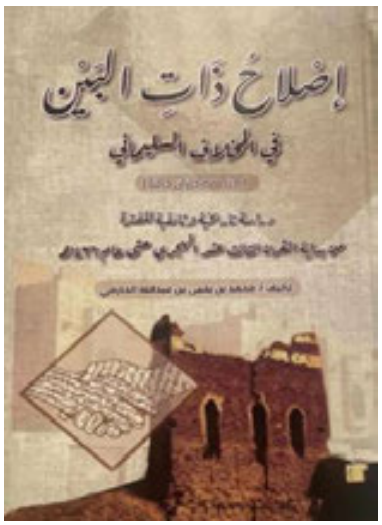
لهذا الجامع خصوصيته ومكانته الخاصة، بحكم أنه الجامع التاريخي

الكبير الذي يتوسط المحافظة في مركزها القديم، وهو المسجد الذي يصلي فيه المصلون من مختلف الجنسيات لقربه من السوق القديم الذي لا يزال بتلك الكثافة السكانية والتجارية. وإنني لسعيد جداً بمحض الصدفة الإلهية أن يقف خطيباً بليغاً كشيخنا الجليل على منبر هذا الجامع، بصوته ذي النبرة الغريبة التي تحرك الوجدان وتهز الشعور. وباعتقادي أن نبرته الغريبة الحزينة، المختلطة بشيء من الشجن والجمال في التلاوة، قد جاءت من أشياء كثيرة في حياة الشيخ وطفولته، من قربه من الناس ومعرفة مشاكلهم ومآسيهم؛ لأنه العارف بآلام من حوله وآمالهم لقربه منهم ولعمله التطوعي في لجان الإصلاح. وصوته أيضاً هو امتداد قديم لعلماء ضمد على مر التاريخ.

وقد تتبع شيخنا الجليل الإصلاح في المخلاف السليماني، وتجلى ذلك في كتابه الموسوعي المهم «إصلاح ذات البين في المخلاف السليماني»، الصادر هذا العام 2026، وهو كتاب يضم دراسة تاريخية وثائقية للفترة من بداية القرن الثالث عشر الهجري إلى عام 1436هـ. ويعد هذا الإصدار إضافة مهمة للتاريخ الاجتماعي لمنطقة جازان.

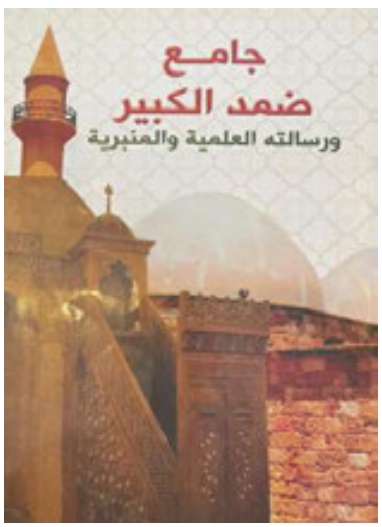
وفي اللحظة التي شعر فيها شيخنا أن الذاكرة قد تخون، وأننا بحاجة إلى توثيق نشأة التعليم ومراحله، أصدر عام 2022 كتاب «التعليم في ضمد في العهد السعودي»، من عام 1372هـ إلى عام 1442هـ.

وما يميز شيخنا الجليل، إلى جانب علمه وثقافته، ذلك التواضع الذي جعله قريباً من النسيج الاجتماعي بكل أطيافه وجنسياته، تراه بوجهه البشوش وابتسامته



المعهودة منذُ الفجر كما لو أنه يعلمنا أن أجمل ما في الإنسان أن تظل أبواب روحه مفتوحة للناس، مهما اتسعت معارفه وارتفعت مكانته.

وأذكر أن الشاعر والأديب إبراهيم زولي حدثني ذات مرة عن الشيخ بإعجاب بالغ، وذكر لي إنه في منتصف الثمانينيات، حينما كان طالباً في المرحلة المتوسطة، وقعت عيناه على اسم شيخنا في المجلة العربية، إذ كان الشيخ يكتب فيها وينشر مشاركاته، فأصابه شيء من الانبهار، وظل يسأل من حوله: هل تعرفون هذا الرجل؟ كان إبراهيم يروي لي الحكاية وكأنه يستعيد أسطورة



قديمة، ويقول إن حلمه في ذلك الوقت لم يكن أن يتعرف إلى الشيخ فحسب، بل أن يراه، ولو من مسافة بعيدة. كان يحلم أن يلتقي بالمثقفين والشعراء الذين يقرأ لهم، وأن يرى أولئك الذين لا يعرفهم إلا عبر صفحات المجلات والكتب، ولا شك أنه شعور الشغف والحب الذي يتحول إلى حياة كاملة.

ولطالما توقفت كثيرا عند هذه الحكاية منذُ سنوات؛ فثمة رجال يسبق حضورهم لقاءهم، وتصل أسماؤهم قبل أن تصل وجوههم. والشيخ واحد من أولئك الذين صنعوا أثرهم بهدوء، وتركوا في ذاكرة جيل كامل صورة لا تخلو من التواضع والمحبة.

ظل شيخنا وفياً لقراءته في مختلف الكتب، ولا سيما التراث والشعر، وكان للشاعر ابن هتيمل الضمدي أثر خاص في ذائقته واهتمامه. ولم تكن ثقافته معرفة عابرة أو ترفاً ذهنياً، إنما كانت علاقة طويلة مع الكتاب، ومع الأسئلة.

ولعل ما يستحق التأمل في تجربة الشيخ أنه كان قريباً من أجيال كثيرة بفكره، ولم يضق باختلاف أحد، ولم يجعل من قناعاته جداراً يعزله عن الآخرين. كان متنوراً لزمن أبعد من زمنه، يتقدم بخطوة على أسئلة عصره، ويؤمن بأن الثقافة لا تضيق بأحد، وأن الوعي لا ينبغي أن يكون بيتاً مغلقاً على أهله، إنما سماءً تتسع للجميع .

ولهذا وأكثر أدرك شيخنا الجليل مبكراً أن المنبر ليس الخيار الوحيد للوعي، وأن الكتابة مسؤولية مهمة تجاه ما يعرفه المثقف وما يتذكره، ليكتبه لجيل قادم قد لا يعرف عن كل هذا شيئاً .

مقال

ما الذي يبقى «الأمة» في ذاكرة التاريخ ؟



د. محمد عبدربه جعفر*

تغيب أمم وتبقى آثارها. وتزول دولة عن الخريطة بينما يظل شيء من علمها أو لغتها أو نظمها حاضرًا في حياة شعوب لم تعرفها. وفي المقابل تمضي قوى ملأت الدنيا صخبًا فلا يبقى من سلطانها إلا ما تحفظه الكتب. ومن أعجب ما في التاريخ أن ما حسبه الناس عظيمًا في زمانهم ليس بالضرورة ما تعيش به الأجيال من بعدهم.

فما الذي يجعل أمة جزءًا لا يمكن الاستغناء عنه في قصة الإنسان؟

ليس للتاريخ إرادة تختار، ولا ميزان واحد يحكم به على الأمم. فنحن لا نعرف الماضي إلا من خلال ما وصل إلينا من شواهده وما نطرحه عليه من أسئلة. وقد تناول الفيلسوف البريطاني روبن كولنجوود في كتابه (فكرة التاريخ) طبيعة المعرفة التاريخية، مؤكدًا دور المؤرخ في إعادة بناء أفكار الفاعلين في الماضي لفهم أفعالهم. وهذا يدعونا إلى التمييز بين ما وقع في التاريخ وما نعرفه عنه، وبين ما نعرفه وما نمنحه من قيمة. وتتغير مكانة الأمة في وعينا كلما ظهرت شواهد جديدة أو تبدلت الأسئلة التي نقرأ بها ماضيها.

غير أن ما يبقى في الذاكرة ليس بالضرورة ما يستحق الإعجاب. فقد حفظ التاريخ أسماء الغزاة كما حفظ أسماء العلماء، وامتدت آثار الحروب والاستعمار كما امتدت آثار المعرفة والمؤسسات. وقد تكون أمة عظيمة التأثير دون أن يكون تأثيرها جديرًا بالتقدير. وهنا ينبغي التمييز بين القدرة على تغيير مجرى التاريخ والجدارة بما يتركه ذلك التغيير في حياة الإنسان.

في بغداد قبل قرون كان عالم ينحني على مخطوط جاء من أرض بعيدة، يقرأ فيه معرفة لم يكتبها أهل لغته، ثم ينهض عنه بسؤال لم يطرحه صاحبه الأول. ذلك مشهد متخيل، لكنه يعبر عن حركة تاريخية شهدت انتقال علوم اليونان والهند وفارس إلى العالم الإسلامي، ثم تطورها بالنقد والبحث والإضافة. وانتقل جانب من هذا التراث إلى أوروبا فأسهم في مسارات علمية لاحقة. وفي هذه الرحلة تتجلى طبيعة المعرفة الإنسانية، فهي لا تولد مكتملة في حضارة واحدة، ولا تنتهي عند الحدود التي بلغها أصحابها الأوائل.

وتكشف هذه الرحلة أن الإسهام الحضاري لا يشترط أن تبدأ الأمة من حيث لم يبدأ أحد، فقد يكون في قدرتها على رؤية إمكان جديد فيما ورثته عن غيرها. ولا تنقص قيمة المعرفة حين تنتقل بين الأمم، وإنما تتسع بما يضيفه إليها من يتلقاها. فالحضارات لا تصنع أثرها بما تبتكره وحده، بل بما تحسن فهمه وتطويره وإتاحته لمن يأتي بعدها.

وتمنحنا الدراسات الاقتصادية وجهًا آخر لفهم هذا التراكم. فقد أظهرت دراسة لهيدالغو وهاوسمان نشرت عام 2009م أن التعقيد الاقتصادي، بما يعكسه من تنوع القدرات الإنتاجية والمعرفة المتراكمة، يرتبط بمستوى الدخل ويساعد في التنبؤ بالنمو اللاحق. ولا تقيس هذه النتائج قيمة الحضارات، لكنها تكشف أهمية ما يتكون داخل المجتمعات من قدرات مترابطة تتجاوز الموارد التي تمتلكها. فالمعرفة لا تتحول إلى أثر بمجرد وجودها، وإنما تحتاج إلى من يفهمها ويطورها ويجعلها قابلة للاستخدام والتجدد.

غير أن القدرة على إنتاج المزيد لا تجيب وحدها عن سؤال القيمة. فقد وسعت الاكتشافات العلمية والتقنيات الحديثة حدود ما يستطيع الإنسان فعله، لكنها أتاحت أيضًا وسائل غير مسبوقة للتدمير والمراقبة والإخضاع. وليس كل ما يصبح ممكنًا جديرًا بأن يتحقق. وهنا تتجاوز المسألة مقدار ما تنتجه الأمة إلى طبيعة الحياة التي تجعلها ممكنة.

وقد قدم الاقتصادي والفيلسوف أمارتيا سن في كتابه (التنمية حرية) تصورًا للتنمية يتجاوز زيادة الدخل والموارد إلى توسيع الحريات الفعلية التي تمكن الإنسان من اختيار الحياة التي لديه أسباب لتقديرها. ومن هذا المنظور يمكن النظر إلى الإسهام الحضاري بوصفه أكثر من إضافة إلى أدوات الإنسان، إذ تتصل قيمته بما يفتحه أمامه من فرص للمعرفة والاختيار والعيش الكريم.

ولم تكن التحولات الكبرى في التاريخ مجرد انتصارات لأدوات جديدة. فقد غيرت الآلة البخارية أنماط الإنتاج والعمران، وأعادت الشبكات الرقمية تشكيل علاقات المعرفة والعمل والاتصال. واليوم يفتح الذكاء الاصطناعي إمكانات واسعة في الطب والتعليم والبحث العلمي، ويثير في الوقت نفسه أسئلة عن العدالة والخصوصية وتوزيع القوة. ولا تكمن الإضافة الأعمق بالضرورة في امتلاك الأداة الأكثر تقدمًا، وإنما في اكتشاف ما تتيحه للإنسان من حياة أفضل، وما ينبغي الحيلولة دون استخدامها فيه.

ولا تبدأ الإضافة الكبرى لأمة دائمًا من امتلاك إجابة أفضل عن سؤال يعرفه الجميع، فقد تنشأ من قدرتها على اكتشاف سؤال لم يجد مكانه بعد في اهتمامات العالم. فالتجارب المختلفة تكشف حاجات مختلفة، وما يبدو شأنًا محليًا محدودًا قد يحمل معرفة يحتاج إليها الإنسان في مكان آخر. وتكمن الريادة أحيانًا في كشف مشكلة لم ينتبه إليها الآخرون، أو في إعادة النظر في أمر اعتاد الناس قبوله حتى غاب عن أسئلتهم. فالمعرفة تتقدم بالإجابات، لكنها تتجدد أيضًا بالأسئلة التي تغير ما نبحث عنه.

غير أن قيمة المنجز لا تعفيه من المراجعة، فالأجيال تعيد تفسير ما ورثته، وتكتشف في بعض ما عدّه السابقون تقدمًا أضرارًا لم يدركوها. ومن أعظم ما تورثه أمة لأبنائها ألا تجعل إنجازاتها حدودًا لتفكيرهم، وأن تمنحهم القدرة على مساءلة ما ورثوه وتصحيحه وتجاوزه. فالحضارة التي لا تترك للمستقبل حق الاختلاف معها قد تحول عظمتها الماضية إلى قيد على إمكاناته.

وحين يكتب المؤرخون قصة عصرنا بعد قرون، سيتوقفون عند أمم امتلكت أدواته وأخرى أحسنت توجيهها، وعند معارف وسعت حياة الإنسان وأخرى ضيقت عليه. وستتغير أحكامهم عما نعده اليوم عظيمًا، كما تغيرت أحكامنا على كثير مما ورثناه من التاريخ.

ولعل السؤال الأجدر بالتأمل ليس أي الأمم سيبقى اسمها، وإنما ما الذي سيبقى للإنسان من أثرها، وما إذا كانت قد جعلته أقدر على المعرفة والاختيار وتجاوز ما كان يظنه مستحيلًا.

وربما كانت أعظم إضافة تقدمها أمة للتاريخ هي تلك التي يستغني العالم عن نسبتها إليها؛ لأنه أصبح يعيش بها.

*جامعة جازان

«ريّان الزكري» والتربية القرائية.



يوسف أحمد الحسن

@yousefalhasan

من والده الكاتب والقارئ المميز، إلى والدته، إلى مَدرَسَتِه وعدد من مدرسيه، ومنهم المعلم مروان الحواس، إلى مكتبة والده ومكتبة المدرسة، كل هؤلاء ساهموا في توجيه شخصية ريّان الزكري الطالب السعودي - من الأحساء - ذي الاثني عشر عامًا، الذي فاز بالمركز الثالث في مسابقة تحدي القراءة العربي في دورتها العاشرة.

فهذا الطالب الصغير في عمره الكبير في طموحه تمكن من قراءة أكثر من 260 كتابًا في مختلف العلوم والمجالات. وحينما سألتُه في مجلس والده الأستاذ أديب - وهو مؤلف لعدد من الكتب - عن نوعية الكتب التي يقرؤها، أجابني أنها من تخصصات ومستويات شتى، أما عن مدى استيعابه لما يقرأ فأخبرني بأنه غالبًا ما يستوعب أكثر ما يقرؤه، وما يؤكد ذلك له هو نقاشه حولها مع والديه، اللذين يزودانه بمعلومات أكثر عنها، وأحياناً مع بعض معلميه في المدرسة.

وقد لمحت فيه حين جلست معه ذكاءً واضحًا، وسرعة بديهة في الرد على تساؤلاتي حول علاقته بالقراءة، وكان مما قاله أن علاقته بها ابتدأت في سن مبكرة، حين كان يطالع كتب مكتبة والده ويطالبه بشراء كتب إضافية تناسبه، مضيفًا أن الحديث الذي يدور في البيت غالبه باللغة الفصحى، سواء مع والديه أو إخوانه، وهو ما عزز قدراته الخطابية الملحوظة.

ولا يغلق والد ريّان باب مكتبته الثرية دون أفراد أسرته، حيث يمكن للجميع ارتيادها والبقاء فيها متى أرادوا، وهو ما كان البذرة التي كانت ثمرتها أن يتقدم ابنه على نحو مليوني متسابق داخل المملكة (من أكثر من 19 ألف مدرسة)، وأربعين مليون متسابق عربي (من عشرين دولة) في هذه المسابقة المهمة.

وتشي الشجاعة النفسية لدى ريّان، والقدرة على ارتجال الموضوع الذي طلب منه على خشبة مسرح المسابقة- وكان عن شخصية الرسول ﷺ-، بخلفية واسعة لديه في مختلف المجالات؛ فقد سألتُه متى أُخبر أنه سوف يتحدث عن هذا الموضوع، فأجاب بأنهم أخبروهم بذلك قبل الصعود على المنصة بثوان فقط. فهذا الانطلاق في الحديث عن الرسول ﷺ يُخبرنا عن جهود استثنائية بذلها والداه مدة طويلة، لتربيته التربية الصحيحة، وتغذيته معرفيًا حتى يستطيع أن يشق طريقه في الحياة بطريقة مثلى، وينطلق نحو أهدافه بجدارة واقتدار؛ ليس فقط من أجل الفوز بمسابقة، بل لكي يتبوأ مكانة مرموقة في سباق الحياة.

ويُعد فوز ريّان بهذا المركز مناسبة لكي يستلهم الأطفال والشباب منه التوجه والاندفاع نحو القراءة التي تصنع إنسانًا مبدعًا يستثمر مدخلاتها، محولًا إياها إلى مخرجات خلّاقة تغير من الواقع إلى ما هو أفضل وأكثر إنتاجية.

ولربما فاق ما قرأه ريان عدد ما قرأه كثير من كبار السن الذين لم يقرأ بعضهم كتابًا واحدًا غير الكتب المدرسية. ولم يتأتَّ هذا العدد الكبير من فراغ، بل كان نتيجة توجيه عائلي سديد له واستثمار عميق فيه، تحدث عنه ابن مدينته الدكتور حجي الزويد، في مقال له تحت عنوان (ريان الزكري.. شغف القراءة ومجد الوطن)، فقال: إن الاستثمار الحقيقي في الأبناء لا يقتصر على توفير احتياجاتهم المادية، بل يمتد إلى بناء عقولهم، وتنمية مواهبهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، ومساعدتهم على اكتشاف قدراتهم الكامنة، مضيفًا أن الأسرة تمثل الركيزة الأولى في غرس حب القراءة لدى الأطفال، فالطفل الذي ينشأ في بيئة تحترم الكتاب، وتشجع الحوار، وتحتفي بالمعرفة، يكون أكثر استعدادًا لتكوين علاقة إيجابية مع القراءة منذ سنواته المبكرة.

وختاماً فإن برنامج تحدي القراءة العربي، إلى جانب مهرجان أقرأ الذي يقيمه مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي (إثراء)، والبرامج الأخرى التي تحفل بها بلادنا، لهي كفيلة بأن تحفز في جيل الشباب الالتصاق بالقراءة وبعالم الكتب، في زمن يقاس فيه التقدم بهذه الأمور التي تدفع بالشباب خطوات واسعة في الدروب المتشعبة للتقدم والنماء.

مقال

النقد في المشهد المعاصر..

حلول مقترحة لكسر دائرة(الشللية).

غاليه بنت محمد المطيري
@1428_mona

تشعبت بي الأفكار وتشابكت الطرق؛ كنت أبحث عن موضوع فريد وفكرة متقدة متميزة، كما يبحث المتأمل في سماء مكتظة بالنجوم عن نجمة لامعة آسرة تجذب بصره ببريقها الفريد عن بقية النجوم. حينها برزت تلك الفكرة المتقدة تحثني على الكتابة، وهي تعدني بالتميز والانفراد. رغم أن محور تلك الفكرة شهد مدّاً وجزراً على مدار عصور وقرون، إلا أنها فكرة تغوص في العمق، تكشف عن تداخل النفس البشرية ونزواتها في النقد الأدبي، وكيف يمكن أن نحكم على نجاح النقد وناقد على حد سواء دون التأثر بالرغبات والأهواء، ودون أن تتأثر الرواية النقدية الجادة بما يعتمر في نفس الناقد من آراء مسبقة، وكيف نخرج بنقد موضوعي يغني الساحة الأدبية والثقافية.

ما هو النقد؟

في اللّغة، النقد هو التمييز والاختبار والفحص لمعرفة الجيد من الرديء، أو الصحيح من الزائف. ومصدره اللغوي هو الفعل (نَقَدَ)، على وزن (فَعَلَ)، وجذره الثلاثي: (ن ق د). أصل الكلمة ارتبط بتمييز الدراهم والنقود، أي إخراج الزائف منها والاحتفاظ بالجيد؛ فالناقد لغويّاً هو من يفحص الشيء ويختبره ليميز صلاحه من فساده (لسان العرب، ج14). لهذا كان النقد الأدبي هو الذي يعنى بالتمييز بين النص الأدبي وغيره من الكلام المرسل، وبين ضروب الأدب وصنوفه، وكذلك النقد الثقافي الذي يرسم حدود الثقافة في المجتمع وأشكالها و قوالبها المتشعبة.

فهل يتقاطع النقد الثقافي والأدبي؟

علاقة الأدب بالثقافة علاقة الجزء بالكلّ؛ فالأدب بما يحتويه من قوالب إبداعية يُعتبر جزءاً من ثقافة المجتمع وموروثه، والثقافة بمجملها تعني حضارة أُمّة ما، وكلّما زاد الإنتاج الأدبي لمجتمع ما، كلّما زادت تأصل ثقافته وزادت قوة حضارته وتقدمه. لهذا يُناط بالنقد الأدبي والثقافي دور هام في تأصيل الإنتاج الإنساني، وإليه أيضاً يُعزى بقاء الأمم واضمحلالها، وكل هذا يستوجب أن يتصف الناقد بالموضوعية والحيادية والشفافية.

فهل يعني ذلك أن النقد الجاد لابد أن يكون قاسياً؟

يظن البعض عند الحديث عن وجوب أن يكون النقد موضوعياً أنه لابد أن يتضمن الذم والعبارات القاسية، وهذا لا ينصف معنى موضوعية النقد. النقد الموضوعي هو الذي ينتقد النصوص الأدبية نقداً قائماً على منهج علمي دقيق دون النظر إلى قائل هذا النص أو مكانته الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو خلفيته الثقافية. كما أن الناقد لابد أن يتميز بتحييد أهوائه ومدرسته الفكرية فيما يتناوله من نصوص أدبية أو ظواهر ثقافية. وهذا يقودنا إلى طرح هذا السؤال المصيري: هل أصبحت «الشللية» في هذا العصر هي الصورة الغالبة على النقاد، وهل هذا يعني أن النقد فقد طهارته ورونقه ومصداقيته، وما أثر ذلك على بقاء الحضارات الإنسانية؟

إجابة هذه التساؤلات لابد أن تعتمد على دراسات مسحية حول ذلك، ولكن للأسف عند البحث لم تصادفنا دراسات في هذا المجال. هذا الأمر جعلنا نعتمد على النظرة القائمة في مقالات بعض المفكرين؛ منها على سبيل المثال لا الحصر ما أشار إليه يوسف نوفل في مجلة الدستور المصرية بقوله: «النقد الأدبي في مصر في أزمة بسبب الشللية والتعصب والعاطفية واستغلال منصب الناقد ونفوذه في توجيه النقد حسب الأهواء الذاتية المحضة وليس حسب الكفاءة» (2022). ولم يختلف معه محمد المرزوقي الذي ذكر في صحيفة الجزيرة السعودية رأيه بقوله: «تتضح خارطة الكثير مما ينشر في هذا السياق الذي تحل فيه لغة الصداقة الاجتماعية (الشللية) بديلاً للغة النقد، والعواطف الوجدانية بدلاً من مهارات التفكير الناقد؛ لتكون الصحبة مدخلًا للكتابة، والنفعية الاجتماعية منهجاً، والأقربون أولى بالمعروف الثقافي مقصداً» (2020). ولم ينفِ سليمان الفليّح هذا الأمر رغم اعتراضه عليه؛ حيث قال في صحيفة عكاظ السعودية: «هناك اتهام كلاسيكي يوجهه عدد لا بأس به من الشعراء دائماً للفاعلين في الحركة الشعرية والثقافية، يتلخص في فكرة «الشللية» التي أتحفظ تجاهها شخصياً» (2022). كما أن حسن سالم هندي في مجلة العلوم الإنسانية لجامعة بغداد في عددها (219) تناول نوعاً آخر من تأثر الناقد وانحيازيته لما هو غربي بقوله: «النقد العربي يعاني من أزمة تتعلق بهويته وانتمائه»، ومنها: «تأثير المذاهب والمناهج النقدية الوافدة التي لا تتفق في منطلقاتها وتصوراتها وأفكارها مع طبيعة الأدب العربي وخصوصيته».

فما هي الحلول المقترحة؟

بعد كل هذا، يظهر الأمر جلياً بأن

النقد الأدبـــي والثقافي يتعرضان لمشـــكلة عويصة لابد من حلها بالطرق التالية:

1. تجريد النقد من الشـــخوص: لابد أن يوجه النقد للنص الأدبي -ســـواء كان شعراً أو نثراً، من روايـــة أو قصة- دون النظر إلى كاتب ذلك النص الأدبي.

2. الموضوعيـــة وتعدد المناهـــج: عندما يريد الناقد أن ينقد نصاً شعرياً أو نثرياً وهو يفضل مدرســـة أو منهجاً معيناً، فعليه ألا يكتفي بما يفضل، بل عليه عرض رؤية المناهج الأخرى في النص نفسه.

3. فصل الأمسيات النقدية عن الاحتفائية: عند إقامة أمسية لشاعر أو أديب ما، لابد من توضيح ما إذا كانت الأمســـية أو الندوة أو اللقاء دراسة نقدية لشعر وأدب ذلك الشاعر أو الأديب أم هي ندوة لاستعراض سيرته ومنجزاته؛ حتى يكون المتلقي والقارئ للمشهد الثقافي على علم تام بما يتابع. وعندما يتم تحديد الغرض من تلك الأمسية بأنه نقدي، لابد أن تتميز بالتركيز على النص الأدبي والشـــعري، وعدم الإسهاب في مدح شخصية الشاعر أو الأديب، وتقديم النقد الجاد لما إذا كان النص جيداً أم رديئاً، حتى وإن كانت تلك الشـــخصية ذات مكانة اجتماعية أو دينية أو سياسية مرموقة.

4. تحديد معايير اختيار النصوص: توضيح سبب اختيار النص للدراسة النقدية: هل كان بسبب نسب المشاهدات، أو عدد المبيعات، أو شهرة الكاتب، أو لثقل إشكالية النص وجودته؟ وعلى الناقد أن يوضح ويشـــرح أثر تلك الأسباب على الساحة الثقافية والأدبية. هذه الأمور من وجهة نظري ســـتحفظ للنقد مكانته، وتجعله يعطي أصـــدق الأحكام، وتحل كثيراً من الإشـــكاليات في المشـــهد الثقافي؛ مثل: هل النص الجيد يحتاج إلـــى دعاية أم أن جودتـــه تكفي؟ وما دور المشـــاهير وصناعة المحتوى والمثقف في المشهد الثقافي؟

ختاماً:

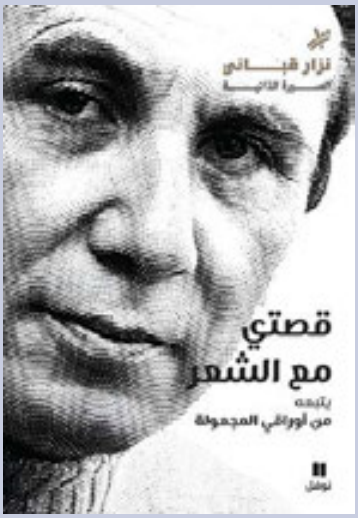
النقد يعني دراســـة متزنة للنصوص وإظهار الجيد من الرديء بهدف التطوير والتحســـين، وهو لا يعنـــي التجريـــح أو الانتقاص بهدف الاختلاف والانتقـــام. وهو لبقـــاء الحضارات وتطورها بمثابة الرأس للجسد، فلا بقاء لحضارة ما دون نقد جيد متقن، كما أنه لا بقاء لجســـدٍ قُطع رأسه! وإن حال الفوضى التي يتركها غياب النقد والناقد لأريب يصفها هذا البيت:

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم
ولا ســـراةَ إذا جُـهّـالُـهـم ســـادُوا
تُلقى الأمورُ بأهل الرأي ما صلحَتْ
فـــإن تـــولّـــوا فـــبـــالأشـــرار تـــنـــقـــادُ.

صدر حديثاً

كتاب جديد عن مسيرة الشاعر نزار قباني الكاملة.

اليمامة ــ خاص



صدرت حديثـــاً عن دار نوفل / هاشيت أنطوان سيرة الشاعر الكبير نزار قباني، وهي تجمع كتابيه الســـيريين الســـابقين «قصتي مع الشعر» و«من أوراقي المجهولة». ويعدّ هذا الكتـــاب، الذي يقع فـــي 336 صفحة يتبعها 24 صفحة مـــن الصور، محاولـــة من الدار لحفظ ذاكرة شـــاعر لم يَسَـــعْ شعرَه وحياتَه يومًا كتاب.

في العام 1970، نشـــر قباني ســـيرته الذاتية «قصتي مع الشـــعر»، وكان يعتقد أنه قال كل مـــا يمكن أن يقال عن رحلته الشعرية.

لكنه بعد ثلاثين عامًا سيقول: «عندما كتبتُ سيرتي الذاتيّة المطوَّلـــة، كنتُ مقتنعًا بأنّ ما رويتُه عن رحلتي الشـــعريّة كان نهاية الكلام (...) لكنّني بعد مرور ربع قرنٍ على صدور «قصّتي مع الشعر» بدأتُ أُحسُّ بأنّ الشاعر لا يمكنه أن يقفل صنبور الماء بشـــكلٍ اعتباطيٍّ ويمنع الذاكرة من التدفّق». هكذا، نشر ســـيرته الذاتية الثانية، «من أوراقي المجهولة»، في العام 2000.

اليوم، بعد مرور 54 عامًا على صدور سيرته الأولى، و24 على الثانية، تتوفر لجمهوره ومحبّيه الســـيرتين في كتابٍ واحد، يضمّ مسيرته الكاملة، ليكون مرجعَ الباحث، لشاعرٍ لم يَسَعْ شعرَه وحياتَه يومًا كتاب.

ويتكمن الكتاب أيضًا صورًا له بالألوان من أرشيف العائلة.

وجه آخر



أمين الحباره

@Ameentoon

مواهب

كاتبة شابة من الزلفي تفوز بذهبية الرواية بمسابقة دول الخليج العربي بالشارقة..

كادي أحمد المسفر: الموهبة تبدأ من داخل الإنسان وتكبر بالدعم والتشجيع .

حاورها :
عبدالرحمن الخضيري

البحث عن الفكرة أو المعنى لما نقوم به، هو الخيط الخفي الذي جمع بين الروائية السعودية الشابة كادي بنت أحمد المسفر، وبطل روايتها «سالم»، وهو يبحث عن معنى لحياته أو فكرة لخلاصه.

في حديثها لـ اليمامة تأسرني كادي ، وتأخذني بخيالها إلى البدايات وتفاصيل طفولية رائعة، تسير بك إلى مجدٍ كان حلما ، ولم يكن هدفاً أن تصبح حديث الصحافة والوكالات والناس في أول إطلالة إبداعية لها. رغم ارتباك البدايات مضت كادي البنت الطموحة الواثقة، تروي لي الخطوط الشفيفة لروايتها الأولى، وكيف تتطلع بكل حب وشغف إلى مسيرتها القادمة ككاتبة روائية، لتنضم إلى عقد اللؤلؤ للمبدعات السعوديات.

هنا حوار خاص مع الكاتبة الشابة كادي بنت أحمد المسفر، من محافظة الزلفي، الفائزة مؤخرًا بذهبية الرواية في مسابقة المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج العربي، في دورتها الثانية ٢٠٢٦م بالشارقة.

من الخاطرة إلى الرواية

تقول كادي طوال عمري وأنا أكتب قصصا قصيرة وخواطر، ولم أفكر يومًا في كتابة رواية. وفي الأسبوع الأول كنت ضائعة تمامًا، تقول ولا تعرف كيف تبدأ، سألت روائية أن تعلمها، وصارت كلما كتبت شيئًا أرسلته إليها، وشيئًا فشيئًا كثرت الصفحات، وصار لديها فصل أول وثانٍ، وهناك شعرت بأنها فعلًا تكتب رواية.

شرارة لم تكن موجودة

وعن الشرارة الأولى لروايتها الفائزة، تكشف كادي أن البداية كانت بلا فكرة : « لم تكن هناك شرارة .صدقا لم تكن لدي أي فكرة للرواية « ، وهذا ما جعلها تفكر في سالم، بطل الرواية، فهو مثلها بلا فكرة، ضائع. شعرت بأنها وهو شيء واحد، هي تبحث عن فكرة للرواية، وهو يبحث عن فكرة لحياته، فقررت أن تكتب عن هذا الضياع، عن إنسان لا يملك فكرة، ومن هنا بدأت.



شهر واحد إلى الذهب

في شهر واحد فقط أكملت الرحلة من الفكرة الأولى حتى السطر الأخير تقول كادي بفخر « هذا الشيء أنا فخورة به « . فأول رواية في حياتها كتبتها في شهر واحد، مع الدراسة والاختبارات، وكانت تكتب في كل وقت. حيث ترى أن أول رواية لها تفوز بذهبية الخليج إنجاز كبير لها، أثبتت به لنفسها أنها قادرة إذا ضغطت على نفسها.

الفضل بعد الله

وعن الفضل في هذا النجاح تؤكد أن أسرتها ومدرستها، كانا السند الأول تقول كادي « أسرتي كانت مصدر التشجيع والدعم «. أما مدرستها فكانت بيئة ساعدتها على إبراز قدراتها وإظهار ما تمتلكه من مواهب. وهي تؤمن أن الموهبة تبدأ من داخل الإنسان، لكنها تكبر بالدعم والتشجيع، لذلك هي ممتنة لكل من كان جزءًا من رحلتها، فهذا النجاح ليس نجاحها وحدها، بل هو ثمرة دعم ومحبة من حولها.

الشارقة . . تحول كامل

وتمثل جائزة الشارقة لها تحولًا كاملًا وكبيرًا. فقد دخلت المسابقة وهي تقول إنها لا تعرف كتابة الروايات، وأنها تحب القصص القصيرة فقط، فكيف ستكتب رواية كاملة؟ كانت تكتب وهي متوترة، وفي كل يوم تقول إنها لن تكمل . والجائزة بالنسبة لها دليل على أن البداية المتعثرة تستطيع أن تصل إلى الذهب إذا استمر صاحبها. وقد منحتها إحساسًا بأن صوتها ككاتبة من الزلفي مسموع، ويستطيع أن يصل إلى الجميع، وهذا وحده إنجاز كبير بالنسبة لها.

الرواية القادمة.. بحب

وعن خطواتها القادمة تقول كادي : بدأت التفكير في روايتي القادمة، لكن بمشاعر مختلفة جدًا. فروايتي الأولى كتبتها تحت ضغط، وكانت سباقًا مع الوقت. أما روايتي القادمة فأريد أن أكتبها عن حب وشغف حقيقي، وأن تأخذ وقتها الحقيقي، حتى تخرج مساحة إبداعها كاملة، وأطبق كل ما تعلمته في عمل أرقى وأعمق.

رسالتها للطالبات

وتختم رسالتها لكل طالبة على مقاعد الدراسة تملك موهبة وتخشى أن تبدأ: لا تنتظري أن تكوني جاهزة لكي تبدئي، عليك أن تتعلمي وأنتِ في الطريق. الموهبة موجودة لديك، لكنها تحتاج جرأة البداية. إسألي وابحثي وتعلمي واقرئي، وستُفتح لكِ كل الأبواب.

قيـود تُفاحـة.



فيصل السالم

@faisalalsalem12

منـذ أن اختارنـي مـن بيـن كل أقراني في السـادس من نوفمبر لعام جائحـة كورونا، ووضـع وردًا علـى رأسـي، عَلمـت أن فتـرة مهـادي انتهـت، وأنّـي وجدت مالِكـي الذي ظـلّ ينتظرني فـي طوابير أقرانـي الأذكياء الجُـدد، فعلى الرغـم من أنـه كاد أن يختار قريني الأسود، حين قال لبائع الأذكياء الجُدد: "الأسود ملك الألوان ولكن"، بدأ حسدي على قريني يزداد، ولكنّـه حينما ربَت على كتفي، وقلّبني ذات اليمين وذات الشمال، وبدأ ينظر إلى عينيّ وجَمال زُرقتي فقد اختارني، حينها أيقنـت أني خادمـه. لم أكن أعتمـد إلا على ذكائي الخارق، لم أكـن أحمل ذاكرة مُكتملة عنه، وكل ما امتلكته ثلاثة صور التَقَطها عند البائـع بعد مـا أخذني صغيـرًا. كان يضعني كثيـرًا بين يديه، حتى أثنـاء نومه، فكثيرًا ما كان يغلبـه النوم وأنا بين يديه، أنقل له كل الأخبار، وأرشده عن منبّه استيقاظه، وأُذكّره في الصـلاة، فكلّ صلاة أرفع الأذان لتذكيره، وحينمـا يذهب لأي مكان خارج الحي أرشـده لموقـع المكان بدقّة، علِمت أن اسـمه عزّام منـذ أن منحنـي كثيرًا مـن معلوماتـه التي يظهرهـا للآخرين والتي لم تظهر ولن!. كان كثيرًا ما يخشى عليّ من أن تصورني الكاميرا وأنـا بيـده وهـو يسـتقل سـيارته لعملـه، فـزاد تعلّقي به، وأيقنت أنه يخشـى من أن يشتريني أحد المهووسـين بالأذكياء الجُدد، كان كثيـرًا ما يُثني عليّ حين يشـتد الجدال مدافعًـا عـن بني جنسـي وعنّـي بالأخص، فأنتشي بهذا الإطراء، وألتقط له أجمل الصوّر وأضـع بين يديـه اللقطة المناسـبة وكذلك الحـدّة والإضاءة وأضع لـه مربّعًا أصفرًا لكي ينقـر، وذلك لأنه لا يُجيد حتى التصوير فضلًا عـن أن يجيد الإملاء، فأضـع بين يديه ثلاثة كلمـات ويختار أنسـبها لمجموعة عمله في الواتسـاب، وكان كثيرًا ما يمسـح على عينَي ويُحملق فخورًا بها. عشـت معه كثيرًا أنجزت جُـلّ مهامه، ألبسـني أغلفة كثيـرة، ونزعها عنّي مرات أخرى، أدخلني أرقى المطاعم لكي ألتقط صورًا. مرة أخذني لمطعم شـعبي رثّ لم أجد أبنـاء جلدتي فيه، كنـت أفهمه أكثر من نفسـه، وكنت أشـفق عليه فـي مواضع أخرى، كنت أقوده لكثير من الأشـياء، وأعزله عمّا حوله، وكان يفوقني في اتخاذ القرار.

في السـادس من نوفمبر وقـد أكملت معه سـتة أعوام، لـم أتخاذل معـه خلالها إلا في مواقف قليلة لا تُذكر، في هذا اليوم الخريفي أخبرني أنه ينوي الذهاب لأحد المتاجر لزيارة أبناء جنسـي مـن الأجيال الحديثـة لأرى بأمّ عيني كيـف أشـكالها، وألوانها، وسـرعتها، فتَحسـس التفاحة المقضومـة على ظهري، ونقـل كلّ معلوماته لأحد أبنـاء جلدتي من الجيل الثامن عشر المُكتسي لونه بلون الأحمر الخمري، وأحكم قبضته عليّ، وكشف سوأتي، ووضعني بين أبناء عمومتي مختلفي الألوان تعلوهـا لوحـة "أجهزة مُسـتعملة"، بالرغم من ذكائي الوقّاد تأخّـرت في فهم الحقيقة المُـرّة، وأخيرًا قلت للأحمر الخمـري: كبّله ما استطعت، ثم قبل أن يُطفئني وُيعلن رحيله، قال لي:

-"اللّه يقلعك يا البطيء!".



---

* كاتـب وقـاص ومدوّن سـعودي، نُشـر لـه بعض النصـوص والقصص في منصّـات مُختلفة. عُرف عنه اهتمامه في المشاركة بمشاريع الفنون السردية قارئًا وكاتبًـا. ملتحق ببرامـج ثقافية عدّة في السـعودية، مشـارك في مناقشـة الأعمال السـردية السـعودية والعالمية.

مقال

الفضاء الرقمي والنظام الثقافي للمجتمعات.



ميثم الخزرجي

إن الثورة المعلوماتية المهولة التي بان أثرها في هذا الأوان، استطاعت أن تهب لنا جملة من الاختصارات العملية في كيفية التعاطي مع مجريات العصر من حيث الدراسة وتسهيل التواصل بين الأشخاص والتعاملات التجارية فضلا عن الاطلاع على المباني المعرفية على اختلاف مساراتها الابستمولوجية وما أختص من العلوم التطبيقية والإنسانية، وهنا من الممكن أن نستوضح مسألة غاية بالأهمية، هل أن محتوى الفضاء الرقمي بما يتضمنه من برامج ذكية وتقانات الكترونية بمعالجاتها العالية الدقة، كونت منظومة مجتمعية لخصت لنا الحياة وأوجزت لنا كثيرا من المفاهيم؟ وهل حاولت أن تقترح لنا عالما موازيا للكائن البشري عن طريق الروبوت مثلا وإيكاله بعضا من المهام المشابهة لمهام الإنسان بل تفوقه في أحايين معينة من حيث السرعة والجاهزية الإنتاجية ودقة التصويب؟ ولو استقرأنا البوصلة ثقافيا بعد الحمولة التكنولوجية والتقنية التي بُشر بها منذ منتصف الأربعينات وصناعة الحاسوب الالكتروني إلى يومنا هذا، لوجدنا أننا إزاء عملية خلق لكائن بشري مغاير على مستوى الطباع والخصال البشرية البيولوجية والتفكير الذي يؤهله من التعامل مع أقرانه بل حتى عبر نظرته لبعض من القضايا الجوهرية التي تعمّد رؤيته للحياة، وإذا أردنا أن نستقرئ معطيات إنسان هذا العالم لتمخضت لنا جملة من الأسئلة التي تحاكي منظومته الثقافية، هل أن الوسائل التقانية الحديثة بددت التعريفات المطلقة بصورة نهائية وتمكنت من صياغة المجتمعات على وفق ما تنتجه؟ وهنا إشارة إلى القضايا التي يقوم عليها المجتمع كالحتمي والسائد والمتوارث بغض النظر عن البيئة التي تشكّل النسيج العام لهذه المجتمعات؟ وهل تحوّل العالم إلى شفرة برمجية لها مستحدثاتها؟ ولعل السؤال الأكثر أهمية في هذا المدار، هل أصبح الإنسان نفسه عبارة مسار برمجي تبعا وحالة الاتحاد بينه وبين التقانات الحديثة التي أذكت سطوتها عليه؟ وهل يدرك تماما أن مستقبله يُقاد عبر فضاء رقمي بما له من محركات بحثية وعقول برمجية ليعتمد عليها اعتماداً كليا عن طريق اقتناء المعلومة فضلا عن كثرة المنصات التي تقترحها المواقع العلمية والمعرفية عن بعد؟ وهنا من المفترض أن نضيء قدر الكائن البشري في هذا الزمن الرقمي الجديد وبيان معناه من الناحية القيمة فضلا عن تعيين الاعتبارات الوجودية التي تخصّه في حال لو امتد -وأعني الفضاء الرقمي- على نحو واسع وأصبح يتدخل في القرارات المصيرية التي تدير شأنه لتمثل خطرا على البنية الأخلاقية والفكرية الخاصة به، ولعلي أجد أن من ضمن المهيمنات المهمة التي تؤثر تأثيرا واضحا على فاعلية العالم ونشاطه السياسي والاقتصادي هي التقانات الرقمية وما تضمه من برامج تواصل اجتماعي والتي نشهد عن طريقها اليوم حراكا شعبويا واسعا وقد تضطر الحكومات إلى تعطيل شبكة الانترنت منعا لتحريض الرأي الجماهيري، ولو استقرأنا هذا التعطيل من جانب أمني لوجدنا أن برامج التواصل الاجتماعي صارت جزءا مهما في التعبئة الجماهيرية الفاعلة والتي من الصعب السيطرة عليها، وهذ ما مكّن المنظومة الثقافية للمجتمعات من أن تتعكز على هذه البرامج في تشكيل الوعي الجمعي وبيان صورته عن طريق الإثارة والتحشيد.

حقيقة الأمر، أن برامج التواصل الاجتماعي على وجه التحديد تمثل وحدة نظام مجتمعي جديد له إمكانيته في كيفية كشف هاجس السواد الأعظم عن طريق المنشور أو التعليق وما يتبين ذلك من إعطاء إشارة بالرفض أو القبول مما يُهيئ افتضاحا ثقافيا في بيان صورة المجتمع على المستوى الفكري والمعرفي، ولو استقرأنا التاريخ التكنولوجي على وجه التحديد لوجدنا أن شبكة الانترنت هدفها تشكيل منظومة تجعل العالم آصرة متكاملة بل مكشوفة أيضا، وهذه هي وظيفتها منذ تأسيسها باسم ارباانت (ARPANET) عام 1969 التي أنشئت من قبل وزارة الدفاع الأمريكية غايتها خلق نظام اتصالي عام يربط المؤسسات البحثية والعسكرية في حال حدوث هجمات، وقد أوقفت هذه الشبكة عام 1990 لتحل محلها شبكة الأنترنت التي أخذت سعة هائلة عن طريق مهامها العظيمة، ولعلنا نجد أن ماهية التطور والاستحداث موجودة في جميع الفروع العلمية على اختلاف مساراتها، ولو توقفنا عند قانون غوردون مور أحد مؤسسي انتل عام 1965 الذي قال أن عدد الترانزستورات على الشريحة سوف يتضاعف كل عامين مع

الحفاظ على التكلفة أو تزيد قليلا غير أن السرعة وزيادة الانتاجية تكبر بصورة فائقة، وقد لاحظنا في آخر عشرين سنة ، أن المعالجات الدقيقة على الرغم من صغر حجمها فإنها تؤدي غرضا كبيرا في كيفية أداء المهام، ولو أشرنا إلى الذواكر التي تخزن البيانات فإن حجمها قل وكبرت مساحة تخزينها وتضاءلت تكلفتها أيضا، وهنا من الممكن أن نقول أن فاعلية الأجهزة التقانية على اختلاف وحداتها البرمجية في تطور دائم، بل أن العقل الذكي المعالج الذي يقوم بأداء الوظيفة له القابلية على ان يستحدث خوارزميته بصورة دائمة تبعا لشفرته البرمجية.

واقعا، أن الوعي الجمعي للكائن البشري في هذا الأوان تبلور بصورة مباشرة عن طريق التهيئة المعلوماتية الجديدة، بما تضمه من برامج ذكية أو وسائل تواصل اجتماعي أو تقانات تتضمن عملا وظيفيا معينا، ومما لا شك فيه، أن هوية الإنسان الحالي في جزء كبير منها هي هوية رقمية، وقد زاد من بيان ذلك ظهور الذكاء الاصطناعي الذي أصبح يشكّل فضاء لوحده والاتكاء عليه في كيفية اعطاء النتائج على الرغم من تباين هذه النتائج، لكني أنظر إلى السرعة في إدلاء المعلومة وبوقت قصير جدا، لتكوّن جميع هذه الابتكارات فضاء رقميا يحيط بالإنسان ويمنح له سمة ثقافية مختلفة، وهنا نؤكد هذا الطرح عن طريق الثورات الصناعية التي لحقت بالكائن البشري وصولا إلى العصر الرقمي الذي نحن بصدده.

بطبيعة الحال، أن البنية الثقافية المجتمعية الحالية شيّدت عن طريق تكنولوجيا المعلومات والتي استطاعت بدورها أن تمسك زمام الكائن البشري، فهي التي تهيئ نظامه الحياتي وتلخص يومياته، لكننا إزاء سؤال مهم, هل حدود الرؤى التي تصورها علماء الطاقة الكمية وخبراء نظرية الحوسبة في القرن التاسع عشر جائز تحقيقها في المستقبل؟ ولو أجرينا مسحا علميا من أن تنبؤات المشتغلين بالبيئة الرقمية والحوسبة الكوميمية قد طُبقت على أرض الواقع، بما معناه، أن كل تصريح يتطرق إليه المختبر العلمي أصبح وارد التنفيذ، لتسبغ هذه الابتكارات العلمية ثقافة جديدة من حيث العلاقات المجتمعية كأفراد وأسر فضلا عن طبيعة اللغة والسلوك والتعامل بين صنوف الكائنات البشرية، لذا من الممكن القول، أن الفضاء الرقمي أنتج لنا عالما مغايرا جديدا على كافة الأصعدة والمستويات، ومنح لنا سمات مغايرة من حيث النسيج الاجتماعي، ولعلنا نتوقف عند الأثر النفسي الذي تركه الفضاء الرقمي على القيمية البشرية أيضا، بل حتى على طريقة تفكير المجتمعات والنظرة التي تنتخبها في الحياة، وإن جاز لنا التعبير، فهو المقرر الذي يحدد مسار هذه المجتمعات في كثير من شؤونها بما ينتجه من مصطلحات ومفاهيم بل حتى في كيفية التعاطي مع مشكلات العصر، ولعله يصبح أكثر وضوحا في حال اتسعت رقعة الحياة الرقمية وأصبحت لهذه المجتمعات هوية رقمية أكثر نصاعة، وهنا إشارة إلى ما قاله بعض من المعنيين بالشأن الرقمي، عن ماهية منح العقل الآلاتي سمات أخلاقية ليتمكن من حجز مقعد له في هذه العالم أو تغلب البرامج الذكية على قدرة الكائن البشري، لينتج فضاء رقميا موازيا بل فعليا يحل بدلا من الواقع .

صدر حديثاً

كتبها باحث في جامعة أم القرى..

دراسة جديدة حول الاستشراق التوراتي.





اليمامة- خاص

صدر حديثاً عن دار «قدموس للنشر والتوزيع» كتاب «الاستشراق التوراتي اليهودي حول الحجاز: أصوله وانعكاساته الفكرية»، للباحث والأكاديمي عبدالهادي بن محمد الزهراني، المعروف بابن حربي، في 339 صفحة موزعة على ثمانية فصول، يتناول فيها نشأة المزاعم المتعلقة بوجود بني إسرائيل في الحجاز، وامتداداتها الجغرافية والفكرية، مع تركيز خاص على منطقة الباحة وجنوب المملكة العربية السعودية. ويتتبع المؤلف، الحاصل على درجة أكاديمية في الإعلام من جامعة أم القرى، الجذور التاريخية لما يسميه «الاستشراق التوراتي»، متوقفاً عند عدد من الكتابات الاستشراقية الأوروبية التي سعت، بحسب قراءته النقدية، إلى إعادة تفسير الآثار والأسماء الجغرافية العربية بما يتوافق مع روايات توراتية، وصولاً إلى أطروحات المؤرخ اللبناني كمال الصليبي، ولا سيما كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، الذي افترض فيه أن جنوب الجزيرة العربية يمثل الموطن الجغرافي لأحداث وشخصيات توراتية. ويخصص الزهراني جانباً من دراسته لتفكيك منهج الصليبي في إسقاط الأسماء التوراتية على القرى والمواضع في منطقتي عسير والباحة، من خلال المقارنة اللغوية والجغرافية والتوثيق التاريخي، والاستعانة بروايات السكان وأهالي القرى المعنية. ويتناول، في هذا السياق، نماذج من تلك التأويلات، من بينها الربط بين أسماء قرى في بلاد زهران وأسماء توراتية، وكذلك الادعاءات المتعلقة بمصلى إبراهيم في جبل شدا الأعلى، وما أثير حول صلته بالمواقع التوراتية. كما يستعرض الكتاب الجهود السعودية المبكرة في مناقشة هذه الأطروحات، مستحضراً كتاب المؤرخ محمد الحميد «الرد على افتراءات الصليبي عن تاريخ عسير»، الذي حظي بتقدير علمي ضمن جائزة منحة خادم الحرمين الشريفين لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، إلى جانب مواقف ومداخلات الشيخ حمد الجاسر النقدية تجاه تلك الادعاءات. ويتوزع الكتاب على محاور تشمل الموجات الاستشراقية المرتبطة بالقراءات التوراتية، ومنهج كمال الصليبي، ودراسات نقدية لمزاعمه، فضلاً عن بحث ما يصفه المؤلف بإسرائيلية سراة الحجاز وتهامته تحت مجهر العلوم، وصولاً إلى مناقشة ما أثير حول تابوت بني إسرائيل وبلاد زهران. ويأتي هذا الإصدار ليعيد فتح النقاش حول توظيف المناهج اللغوية والجغرافية في قراءة تاريخ الجزيرة العربية، وأهمية إخضاع الفرضيات التاريخية للفحص والتوثيق، والاستناد إلى المصادر العلمية والروايات المحلية في دراسة تاريخ المناطق السعودية.

مقال



انس الدريني
@Anasderiny_1

في ذلك الصباح..

لم تضحك جدة ؟!

«هاه... تزوجت الثانية، ولا لسه؟»

كان أبو أحمد يستقبلني والآخرين بهذا السؤال كلما دخلنا عليه، يسبقه بضحكته التي أعرفها، وكأنه لم يسألني السؤال نفسه عشرات المرات من قبل.

لم يكن ينتظر جوابًا، ولم أكن أحتاج إلى ابتكار رد جديد. كنا نعرف الحوار عن ظهر قلب، ومع ذلك نضحك في كل مرة كما لو أنها الأولى.

لم أكن أعرف يومها أن سؤالًا عابرًا، لا يحمل من الأهمية شيئًا، سيصبح ذات صباح واحدًا من أكثر الأشياء التي أتمنى سماعها، لا سيما وأن لجدة في قلبي حكاية طويلة.

أحبها حين تستيقظ على مهل، حين ترفع الدكاكين أبوابها الحديدية، وتنتشر رائحة الفول والكبدة من المطاعم الصغيرة، وحين تتسلل فيروز من مذياع قديم، فتختلط بصوت الباعة وتحيات العابرين.

في تلك الصباحات، تبدو المدينة كأنها تعرف أبناءها واحدًا واحدًا. لا أحد يسأل عن اسمك، لكن الوجوه تحفظ وجهك، والأماكن تألف خطاك، وبعض الناس يمنحونك من الألفة ما لا تمنحه سنوات من المعرفة.

وكان "أبو أحمد" واحدًا من هؤلاء.

لم يكن صديق طفولة، ولا قريبًا تجمعني به صلة رحم، ولا رجلًا تقاس علاقتي به بعدد السنوات. كان صاحب مكان اعتدت الإفطار فيه، يستقبلني بابتسامة، ويمازحني بسؤاله المعتاد، ثم يمضي كل منا إلى شأنه.

علاقة بسيطة إلى الحد الذي لم أفكر يومًا في تسميتها.

كنت أظن أنني أذهب إلى المكان من أجل الإفطار، ولم يخطر ببالي أن ثمة أسبابًا أخرى للعودة، أسبابًا لا تظهر في قائمة الطعام، ولا تُدفع قيمتها عند الحساب.

حتى جاء ذلك الصباح.

ذهبت كعادتي، ولم يكن في جدة ما يوحي بأن شيئًا قد تغير.

الدكاكين مفتوحة، والباعة ينادون على بضائعهم، ورائحة الإفطار تملأ المكان.

كل شيء كان يؤدي دوره المعتاد في صباح المدينة إلا صوتًا واحدًا. لم أسمع ضحكة أبي أحمد.

تلفتُّ أبحث عنه، ثم سألت ببساطة من يظن أن الغائب سيعود بعد قليل:

وين أبو أحمد؟

جاءني الجواب هادئًا، قصيرًا، لا يشبه وقعَه في نفسي:

أبو أحمد توفي... اللّه يرحمه.

لم يتغير شيء حولي.

لم تتوقف حركة الناس، ولم تصمت الشوارع، ولم تنطفئ أصوات الباعة. ظلت جدة تمضي في صباحها كأن شيئًا لم يحدث.

وحدي كنت أحاول أن أفهم كيف يستطيع مكان أن يبقى كما هو، بعدما يغيب عنه إنسان كان يمنحه شيئًا من روحه.

قبل لحظات، كنت أبحث عن رجل لأبادله التحية، فإذا بي أفتش في ذاكرتي عن آخر مرة رأيته فيها.

متى كانت؟

هل ضحكنا يومها طويلًا؟

هل ودعته كعادتي، مطمئنًا إلى أنني سأراه في الصباح التالي؟

لم أستطع أن أتذكر.

وهذا ما آلمني أكثر.

أنني أتذكر سؤاله جيدًا، وأتذكر ضحكته، وأكاد أسمع نبرة صوته، لكنني لا أتذكر لقاءنا الأخير.

ربما لأننا لا نمنح اللقاءات العادية ما تستحقه من الانتباه. نغادرها ونحن نظن أن أمامنا متسعًا من الوقت، وأن الوجوه المألوفة ستظل في أماكنها، وأن الذين يضحكون حين نراهم سيضحكون غدًا أيضًا.

لم يكن أبو أحمد يعرف أنه يترك في صباحاتي كل هذا الأثر.

ولم أكن أعرف أنا أيضًا.

كان رجلًا بسيطًا، يمنح العابرين ابتسامة، ويزرع في أول النهار شيئًا من البهجة، ثم يعود إلى تفاصيل حياته. لم يطلب من أحد أن يتذكره، ولم يكن بحاجة إلى أن يفعل شيئًا استثنائيًا ليبقى في الذاكرة.

يكفي أنه كان هناك.

وأنني حين دخلت المكان بعد رحيله، اكتشفت أن بعض الغياب لا يترك وراءه مقعدًا فارغًا، بل يترك فراغًا في القلب.

تذكرت سؤاله لنا :

«هاه... تزوجت الثانية، ولا لسه؟»

يا أبا أحمد، لو كنت أعرف أن ضحكتك ستصبح ذكرى، لأطلت الوقوف عندها قليلًا.

ولو كنت أعرف أن ذلك السؤال سيسكت إلى الأبد، لما استعجلت يومًا في الإجابة عنه.

رحمك اللّه يا أبا أحمد.

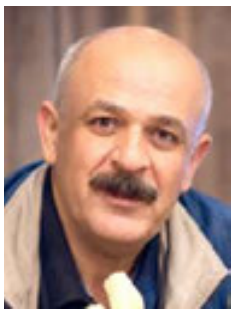
ما زالت جدة تستيقظ كل صباح، وما زالت رائحة الفول والكبدة تعبر أزقتها، وما زالت فيروز تغني، والباعة يفتحون دكاكينهم، والناس يتبادلون التحايا. وما زلت أستطيع الذهاب إلى المكان نفسه.

لكنني كلما تذكرتك، أدركت أن المدن لا تتغير دائمًا حين نفقد أحدًا.

أحيانًا تبقى بكل تفاصيلها، ونكون نحن الذين لم نعد نراها كما كانت.

في ذلك الصباح، كانت جدة كلها تضحك... إلا صباحي.

مقال



محمد توفيق صعابنة

فنجان قهوة تركية على شاطئ جدة..

للقهوة ذاكرة تعرف الطريق .

لو كنت سافرت ودخلت مقهى في بلاد بعيدة لكان الأمر هينا عليّ أمّا أن أجلس في جدة، على شاطئ الحجاز، حيث مرّت القهوة الاولى يومًا وهي في طريقها إلى العالم، ثم أطلب فنجانًا فيسألني النادل بثقة الواثق أنه يعرض عليك بضاعة مستوردة ومتعوب عليها بجملة معلبة ومحفوظة (تركيش كوفي؟) فهنا أشعر أن في الفنجان شيئًا يحتاج إلى تصحيح قبل أن يحتاج إلى السكر.

تركيش كوفي؟ يا عم، على مهلك.

فأنا أقل اعتراضًا على طريقة التحضير، ولا خصومةً لدي مع أي اسم شاع حتى صار مألوفًا. للمدن حقّ لها أن تضع بصمتها على الأشياء، وأن تهبها شيئًا من مزاجها ومن نكهتها لكن للمشروبات مثل البشر أوطان إقامة وأوطان ولادة. والمشكلة تبدأ حين يطول مقامهافي مكان ما فكأنه يُنسى أي الطرق سلك وأي البحار عبر ويصبح آخر بيت سكنه المسافر هو مسقط رأسه.

والقهوة ايضا تعرف طريقها جيدًا

عاشت وازهرت في اليمن وسهرت بين كفوف الشاربين طويلًا مع المتصوفة وفي زمانها لم تكن هناك زينة موائد ولا ترف قصور بل ليلٌ يطول وعيون تطلب السهر وأيدٍ ترفع الفنجان طلبًا لليقظة هناك تعلّمت القهوة أول أسرارها أن المرارة قد توقظ الذهن وتساعد في النشوة وأن السواد قد يضيء وأن شيئًا صغيرًا في قاع فنجان يستطيع أن يمنح الليل قلبًا آخر

ثم حملت رائحتها إلى الحجاز،

وعندما بلغت مكة خرجت للناس من خلوة الساهرين إلى رحابة المجلس والأحاديث لم تعد شرابًا يوقظ العين ويدعوها للسهر فحسب بل صارت ذريعة لأن يطول الكلام وتتجمل الأحاديث وأن يتأخر الوداع ويزدان الود بفناجينها وأدواتها وأن يجد الصمت مكانًا بين جملتين اجتمع الناس حول سوادها الصغير فصار للفنجان مجلس وجالسين وللمجلس أصدقاء، وللأصدقاء وقت لا يقاس بالساعات بل عدد الرشفات.

هناك بدأت القهوة تتعلم وتعلم فنها للزائرين فنًّا ليس فقط إيقاظ الساهرين. أصبحت لها طرقها في أن تجمع الغريب بالغريب، وكيف تجعل من الرشفة مهلة، ومن الصمت قولًا، ومن الجلسة وطنًا مؤقتًا لا يحتاج إلى حدود

ثم مشت مع الحجاج والتجار. مرّت بالقاهرة وصعدت إلى دمشق وحلب، تحمل رائحتها أمامها كأنها تعرف الطريق قبل أن يُرسم. وفي الشام لم تكن عابرة سبيل. جلست وأطالت الجلوس، واتكأت على المجالس حتى صار الفنجان جزءًا من الكلام الذي يبدأ بسبب صغير ثم لا يعرف كيف ينتهي.

وفي حلب سنة 1573م وقف الطبيب وعالم النبات الألماني ليونهارت راوولف أمام هذا الطقس، ووصف شرابًا يكاد يكون أسوداً كالحبر، يُقدَّم ساخنًا في أكواب صغيرة، يرفعها الجالسون إلى شفاههم مرارًا ولا يأخذون منها إلا رشفات قليلة. من حيث لا يدري، لم يكن يصف شرابًا غريبًا فحسب، بل كان يحفظ لنا صورة مجلس، سواد في الفنجان، وحرارة في الكف، ووقت يمرّ بين الجالسين كما تمرّ القهوة، قليلًا قليلًا.

وحين وصلت إسطنبول في منتصف القرن السادس عشر لم تتقدمها رايات ولم تهبط من قبة قصر. جاء حَكَم من حلب وشمس من دمشق وافتتحا في تاهتا قلعة مقهيين من أوائل مقاهي المدينة.

يا لها من مصادفة تصلح للشعر. رجل اسمه شمس يحمل إلى مدينة بعيدة شرابًا أسود، فيترك فيها شيئًا من الضوء.

ثم فعل الزمن ما يفعله دائمًا. محا أثر الطريق وأبقى أثر الوصول. دخلت القهوة القصور، وأُلبست الحرير، وكثرت حولها الحكايات حتى كاد آخر الطريق يبتلع أوله، وكأن الذاكرة البشرية تحفظ الواجهة وتنسى الأثر، تحفظ الاسم وتنسى الرحلة.

لكن الرائحة أصدق من الاسم.

فالقهوة عرفت اليمن قبل القصور، وعرفت مكة قبل تاهتا قلعة، ومرّت بالحجاز والقاهرة والشام قبل أن تستريح في إسطنبول. وحين وصلت إلى الشمال لم تكن تتعلم كيف تكون قهوة، كانت تعرف نفسها جيدًا.

لهذا حين يسألني أحدهم في جدة (تركيش كوفي؟) أبتسم.

اشربوها بالطريقة التي أحببتم، وسمّوا الطريقة بما شئتم. لكن لا تجعلوا الاسم يمحو الطريق، ولا تجعلوا آخر المحطات تبتلع أول الحكاية.

فالأشياء العظيمة لا تحتاج دائمًا إلى تاج كي تدخل التاريخ. أحيانًا يكفيها فنجان صغير، ومجلس طويل، ورائحة تعرف من أين جاءت.

وللقهوة، مهما كثرت جوازات سفرها، ذاكرة لا تخطئ مسقط الرائحة.

سينما

«حافة الحرب» فيلم سياسي يستكشف أحداث الحرب الباردة ..

دراما التفاوض في زمن الردع النووي.



علي المسعودي*



(الحرب الباردة) واحدة من أكثر الصراعات إثارة في تاريخ البشرية القصير والمدمر. على الرغم من افتقارها للصراعات العسكرية واسعة النطاق في الصراعات الأكثر شهرة، إلا أن الحضارة لم تكن يوما قريبة من التدمير المتبادل المؤكد كما كانت في ذروة الأعمال العدائية. تهدف دراما " حافة الحرب "السياسية التاريخية إلى التقاط هذا الشعور، مع التركيز على واحدة من أهم لحظات الحرب الباردة عندما وقفت البشرية عند مفترق طرق . تدور أحداث "حافة الحرب " على مدى 36 ساعة في قمة ريكيافيك الشهيرة . يتبع أول فيلم روائي طويل للكاتب والمخرج (مايكل راسل غان)،" حافة الحرب"، نهجا أكاديميا طويلا لتأريخ اليومين الهامين في أكتوبر 1986 عندما جلس الرئيس الأمريكي رونالد ريغان (جيف دانيلز) الذي وصل إلى ريكيافيك مع وزير الخارجية جورج شولتز (جي. كيه. سيمونز). حيث يلتقي الرئيس رونالد ريغان (جيف دانيلز) والزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف (جاريد هاريس) في محاولة متوترة للتفاوض على تخفيضات الأسلحة النووية. يواجه الرئيس وغورباتشوف عدم الثقة العميقة التي تفصل بين دولتيهما - وإمكانية أن يؤدي اتفاق تاريخي أخيرا إلى تخفيف تهديد الإبادة النووية ريغان غير متأكد من أنه يستطيع الوثوق بغورباتشوف، لكنه مصمم على التوصل إلى اتفاق تسلح. كما أنه مصمم على حماية مبادرة الدفاع الاستراتيجي لديه (نظام الدفاع الصاروخي الذي يطلق عليه "حرب النجوم"، والذي يعارضه الرئيس السوفياتي " غورباتشوف" بشدة، مما يؤدي في النهاية إلى مأزق ينتج أكثر لحظات الفيلم توترا. تم هذ الحدث بين القطبين في ذروة الحرب الباردة، ويكرر الفيلم أن هذا الاجتماع هو الفرصة الأخيرة لحدوث مثل هذه الصفقة، يكون السرد في " حافة الحرب "أكثر حيوية كلما كان ريغان وغورباتشوف يتفاوضان ، ويتحديان مواقف بعضهما البعض ، وتسخن الأمور بينهما مع إثارة قضايا تتراوح بين حقوق الإنسان والدين ومبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية - حيث يقف كل زعيم على أرضه السياسية والفلسفية . هذان رجلان يحاولان إيجاد طريقة للتواصل مع بعضهما البعض، كل منهما يعرف أن هذه هي فرصته لصنع التاريخ وإنجاز شيء عظيم ودائم . ولكن كل منهما يمتلك نصيبه العادل من الكبرياء والعناد وعدم الثقة .

يعد الاثنان بالذهاب وجها لوجه كممثلين لإمبراطوريات كل منهما على مصير البشرية . والمحادثات التي استمرت أكثر من 30 ساعة متوترة في منزل معزول على الواجهة البحرية في ريكيافيك، آيسلندا. على الرغم من انتهائها دون اتفاق، لكنها إعتبرت القمة لحظة فاصلة في دبلوماسية الحرب الباردة، جزئيا لأنها قربت الزعيمين بشكل مفاجئ من الاتفاق على القضاء على الأسلحة النووية في بلديهما . على الرغم من أنها ليست هاجيوغرافيا صريحة، هذا الفيلم مؤيد للقيم الأمريكية حتى في اللحظات التي يذهب فيها غورباتشوف إلى ريغان، فإنه يعترف بعيوب الولايات المتحدة . الرئيس السوفياتي "غورباتشوف" كان مشهده البارز حين ينتقد السياسة الأمريكية التي تمنع بيع معدات الزراعة وحلب الأبقار إلى الاتحاد السوفيتي حتى يتمكنوا من إطعام أطفالهم . يدرك الاثنان، اللذان يجلسان وحدهما على الطاولة، أنهما يريدان إنهاء التهديد النووي، لكنهما يبدآن في الخلاف حول قضايا أخرى. يطلب ريغان معروفا خاصا: السماح لأخت عازف التشيلو الشهير" مستيسلاف روستروبوفيتش" بزيارة شقيقها في الولايات المتحدة بمناسبة عيد ميلاده. يرفض غورباتشوف حتى التفكير في ذلك. يصر ريغان على الاستمرار في اختبار نظام الدفاع الخاص به ، وهو أمر يجده غورباتشوف غير مقبول. يبدأ الاثنان في الجدال: ريغان يوجه طعنة إلى الاشتراكية السوفيتية ، وفي نفس الوقت ينتقد غورباتشوف التاريخ العنصري للولايات المتحدة. تنتهي القمة بإحباط كلاهما، دون التوصل إلى أي اتفاق. لكن وزير الخارجية جورج شولتز (ج. ك. سيمونز) لديه فكرة أخيرة قد تنجح .

تتبع رواية "حافة الحرب" الرئيس رونالد ريغان وهو يحاول إنقاذ صفقة مع ميخائيل غورباتشوف قد تقلل بشكل كبير من الأسلحة

النوويـــة للولايـــات المتحـــدة والاتحاد الســـوفيتي . تبدو المفاوضـــات وكأنها تقدم فرصة تاريخية لتوجيه العالم بعيدا عن حرب نوويـــة محتملة. ومع ذلك، يخلق كل اقتراح خلافـــات جديدة ويزيد الضغط علـــى كلا الزعيمين . يجـــب على ريغان وغورباتشوف مواجهة ليس فقط الآخر، بل أيضا مستشـــاريهما ووكالات الاستخبارات والقادة العسكريين وعقود من عدم الثقة بين القوتيـــن العظميين . وفي مرحلة ما، كان حماســـهما كبيرا لدرجة أنهم وافقا على إلغاء جميع أسلحتهم النووية.انهارت الصفقة الكبرى بشـــكل غيـــر متوقع في اللحظة الأخيرة بســـبب إصرار غورباتشوف علـــى أن يتخلى ريغان عـــن خططه لبناء درع نووي باستخدام نظام دفاع صاروخي ، رفض ريغان وودعهـــم ، لكن ما بدا كخيبة أمـــل غير مجرى التاريخ ووضـــع كلا البلديـــن على طريق تدمير عشرات الآلاف من الرؤوس النووية. بعد عام واحد فقط، وقع ريغان وغورباتشـــوف أول اتفاقية للقضاء على فئة كاملة من الأسلحة النوويـــة، وهي معاهـــدة القوات النووية متوسطة المدى .

خطة الرئيـــس الأمريكي " ريغان "هي اســـتفزاز القيادة السوفيتية من خـــلال التدخل فـــي موضوع النقـــاش الرئيســـي، وبـــدلا من ذلك يطلـــب من غورباتشـــوف الســـماح لأخت الموسيقي والقائد الكلاسيكي الشـــهير مستيسلاف روســـتروبوفيتش، الذي انشق عن روســـيا في الســـبعينيات، بزيارة الولايات المتحدة في عيد ميلاده. يتم تقويض قوة ريغان بســـرعة بعد أن يقترح غورباتشوف تقليصا صادما وغير متوقع في الأسلحة — إلى 50 بالمئة من الأرقام الحالية .يبدأ الفيلم حين يعبر الرئيس الأمريكـــي " رونالد ريغان" عن قلقه لوزير الخارجية جورج شـــولتز (ج. ك. سيمونز) بأنه "فشل"، ولم يتمكن من التوصل إلى اتفاق مع غورباتشـــوف بشأن خفض التصعيد في الحـــرب الباردة. قبل اثنين وسبعين ســـاعة، اجتمع قادة العالم بناء على طلب غورباتشوف وناقشوا إنهاء سباق التسلح النووي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، في تلك اللحظة، أسفر عن أزالـــة 70,000 صـــاروخ موجهة نحو بعضها البعض وشـــعوب العالم في حالة من الرهبة .

منذ البداية، هنـــاك عدم ثقة واضحة بين الزعيمين. حتى مع أن الاختراقات الضرورية تبدو وشـــيكة، فإن عقليـــة "الثقة ولكن التحقـــق" التي تقوم عليهـــا المفاوضات تعني أن كل شيء قد ينهار في أي لحظة. يخلق ذلك شـــعورا مزعجـــا بالقلق حول مناقشـــاتهم، ومع ذلك فإن نص المخرج " (مايكل راســـل غـــان) " المحكم يدفع الأمور دائما إلـــى الأمام. ما يجذب في هذا الفيلم هو وجـــود الممثليـــن المعنيين: جيف دانيلز بدور ريغان، لا يلتقط الممثل "دانيلز "تمامـــا خصوصيات صوت ريغان وســـلوكياته، لكنه ينقل باقتدار قناعات الرئيس الأربعين .أقرب ما يأتي إليه الفيلم لمحاولة استكشـــاف ريغان كإنســـان هو رؤيته لا يزال مضطربا، جسديا وعقليا بعد محاولة اغتياله قبل بضع سنوات . في حين جســـد الممثل "جاريد هاريس" شخصية



الرئيس السوفياتي"غورباتشوف"بشـــكل رائع . تشـــير أحداث" حافة الحرب " بشكل غير مباشر إلى زمننا الحالي ، الحرب الروسية الأوكرانية التي تستمر إلى أجل غير مسمى، والحرب الأمريكية الإيرانية التي تبدو فيها المفاوضات يائسة تماما .

تم تصويـــر "حافة الحرب" فـــي المنزل الفعلي الذي أقيمت فيه القمة(وهو نفس المبنى في ريكيافيك في أيســـلندا حيث التقى ريغان وغورباتشـــوف عام 1986 ، وفي نفس الغرف التي تحدث فيها القادة) مما منـــح الفيلم إحساســـا غنيا وأصيلا بالتاريخ، ويســـتفيد نص "مايكل راســـل غان " من محادثاته مع شـــولتز قبل وفاة وزير الخارجية في عام 2021 . دراما واقعية ممثلة بشـــكل جيد مع نص قوي لا يبدو مبســـطا لغير المطلعين. يمكن للمشاهد أن يتعرف على جانب من فترة رئاســـة " رونالد ريغان" ، لكن "حافة الحرب" يذكرنا بأن قمة ريكيافيك، رغم اعتبارها فاشـــلة في ذلك الوقت، كانـــت في الواقع واحدة من أكبر نجاحاته .

بينما تجتاح الحروب العالم ويبدو أن القوى العظمى تتجه مرة أخرى نحو سباق تسلح، يذكرنا الفيلم أنه في عصر الاســـتقطاب، يمكن حتى التغلب على أعمق الانقسامات . بطريقـــة مـــا، وجد أشـــهر مدافع عن الحرب الباردة، الرجل الـــذي أدان الاتحاد الســـوفيتي باعتباره "إمبراطورية شريرة" مقـــدر لها أن توضع في "ســـلة مهملات التاريخ"، نفســـه يلتقي بزعيم الشيوعية الدولية. واتفق كلاهما على أنه حان الوقت للابتعاد عن حافة تدمير الكوكب .

يدور الفيلـــم تقريبا بالكامل حول هذين الزعيميـــن، مقدما إياهما كشـــخصيتين حقيقتين بالكامل، يكافحان لتجاوز الخلافات العميقة خلال عطلـــة نهاية أســـبوع في منزل هوفـــدي في ريكيافيك .قام الكاتب والمخرج "مايكل راســـل غـــان " بأبحاث قمـــة ريكيافيك لعدة ســـنوات.وأجرى غان مقابلة مع وزير الخارجية الســـابق جورج شـــولتز قبـــل وفاته فـــي 2021 واستخدم نصوص المحادثات التي تم رفع السرية عنها لتطوير النص. الفيلم أهداه المخرج والكاتب إلى شـــولتز،الذي كان مشاركا مباشرة فـــي المفاوضات.كمـــا صورت الإنتاج مشاهد داخل منزل هوفدي الحقيقي،. استخدام المكان الفعلي ســـاعد في محاكاة المســـاحات الضيقة والأجـــواء في المحادثات الأصلية . تأكد الكاتب والمخرج "دانييلز "من زيارة المنزل في اليوم الذي ســـبق بدء التصوير وجلس هنـــاك لبضـــع ســـاعات يراجع حواراتـــه ويســـتمتع بالقصة.قـــال غـــان إنـــه أصبـــح مهتما بســـرد قصة ريكيافيـــك عندمـــا التقى شـــولتز في مؤسســـة هوفر بجامعة ستانفورد.وأخيرا، أهدى الفيلم إلى وزير الخارجية الســـابق، الذي توفي عن عمـــر يناهز 100 عام في 2021. قال غان: "قال إنه حتى هو لم يكن يعتقد حقا أن الاتحاد الســـوفيتي يمكن أن يختفـــي." "فقط ريغان كان لديه تلك القدرة على التخيل " .

*كاتب عراقي

مقال



مريم مفلح الشمري
@MaryamMufleh

أخلاقيات الاعتراف..

الكرامة في مواجهة الحقيقة.

ليس أصعب على الإنسان أن يكتشف أنه أخطأ، بل أن يعيد النظر في الصورة التي كوّنها عن نفسه. فالخطأ يمكن تصحيحه، أما الاعتراف به فقد يضع الإنسان أمام حقيقة لا يرغب في مواجهتها: أنه ليس دائمًا بالحكمة التي يتصورها، ولا بالعدل الذي يعتقده في نفسه. عندئذ يصبح الدفاع عن الصورة أهم من إصلاح ما أفسده، ويتحول الاعتراف من خطوة نحو التصحيح إلى تهديد للذات.

قد يعرف الإنسان أنه أخطأ، ويدرك أثر فعله في الآخرين، ثم يبحث عن مبررات تخفف عنه وطأة الحقيقة. يستدعي نواياه الحسنة، أو يحمّل الظروف جانبًا من المسؤولية، أو يعيد سرد الواقعة بطريقة تجعله أقل خطأً. ومع الوقت، ينصرف اهتمامه من مراجعة الفعل إلى تبريره، حتى يصبح إثبات براءته أهم من فهم ما حدث.

ولا تعني المعرفة الواسعة بالضرورة القدرة على مراجعة الذات. فقد يمتلك المرء عقلًا قادرًا على التحليل والاستدلال، لكنه يستخدم قدرته في الدفاع عن قناعاته بدل اختبارها. وحين تصبح الرغبة في إثبات الصواب أقوى من الرغبة في معرفته، يتحول العقل من أداة للفحص إلى محامٍ عن المواقف المسبقة. وهنا لا تكون المشكلة في نقص المعرفة، بل في مقاومة ما قد تفرضه من تغيير.

كيف نتعلم إخفاء أخطائنا؟

تبدأ علاقتنا بالخطأ مبكرًا، داخل الأسرة التي تتشكل فيها تصوراتنا الأولى عن القبول والرفض. فالطفل الذي يُعاقب على خطئه دون أن يُمنح فرصة لفهمه قد يتعلم إخفاء الحقيقة بدل تحمل مسؤوليتها. وحين يقترن الاعتراف بالتوبيخ القاسي أو الإذلال، يصبح الإنكار وسيلة لحماية النفس، لا مجرد محاولة للإفلات من العقاب.

في المقابل، يتعلم الطفل الذي يُفصل بين سلوكه وقيمته الإنسانية أن الخطأ لا يجعله شخصًا سيئًا بالضرورة، وأن إصلاحه ممكن. فالاعتراف بخطأ لا يعني فقدان القيمة، وتحمل المسؤولية لا يعني استحقاق الإلغاء. ومن هنا تنشأ علاقة أنضج بالمسؤولية، قوامها مواجهة الفعل وآثاره بدل إنكارهما.

ولعل بعض أزماتنا الأخلاقية تبدأ حين نخلط بين محاسبة الإنسان وإهانته، وبين حفظ كرامته وإعفائه من المسؤولية. فإذا جعلنا الاعتراف مكلفًا إلى حد لا يُحتمل، فلن نمنع الأخطاء، بل سندفع أصحابها إلى إخفائها. أما حين يجد الإنسان فرصة للاعتراف دون أن تُصادر كرامته، يصبح إصلاح الخطأ احتمالًا واقعيًا.

حين تصبح السمعة أهم من الحقيقة

لا يعيش الإنسان داخل تصوره عن ذاته وحده؛ إنه يراقب صورته في أعين الآخرين أيضًا. وقد يخشى أن يؤدي اعترافه بخطأ إلى فقدان احترام من حوله، خصوصًا حين اعتادوا رؤيته في صورة الشخص الذي يحسن الاختيار ولا يتراجع عن مواقفه. عندئذ قد يفضّل التمسك برأيه على الاعتراف بما تكشفه الوقائع، لأن التراجع يبدو له أشد إيلامًا من الخطأ نفسه.

يمكن ملاحظة ذلك في خلاف بين صديقين؛ فقد يدرك أحدهما أنه أساء إلى الآخر، لكنه ينشغل بإثبات أن إساءته كانت مبررة، أو أن الطرف المقابل بالغ في رد فعله. وهكذا يتحول الخلاف من محاولة للفهم إلى منافسة على تحديد الطرف الذي ينبغي أن يعتذر أولًا، بينما كان الاعتراف الصادق كفيلًا بفتح باب للحل.

إن السمعة التي تقوم على إخفاء العيوب تظل مهددة بانكشافها، أما الثقة فتنمو حين يدرك الآخرون أن الإنسان قادر على مراجعة نفسه. وليس المطلوب أن نتخلى عن صورتنا أمام الناس، بل ألا نجعل حمايتها أهم من الإنصاف. فاحترام الآخرين لنا لا ينبغي أن يقوم على اعتقادهم أننا لا نخطئ، وإنما على اطمئنانهم إلى أننا لا نتعمد إنكار أخطائنا أو تحميلهم ثمنها. ومع ذلك، لا يكفي الاعتراف اللفظي لإصلاح الضرر. فقد يعتذر الإنسان حين تضيق أمامه خيارات الإنكار، ثم ينتظر أن يعيد إليه اعتذاره مكانته السابقة دون أن يغير سلوكه. لكن الاعتراف الأخلاقي لا يُقاس بجرأة العبارة وحدها، بل بما يليها من استماع إلى المتضرر، وتحمل للنتائج، ومحاولة جادة لجبر الضرر ومنع تكراره.

بين المحاسبة وفرصة التغيير

أضاف الفضاء الرقمي تعقيدًا جديدًا إلى علاقتنا بالأخطاء. فقد تتحول كلمة عابرة أو موقف قديم إلى مادة محفوظة تُستدعى بعد سنوات، ويجد الإنسان نفسه محاصرًا بفعل واحد، مهما تغيرت أفكاره أو سلوكه. وقد يدفعه الخوف من أن يصبح اعترافه إدانة دائمة إلى الإنكار، حتى حين

يكون مستعدًا للمراجعة.

لكن هذه المعضلة لا تُحل بإعفاء الإنسان من نتائج أفعاله، ولا بحرمانه من فرصة التغيير. فالمحاسبة تعني مواجهة الفعل وتقدير أثره، أما التشهير فقد يتجاوز ذلك إلى اختزال الإنسان في أسوأ ما صدر عنه. وبين الأمرين فرق ضروري؛ لأن الاعتراف يفقد جدواه إذا لم يبق أمام المخطئ طريق واضح للإصلاح.

وفي المقابل، لا ينبغي أن يتحول التسامح إلى وسيلة لإسكات المتضرر أو مطالبته بتجاوز ألمه قبل استعادة حقه. فالاعتذار لا يلزم الآخر بالنسيان، كما أن قبول الاعتذار لا يعني أن ما حدث لم يكن مؤذيًا. لكل طرف حق ينبغي احترامه: حق المتضرر في الإنصاف، وحق المخطئ في أن تُتاح له فرصة حقيقية لإثبات تغيره بالأفعال.

ومن هنا، فإن المعيار الأعدل ليس سرعة مسامحة الإنسان أو استمرار إدانته، بل النظر في طبيعة خطئه، ومدى تحمله للمسؤولية، وما بذله لإصلاح آثاره. فالتغيير لا يُثبت بوعد، وإنما بسلوك يتكرر حتى يصبح دليلًا يمكن الوثوق به.

الشجاعة التي تأتي بعد الاعتراف

ليس الاعتراف فضيلة مكتملة في ذاته، بل بداية لمسؤولية قد تكون أشق من الإنكار. أن يقول الإنسان «أخطأت» خطوة أولى، لكن الشجاعة الحقيقية تظهر حين يتوقف عن تزيين روايته، ويستمع إلى من تضرروا من فعله، ويقبل النتائج التي لا يستطيع التحكم فيها، ثم يعمل على ألا يتكرر ما حدث.

وهنا ينبغي أن نعيد النظر في مفهوم الكرامة. فهي ليست أن يخرج الإنسان من كل خلاف منتصرًا، ولا أن يحتفظ بصورة لا تشوبها مراجعة، بل أن يمتلك القدرة على مواجهة نفسه دون أن يجعل كبرياءه ذريعة لإيذاء الآخرين. فالإنسان لا يفقد قدره حين يعترف بحدوده، وإنما قد يفقد ثقة الآخرين حين يصر على إنكار ما أصبح واضحًا لهم.

إن نضج الإنسان لا يظهر في قدرته على تجنب الخطأ وحده، بل في الطريقة التي يتعامل بها معه. فقد يخطئ بدافع التسرع أو سوء الفهم أو تقدير ناقص للموقف؛ لكن ما يفعله بعد اكتشاف خطئه يكشف عن استعداده للتعلم. هل يراجع موقفه أم يبحث عن مبرر جديد؟ وهل ينصت إلى أثر فعله أم ينشغل بإثبات أن نيته كانت حسنة؟

لا نحتاج إلى عالم لا يخطئ فيه أحد؛ فهذا مطلب يستحيل تحقيقه. ما نحتاج إليه هو أن يصبح الاعتراف ممكنًا دون إذلال، وأن تقترن المسامحة بالإنصاف، وأن تظل المسؤولية قائمة حتى بعد قبول الاعتذار. فالخطأ قد يكون واقعة عابرة في حياة الإنسان، لكن الإصرار على إنكاره قد يحوله إلى نمط يتكرر في علاقاته وقراراته.

وربما كان الاختبار الحقيقي لأخلاقنا هو تلك اللحظة التي تتعارض فيها الحقيقة مع الصورة التي نرغب في الاحتفاظ بها عن أنفسنا. عندها يتحدد اختيارنا: إما أن نحمي صورتنا ونترك الخطأ بلا إصلاح، وإما أن نواجه الحقيقة ونمنح أنفسنا فرصة للنضج.

إن أخطر ما نخسره حين نرفض الاعتراف ليس صورتنا أمام الآخرين، بل قدرتنا على تغييرها.

كلمة



عمر احمد الطويان

قدر الشركاء ما يفوح !

يقال في المثل الدارج: «قدر الشركاء ما مايفوح! ». وللمثل وجاهته حين يستطيع كل شريك تعطيل القرار، فيما لا يتحمل أحد تبعة تأخيره. لكنه لا يفسر كيف تنجح شركات يتعدد ملاكها. في تقديري، يبدأ التفسير بثلاثة أسئلة: ماذا يكسب كل شريك؟ من يملك القرار؟ ومن يتحمل الخسارة إذا أخفق؟

الشريك الداعم قد يختلف مع المؤسس، بل قد يرفض تمويل توسع لا يراه مجديًا. ويظهر دعمه في وفائه بما التزم به، وفي استعداده لتحمل نصيبه من المخاطر. أما الشريك الذي يقدّم مصلحته الخاصة، فيظهر سلوكه حين يدفع الشركة، مثلًا، إلى الشراء من منشأة يملكها بسعر أعلى من البدائل. طلب العائد مشروع؛ وتبدأ المشكلة حين يستفيد طرف من قرار تتحمل الشركة كلفته.

وقد يكون الشريك فردًا يملك خبرة يصعب تعويضها ويتخذ قراره بسرعة، لكن قيمة مساهمته قد تتراجع إذا انشغل أو تعذّر عليه الوفاء بالتزامه. وقد يكون الشريك شركة تتيح فريقًا وتمويلًا وقنوات بيع، لكن موافقاتها قد تطول، وقد يتراجع اهتمامها بالمشروع إذا تغيّرت أولويات إدارتها. فإذا كانت الحاجة إلى خبرة متخصصة في مرحلة التأسيس، فقد يكون الفرد أنسب. وإذا كانت الأولوية للتوسع عبر شبكة توزيع قائمة، فقد تكون الشركة أقدر على ذلك.

ومن واقع تأسيس الشركات، أرى أن اختبار الشراكة يبدأ قبل توزيع الحصص. فإذا وعد شريك بفتح سوق جديدة، فليكن واضحًا ما الذي سيتولاه، ومتى تُراجع النتيجة. وإذا احتاجت الشركة تمويلًا إضافيًا ولم يستطع أحد الشركاء المساهمة، فمن الأفضل أن يكون أثر ذلك معلومًا قبل الحاجة إلى المال. وكذلك ينبغي الاتفاق على من يدير العمل اليومي، وما القرارات التي تستدعي موافقة الشركاء، وكيف يخرج أحدهم إذا تعذّر استمرار الشراكة.

يطبخ قدر الشركاء حين يعرف كل طرف ما عليه، ويكون واضحًا من يحسم القرار عند أول خلاف. وهذا ما يستحق التفاوض عليه قبل النسب، حين لا يزال الاتفاق أسهل من إصلاحه ..

هل كان هيرایاما سعيداً حقاً؟

الفن السابع



خلف القرشي



في الدقائق الأخيرة من فيلم «أيام مثالية» (Perfect Days)، يثبت المخرج فيم فندرز الكاميرا على وجه هيرایاما وهو يقود سيارته إلى العمل. يستمع إلى أغنية «Feeling Good» لنينا سيمون، ويبتسم، ثم تدمع عيناه، ثم يحاول الابتسام من جديد.

ظللت أتأمل هذا الوجه بعد انتهاء الفيلم. هل كان الرجل سعيدًا حقًا، أم أنه تعلم كيف يتعايش مع شيء يؤلمه؟

قبل ذلك أمضينا ساعتين تقريبًا نتابع أيامه التي تكاد تتطابق: يستيقظ مبكرًا، يطوي فراشه، يسقي نباتاته، يشتري قهوته من آلة في الشارع، ويذهب لتنظيف دورات المياه العامة في طوكيو. يتناول غداءه تحت الأشجار، ويصور الضوء المتسلل بين أوراقها، ثم يعود إلى حمام عام ومطعم صغير وكتاب يقرؤه قبل النوم. يعود كل مساء إلى بيته الصغير، حيث لا أحد ينتظره. ومع هذا يبدو هادئًا، بل مبتسمًا في كثير من الصباحات.

في البداية ظننته رجلًا وجد ما نبحث عنه جميعًا ولا نعثر عليه بسهولة: الرضا. لكنه ظل يثير شكي. فهذه الدقة الشديدة في تنظيم حياته، والتعلق بأوقات وأماكن وعادات لا تكاد تتغير، قد تكون طمأنينة اختارها، وقد تكون سياجًا أقامه حول نفسه بعد تجربة لم يعد يريد تكرارها.

وحين تصل نيكو، ابنة أخته، إلى منزله هاربة من خلاف مع أمها، نرى هيرایاما مختلفًا. يصحبها إلى عمله، ويشاركها عاداته الصغيرة، ويصغي إليها. وحين تغادر، نشعر أن شيئًا من الألفة غادر معها. ثم تأتي أم نيكو، شقيقة هيرایاما، لاستعادتها. تصل في سيارة فارهة يقودها سائق، وتسأله عن عمله، ثم تخبره بأن أباهما يقيم في دار للرعاية وقد تدهورت ذاكرته. تلمح إلى زيارته، لكنه لا يبدي استعدادًا لذلك. وما إن تبتعد السيارة حتى يبكي.

لم يخبرنا الفيلم بما حدث بين الأب وابنه. وربما كانت تلك إحدى نقاط قوته. فهو لا يفتح لنا ملف الماضي ليبرر كل تصرف، وإنما يتركنا أمام رجل تبدو حياته الحالية نقيضًا للحياة التي جاء منها.

عندئذ تساءلت: هل اختار هيرایاما العزلة لأنه يحبها، أم لأنه خاب في عالم آخر، فآثر الابتعاد عنه؟

يقال إن الإنسان اجتماعي بطبعه، وهي حقيقة نشهدها في حاجتنا إلى الحديث والمشاركة ومن يفرح بنا أو يخفف عنا. ولذلك لا أطمئن كثيرًا إلى تصوير العزلة بوصفها حالة مثالية يصل إليها الإنسان حين يرتقي بفهمه للحياة.

قد يختار المرء الخلوة لبعض الوقت، بل قد يحتاج إليها، لكن الوحدة الممتدة كثيرًا ما تكون وراءها حكاية. خيبة في علاقة، أو جرح قديم، أو تعب من أناس لم يتركوا لصاحبهم غير الانسحاب.

ومع هذا، ليست كل صحبة خيرًا من الوحدة. وأحيانًا تصبح العزلة أرحم من جليس السوء؛ ليس لأنها تشفي الجرح، بل لأنها تمنعه من الاتساع.

وربما كان هيرایاما قد وجد في وحدته ما يحفظ له شيئًا من سلامه الداخلي. فهو، على أي حال، لم يقطع صلته بالبشر تمامًا. يتبادل التحية مع من يعرفهم، ويلاطف

ابنة أخته، ويلحظ عابرين لا يلتفت إليهم أحد. إنه يقلل علاقاته، لكنه لا يفقد حاجته إليها.

ومن اللافت أنه لم يتخذ من عزلته ذريعة لإهمال عمله. ينظف المرافق العامة بدقة تكاد تثير الاستغراب، ويمد يده إلى الزوايا الخفية، ويستخدم مرآة صغيرة ليتأكد من نظافتها. لا يراقبه أحد، ولا ينتظر من المارة كلمة شكر.

وللعمل وإتقانه مكانة خاصة في الثقافة اليابانية، حتى ليبدو الإخلاص له، في بعض صوره، أقرب إلى التقديس. لكنني لا أحب اختزال شعب كامل في صفة واحدة، ولا أظن أن هيرايامـا مجرد نموذج لهذه الصورة الشائعة عن اليابانيين.

ثمة أمر شخصي في عنايته بما يفعل. كأنه يقول، دون كلمة، إن قيمة الإنسان لا تحددها نظرة الآخرين إلى مهنته، وإن العمل الذي يراه الناس متواضعًا يمكن أن يؤديه صاحبه بكرامة.

ومع ذلك، فإن الفيلم يجمّل هذه الحياة بعض الشيء. دورات المياه التي ينظفها هيرايامـا مصممة بعناية استثنائية، ووقته يسمح له بالقراءة والتصوير والموسيقى. ليس كل عامل نظافة يعيش هذه الظروف، ولا يصح أن نخرج من الفيلم بفكرة أن الفقر والعمل الشاق طريق مختصر إلى السعادة. هنا أتحفظ على شيء من رومانسية فندرز، دون أن أنكر جمال ما صنعه.

أما أجمل ما صنعه، في نظري، فهو تحويل التكرار إلى لغة سينمائية. نرى الصباح ذاته مرارًا، لكن الضوء لا يتكرر، ووجه هيرايامـا ليس هو نفسه في كل مرة.

يصور الأشجار بكاميرا قديمة، مأخوذًا بأشعة تتسلل من بين الأوراق، وتتبدل مع حركة الريح. رجل يبني حياته على الثبات، ثم يجد متعته في لحظة لا تثبت! هذه المفارقة أبلغ عندي من أي كلام يمكن أن يقال عن الاستمتاع بالتفاصيل الصغيرة.

وفي أحد المشاهد الأخيرة، يقابل رجلًا مريضًا يقترب من الموت، فينهمكان معًا في اللعب بظليهما على الأرض. رجلان يحمل كل منهما همّه، ويضحكان للحظة كما يضحك طفلان. لم يحتج المخرج إلى شرح ما تعنيه الظلال. تركهما يلعبان وتركنا نتأمل.

لهذا لم أجد مشهد النهاية نقضًا لابتسامات هيرايامـا الأولى. فالإنسان قد يحب حياته التي بناها، ويبكي في الوقت نفسه على حياة أخرى فقدها. وقد يختار العزلة لأنها أقل إيلامًا من صحبة عرفها، دون أن يكف عن الحنين إلى القرب من الآخرين.

حين انطفأت الشاشة، بقي معي سؤال لم يجب عنه الفيلم: هل كانت أيام هيرايامـا مثالية فعلًا، أم أنه، بعد خيبة لا نعرفها، تعلم ألا يطلب من الأيام أكثر مما تستطيع أن تعطيه؟

وربما كان أجمل ما في حكايته أنه، رغم كل شيء، ما زال يجد سببًا ليرفع رأسه كل صباح نحو السماء.

كلمة

قبل أن نقرأ الأدب... نعيشه!

رجاء سالم*

أحيانًا أتساءل: هل يبدأ الأدب من صفحات الكتب، أم من تلك اللحظة التي يعجز فيها الإنسان عن تفسير شعورٍ يعتريه، أو استعادة ذكرى تسكنه، أو التعبير عن حكايةٍ ظلّت عالقةً في ذاكرته؟

نلتقي بالأدب في قاعات الدرس. غير أنني أؤمن بأن للأدب حياةً أخرى خارج أسوار الجامعة؛ حياةً لا تحتاج إلى مصطلح نقدي حتى ندركها.

ولكلِّ فنٍّ أدبيٍّ طريقته في ملامسة الحياة، فما الرواية إلا عالمٌ تتشابك فيه المصائر. نحن لا نعيش رواياتٍ مكتوبة، ولكننا نعيش تجارب تصلح لأن تكون مادّةً للرواية. وحينما يلتقط الروائي هذه التجارب، لا ينقل الحياة كما هي، بل يعيد بناءها فنيًا، وربما نفهم من خلال غرباء الورق ما لم نفهمه في أنفسنا.

أما القصة، فكم تشبه تلك اللحظات الصغيرة التي تمرّ بنا ولا تمرّ من ذاكرتنا! تغيّر كلمةٌ عابرة موقفًا، أو يوقظ لقاءٌ قصير حنينًا قديمًا.

ثم يأتي الشعر، ذلك الفن الحنون الذي لا يشترط أن نكون شعراء حتى نشعر بجماله ونجد في معانيه شيئًا من أرواحنا. وكم مرةً قرأنا بيتًا شعريًا فوجدناه ينطق بشعورٍ عجزنا عن قوله؟ هنا لا يمنحنا الشعر كلماتٍ نقرؤها، بل يهب مشاعرنا صورةً وإيقاعًا.

وفي المسرح نجد وجهًا آخر من وجوه الإنسان؛ فحياتنا لا تخلو من حوارٍ وصراعٍ واختيار. غير أن المسرح لا يضع الحياة على الخشبة كما وقعت، وإنما ينتقي من تناقضاتها ما يصنع فعلًا دراميًا.

وليس معنى ذلك أن كل ما نعيشه أدب؛ فبين التجربة الحياتية والعمل الأدبي مسافةٌ يقطعها الخيال والاختيار والتشكيل الفني. فالدراسة تعلّمنا كيف نفهم النص، والتجربة الإنسانية تمنحنا أسبابًا للإصغاء إليه.

ولماذا نقرأ عن الحنين ونحن نعرفه؟ وعن الفقد ونحن نخشاه؟ وعن الفرح ونحن نعيشه؟

لأن الأدب لا يكتفي بأن يخبرنا بما نعرف، بل يجعلنا نرى المألوف رؤيةً جديدة، ويتيح لنا أن نختبر حيواتٍ لم نعشها، وأن ننظر إلى العالم بعيونٍ أخرى.

وربما كانت أجمل ثمار دراسة الأدب أن نعود من النصوص إلى الحياة، فنكون أكثر قدرةً على قراءتها.

*شاعرة وباحثة ماجستير في الأدب العربي
ـ جامعة الملك خالد

إطلالة سيمائية



د. عبد الله علي بانخر

«على المقاس»..

كوميديا اجتماعية تعيد بريق الخشبة وتراهن على جيل الشباب .



يظل المسرح، بوصفه "أبو الفنون" جميعها، المرآة الصادقة لوعي المجتمعات، وأحد أهم الروافد الحضارية التي تعزز جودة الحياة وتصقل الذائقة العامة. فمن رحم الخشبة تولد المواهب الحقيقية، وتُكتشف الطاقات الإبداعية في التمثيل، والإخراج، والكتابة، والسينوغرافيا، في حالة من التفاعل الحيّ والمباشر الذي لا يمكن أن تعوّضه الشاشات مهما بلغت تقنياتها وتطورت مؤثراتها. فالمسرح ليس مجرد عرض عابر يُشاهد خلف الزجاج، بل هو فضاء إنساني حيّ تتلاقى فيه أنفاس المبدع بنبض الجمهور في لحظة فنية لا تتكرر، حيث يُقاس نجاح الفكرة وصدق الأداء بردّة الفعل الفورية داخل الصالة، بعيداً عن عمليات المونتاج وإعادة التصوير.

دعم مؤسسي وحراك مسرحي متجدد

وقد شهد المشهد المسرحي في المملكة خلال السنوات الأخيرة قفزات نوعية غير مسبوقة، بفضل الرؤية الطموحة والجهود المتواصلة لوزارة الثقافة وهيئة المسرح والفنون الأدائية. فقد أسهمت هذه الجهود في إرساء بنية تحتية محفزة، وتدشين المبادرات النوعية، وإقامة المهرجانات المتخصصة، وتأهيل الكوادر الوطنية عبر برامج تدريبية احترافية، مما أعاد للمسرح السعودي ألقه ومكانته بوصفه صناعة ثقافية متكاملة تستقطب العائلات والشباب وتفتح آفاقاً رحبة أمام المبدعين في مختلف مناطق المملكة. ولم يعد النشاط المسرحي مقتصراً على المناسبات الموسمية العابرة، بل تحوّل إلى حراك مستدام يسعى لترسيخ ثقافة ارتياد المسرح بوصفه جزءاً أصيلاً من المشهد الثقافي والاجتماعي المعاصر.

ممدوح سالم.. من المسرح الجامعي إلى ريادة السينما والعودة للخشبة

وفي قلب هذا الحراك المتجدد، يبرز اسم المنتج والمخرج السعودي ممدوح سالم، بوصفه أحد الرواد الذين حملوا همّ الفنون الأدائية والسينمائية منذ بواكير مسيرته الفنية في المسرح الجامعي بجامعة الملك عبدالعزيز. هناك، على



خشبة المسرح الجامعي الذي لطالما كان مصنعاً للرواد، تشكّل وعيه الفني وأدرك قيمة العمل الجماعي وأثر الكلمة الدرامية. ولم يتوقف شغف سالم وطموحه عند حدود الخشبة؛ بل امتد ليخوض غمار التأسيس ويطلق أول مهرجان للسينما في المملكة بمدينة جدة، واضعاً بصمة تاريخية ومفصلية في المشهد الفني السعودي، وممهداً الطريق أمام جيل كامل من صناع الأفلام.

واليوم، وبعد هذه الرحلة الحافلة بين المسرح والسينما والإنتاج الثقافي، يعود ممدوح سالم مجدداً إلى عشقه الأول عبر عمله المسرحي اللافت "على المقاس"، من تأليف سلطان الربيع وإنتاج مجموعة رواد ميديا، والذي قُدّم على مسرح الرجاء بمدارس الإبداع الأهلية بجدة خلال الفترة من 12 إلى 14 نوفمبر، بواقع ستة عروض متتالية بمعدل عرضين يومياً. ويعكس هذا الزخم في عدد العروض والإقبال الجماهيري اللافت في مدينة جدة مدى تعطش الجمهور للأعمال المسرحية الهادفة، وثقته في المنتج المسرحي المحلي متى ما توافرت له عناصر الجودة والاحترافية.

إبهار بصري ورهان رابح على طاقات الشباب

تأتي مسرحية "على المقاس" محمّلة بقدرات وإمكانات فنية عالية الجودة، تتجلى في نص كوميدي اجتماعي ساخر يجمع بذكاء بين المفارقة الدرامية والغموض، ويطرح قضايا إنسانية واجتماعية معاصرة بقالب خفيف قريب من وجدان المتلقي. وقد استثمر ممدوح سالم خبرته الإخراجية الطويلة في توظيف فضاء المسرح وعناصر الإضاءة والموسيقى والديكور لخلق حالة من الإبهار البصري والحركي، جعلت من الخشبة لوحة نابضة بالحياة والتشويق منذ اللحظات الأولى لرفع الستار.

غير أن الرهان الأبرز والأكثر نجاحاً في هذا العمل تمثّل في الأداء التمثيلي المبهر لكوكبة من الطاقات الإبداعية الشابة، ضمّت كلاً من: ماجد العليان، ومحمد الجفري، وإسراء حسن، وإيمان أحمد، وحنين عزب، وصالح القرشي، وخالد الحجيلي. فقد أثبت هؤلاء الشباب حضورهم الطاغي، ومرونتهم الأدائية، وقدرتهم العالية على الإمساك بإيقاع العرض والتفاعل الحيّ والذكي مع الجمهور، دون افتعال أو تصنّع؛ ليؤكدوا أن الساحة الفنية السعودية تزخر بمواهب واعدة قادرة على حمل راية المسرح متى ما وجدت الفرصة الحقيقية والتوجيه الإخراجي الاحترافي.

كنوز معطّلة.. دعوة لاستثمار المسارح المدرسية والجامعية

ولعل من أبرز المكاسب الاستراتيجية التي حققتها هذه التجربة هي خطوتها الجريئة باقتحام المسارح التعليمية وإنارتها بالأعمال الإبداعية والفعاليات الجماهيرية النوعية، بدلاً من أن تظل جامدة وموصدة طوال العام إلا من حفلات التخرج والمناسبات المدرسية والجامعية الروتينية. فقد أُقيم العرض على مسرح مدارس الإبداع الأهلية، وهو صرح مجهّز على أعلى المستويات الفنية والتقنية من أنظمة إضاءة حديثة، وهندسة صوتية متطورة، وخشبة واسعة تضاهي المسارح العالمية المخصصة للعروض الاحترافية.

وتفتح هذه التجربة الباب أمام تساؤل مشروع ودعوة جادة للتكامل المؤسسي؛ إذ تزخر مدارسنا وجامعاتنا في مختلف مدن المملكة بعشرات المسارح الفاخرة والمجهزة بأحدث التقنيات، لكنها للأسف لا تزال بعيدة عن دائرة الاستغلال الأمثل والاستثمار الثقافي والفني الحقيقي، سواء من قبل وزارة الثقافة، أو وزارة التعليم، أو وزارة الإعلام، أو الهيئة العامة للترفيه. إن بقاء هذه الصروح مغلقة معظم أيام السنة يمثل هدراً لبنية تحتية ثمينة، في وقت تبحث فيه الفرق المسرحية المستقلة والمواهب الشابة عن مسارح مجهزة تحتضن عروضها بتكاليف تشغيلية معقولة. إن مدّ جسور الشراكة بين هذه الجهات لتحويل المسارح التعليمية في الفترات المسائية وعطلات نهاية الأسبوع إلى حاضنات ثقافية ومراكز إشعاع فني مستدامة، سيوفر بنية تحتية جاهزة وفورية، ويقرب المسرح من الجمهور في كل حيّ ومدينة.



وقفة نقدية: تحدي الإيقاع وبناء النهاية

ورغم هذا التميز الفني اللافت الذي يجعل العرض تجربة مسرحية ثرية وجديرة بالمشاهدة والتقدير، فإن القراءة النقدية الموضوعية التي تنشد الارتقاء بالتجربة تقتضي الإشارة إلى بعض الهنات الفنية التي كان تلافيها سيرتقي بالعمل إلى آفاق أكثر اكتمالاً:

- الإطالة والترهل الزمني: اتسم العرض بشيء من الإطالة في بعض فصوله ومشاهده الحوارية، حيث كان بالإمكان اختزال ما لا يقل عن نصف ساعة من زمن المسرحية؛ إذ إن التكثيف الدرامي وحذف الاستطرادات غير الضرورية كان سيمنح الأحداث إيقاعاً أكثر رشاقة وتماسكاً، ويحافظ على ذروة التشويق والتركيز لدى المتلقي دون أن يتسرب إليه الملل.
- بين الكوميديا الطازجة والمضحكات المستهلكة: مال النص والأداء في بعض المحطات إلى الركون نحو "إفيهات" ومضحكات تقليدية مكررة ومستهلكة اعتادها الجمهور في أعمال سابقة، في الوقت الذي أثبتت فيه المشاهد المعتمدة على الكوميديا الطازجة، والموقف الساخر الذكي، والمفارقة الدرامية تفوقها الواضح، وقدرتها الأعلى على انتزاع ضحك الجمهور وتفاعله العفوي الراقي.
- تعجّل النهاية والتوجيه المباشر: بدت نهاية المسرحية متعجلة وغير مبررة منطقياً قياساً بالبناء الدرامي المتدرج الذي سارت عليه الأحداث طوال العرض، وكأن المؤلف والمخرج أرادا إغلاق الستار على عجل. كما جنحت الخاتمة في لحظاتها الأخيرة نحو التوجيه المباشر والوعظ الصريح للجمهور؛ وهو أسلوب يتقاطع مع طبيعة الفن المسرحي الحديث الذي يراهن على ذكاء المتلقي، ويكتفي بطرح الأسئلة وترك مساحة واسعة للاستنتاج والتأمل دون الوقوع في فخ التلقين المباشر.

ختاماً.. خطوة مضيئة نحو المستقبل

تبقى مسرحية "على المقاس" علامة فارقة وخطوة مضيئة ومبشّرة في مسيرة المسرح السعودي الحديث، وتأكيداً عملياً على أن تضافر خبرات الرواد من أمثال ممدوح سالم مع حيوية الجيل الجديد وإبداعه، وتفعيل الشراكة الوطنية لاستثمار البنى التحتية التعليمية والثقافية المعطّلة، كفيل بصناعة مسرح سعودي أصيل ومؤثر يليق بطموح الوطن ويرتقي بذائقة جمهوره.

سينما

«حوبة»..

صدمة الزوجة الثانية وأشباح العقل الباطن.



سعد أحمد ضيف الله
@saadblog



في السينما الخليجية والعربية نادراً ما يُستثمر الرعب بوصفه مرآةً للانكسارات الاجتماعية والنفسية العميقة؛ إذ غالباً ما يُختزل في مؤثرات بصرية عابرة. غير أن المخرج الإماراتي ماجد الأنصاري، في فيلمه الروائي «حوبة» (The Vile) الصادر في أواخر عام 2025، يقلب هذه المعادلة رأساً على عقب. خلال سبع وتسعين دقيقة مشحونة بالتوتر، يأخذنا الفيلم في رحلة خانقة، تبدأ من قلب أكثر الأماكن يفترض بها الأمان: غرفة المعيشة العائلية، وسط أماكن تصوير محدودة عمّقت من شعور العزلة والاختناق.

تتمحور حكاية الفيلم حول "أماني" (بدور محمد)، الزوجة والأم التي تنعم بحياة هادئة ومستقرة رفقة زوجها "خالد" (جاسم الخراز) وابنتهما الصغيرة "نور" (إيمان طارق) التي تعاني من تنمر زميلاتها في المدرسة، إلى جانب حضور أخت أماني "سلمى" كعنصر دعم عائلي، مع وجود فراغ درامي يتمثل في الحاجة لشخصية "الولد". هذا السكون الظاهري ينهار فجأةً وبلا مقدمات، حين يطرق خالد باب البيت – الذي يتضح أنه باب خربان يعكس هشاشة المكان – عائداً بزوجة ثانية تُدعى "زهرة" (سارة طيبة)، فارضاً هذا الواقع الجديد دون علم أماني أو رضاها.

هنا يبرز جانب نقدي مهم في بنية الفيلم الدرامية؛ فالسيناريو الذي كتبه ماجد الأنصاري بالاشتراك مع جوني الورد عن قصة للأنصاري نفسه واجه انتقادات لكون قصة الزواج الثاني جاءت ضعيفة المعالجة وغير مقنعة المبررات، لا سيما مع إصرار الزوج على رغبة المكوث في نفس البيت، وغياب دوافع واضحة مثل تقصير الزوجة الأولى، أو طغيان رغبة جنسية، أو تصوير الزوج كشخصية غير سوية تماماً، مما جعل قبول هذا الواقع يبدو مفبركاً دراماتياً. يضاف إلى ذلك تفاصيل رمزية مثل موت العصفور ثم تالي دفنه، وفوضوية زهرة المستمرة داخل المنزل.

لكن الفيلم، ومن خلال حبكتين متداخلتين (قصتان في قصة)، سرعان ما يزيح الستار عن طبقة أشد قتامة؛ إذ تتسلل إلى المنزل أجواء غير مألوفة، وتبدأ الأصوات الغريبة والظلال المظلمة في الزحف نحو زوايا البيت. ومع تصاعد التوتر، نكتشف أن "أماني" قد حدث لها انفصام في الشخصية، لتجد نفسها في مواجهة صراع نفسي وقوة غامضة وخارقة للطبيعة تهدد حياتها وحياة ابنتها، فتتحول من زوجة مكلومة إلى أم تقاتل للبقاء وكشف ماضي زهرة المريب.

هذا المزج بين الدراما النفسية

الواقعية والرعب الخـــارق للطبيعة هو ما منح "حوبة" فرادة لافتـــة، وجعله يحظى باعتراف عالمي مبكر؛ حيـــث افتتح عروضه الدولية في مهرجان "فانتاستيك فيست" بولاية تكساس الأمريكية عـــام 2025، ليظفـــر بجائزة لجنة التحكيـــم لأفضل فيلم رعب طويل، مســـجلاً ســـابقة تاريخية كأول فيلم ناطـــق بالعربية يحصد هذه الجائزة المرموقة.

هذا النجاح الفني جاء ثمرة تحالف إنتاجي إماراتي أمريكي. فقد تولت "إيمج نيشن أبوظبي" إنتاج العمل بالشراكة مع شركة "سبوكي بيكتشرز" الأمريكية ومقرها لوس أنجلوس، ومشـــاركة "بريـــك آوت فيلمز". وضم فريـــق المنتجين أسماءً صنعت تاريخ الرعب المعاصر، مثل روي لي وستيفن شـــنايدر (منتجي It وThe Ring و Late Night with the Devil)، إلـــى جانب ديريك داوشـــي والمنتج الأردني رامي ياسين، بينما تولى الإنتـــاج التنفيذي كل من المصري محمد



حفظي والعراقي الإماراتي ياسر الياسري. هذا الثقـــل الإنتاجي انعكس بوضـــوح على جودة الصورة، وإيقاع التشويق، وبناء الفضاء البصري الموحش.

وعلى صعيد الوصول إلـــى الجمهور الخليجي، انطلق الفيلم في صالات السينما الإماراتية في الثلاثين من أكتوبـــر 2025، ليعبر في نوفمبر من العام نفســـه إلى شاشات المملكة العربية السعودية، مســـتنداً إلى شراكة استراتيجية مع استوديو "تلفاز 11" السعودي الذي تولى مهام التوزيع السينمائي مستفيداً من خبرته العميقة في السوق الســـعودي، قبل أن يواصل الفيلم رحلته الرقمية بتوفره عبر منصة "ستارزبلاي" في نوفمبر 2026.

إن "حوبـــة" هو قراءة بصريـــة جريئة لفكرة الحوبة في الموروث الشعبي؛ ذلك الأثر الخفي للظلم حين يقع داخل الجدران المغلقة، ليؤكد ماجد الأنصـــاري أن الرعب الحقيقي يبدأ حين ينكســـر الأمان من الداخل وتتداعى اليقينيات النفسية.

كلمة



سمية مؤذنة*

كيف تتشكل ذواتنا؟

النسخة التي تشكّلنا عليها اليوم هي حصيلة اختياراتنا وأفعالنا، تتغيّر للأفضل دائمًا في فترات الحياة، من الغشاوة إلى الحكمة، وبين العمر والنضج، بامتثال العاقل لعقله وإعمال الإنســـان لذلك والتفكّر، وثراء الباحث عن المعنى.

لا تتأتى للخائف، ولا تلائم المنتحل، إنما يعيشـــها المتوازن بطبيعته، ويســـتمر بالتصاعد حتى تصبح التجارب على ألمها سلمًا، والصعوبات علمًا يكتسب منه عمرًا من التعلّم البطيء.

حياتنا على شفا ثانية من الوقت، وهويتنا الإنسانية تتشكّل من خلال مراحل التلقّي والعطاء، والفهـــم والتفهّم، وما يتراكم في داخلنا من تجارب تعيد ترتيب نظرتنا إلى ذواتنا والعالم من حولنا.

يقول الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر في ذلك: "الإنسان ليس إلا ما يصنعه من نفســـه"، في تعبير عن أن وجود الإنسان يتشكل من خلال أفعاله واختياراته، وأن مسؤوليته عن ذاته جزء أصيل من حريته.

الحياة اســـتيعاب للحقيقة المرجحة، وفطنة للواقع والعواقب، وقدرة على الإدراك بما يجب وما يستحق، وجرأة في التساؤل حتى مع انعدام الإجابة، الحقيقة هي أننا نـــرى حقائق مختلفة ونحتكم إلى اعتقاداتنا وإنسانيتنا، ولذلك الحقيقة نسبية في هذا العالم.

وفي كل مرحلة تتسع مساحة الرؤية، وتتبدّل قيمة الأشياء في أعيننا، ونكتشف أن ما كان يستحوذ على تفكيرنا لم يعد يحتل المكانة ذاتها، وأن بعض المواقف لم تكن معقدة في حقيقتها بقدر ما كانت قراءتنا لها محدودة بما نعرفه آنذاك.

وقد عبّر الفيلسوف الدنماركي ســـورين كيركغارد عن هذه المفارقة بقوله: "الحياة تُفهـــم بالنظر إلى الوراء، لكنهـــا تُعاش بالتوجه إلى الأمام"، وكأن التجربة تسبق قدرتنا على تفسيرها، ويأتي الفهم متأخرًا ليمنح ما عشناه معاني لم نكن ندركها في حينه.

ومع اتساع التجربة، تتغير زوايا النظر، وتصبح التفاصيل التي أغفلناها يومًا مفاتيح لفهم ما استعصى علينا، فتتقدم البصيرة على الاندفاع، ويصبح الإنســـان أكثر قدرة على التمييز بين ما يريده وما يستحقه، وبين ما يستطيع تغييره وما ينبغي أن يتقبله، وبين حقه في الاختيار ومسؤوليته عن نتائجه.

فالنســـخة التي نصبح عليها في كل مرحلة من حياتنا هي الشـــاهد الأصدق على الطريقة التي فهمنا بها ما عشـــناه، وعلى ما منحناه من تفكير وتأمل، وعلى قدرتنا أن نصنع من تجاربنا معرفة، ومن معرفتنا بصيرة، ومن بصيرتنا اختيارات تستحق أن نعيشها.

بالامتلاء المعرفـــي، والتجارب، والحياة بروح الباحـــث، والتعلم الذي لا ينتهي؛ تبصرك الأماكن رغم ســـكونها، ويهتز الصوت وتبقى أنت الثابـــت في كل دورة حياة آثرت فيها التعلم على التذمر، والحكمة من التجربة، والسمو الذي تقول عنه جدتي:

قد وُلد حين ولدتي، سُـــمية سماءً وســـمو، نجدة العالم من البلادة، الحبهان الذي لا يستغنى عنه.

* الرياض

المرسم





أحمد فلمبان

الرسام الدنماركي « كريستوفر إيكرسبرغ» ..

رائد المدرسة الكلاسيكية الجديدة .

«كريستوفر فيهلم إيكرسبرغ» رسام ونقاش دانماركي ولد عام 1783م في قرية «بلاكروج» الواقعة في دوقية «شليسفيغ» جنوب الدانمارك، بالقرب من نهر «السوند» حيث استمتع بالمناظر الطبيعية للريف المحيطة بالنهر، درس الرسم في الأكاديمية الملكية في كوبنهاجن، ويعتبر واحدا من أبرز فناني المدرسة الكلاسيكية الجديدة، وواضع حجر الأساس للفترة الفنية الذهبية في الدنمارك، واشتهر بدقته واتقانه للواقع والطبيعة والقصص التاريخية والأسطورية ويُعتبر (أبو الرسم الدنماركي) سافر إلى باريس في عام 1810م، ليدرس الرسم في استوديو «دافيد» (وهو أحد أبرز فناني المدرسة الكلاسيكية الجديدة) وشاهد هناك أعمال الفنانين الكلاسيكيين، واعجب بمنهج «دافيد» في الرسم بإحياء تقاليد الفن الروماني، والاعتماد على التكوين بقواعد فنية صارمة، وفي عام 1812م، سافر إلى ايطاليا، وأقام فيها





عدة سنوات، حيث شاهد أعمال فناني القرن السابع عشر، وأعجب بأعمال «نيكولا بيزانو»، ورسم هناك عدد من اللوحات، أهمها لوحة (غابة بولونيا) حيث ألهمه مشهد الغابة العجيبة الملتوية الأشجار التي حيرت العلماء، المليئة بالإضاءة والألوان المبهجة، بأسلوب الرسم من الواقع في الخلاء والتركيز الدقيق في توزيع الضوء من الطبيعة مباشرة وتدرج الألوان الفطرية، وهو الأسلوب الذي نقله لاحقاً إلى الدنمارك، ليؤسس به (العصر الذهبي للرسم الدنماركي) ورسم أيضا سلسلة من الأعمال الفنية المختلفة (لوحات زيتية ورسومات تحضيرية والنقش على ألواح النحاس(نفّذها بين عامي 1812 و1813م، وتُعتبر تحفا فنية وتاريخية، ثم عاد إلى الدانمارك، في عام 1813م، بأسلوبه الفني الذي ابتكره، بتقنية الرسم في الخلاء، التي أصبحت جزءاً جوهرياً من أساليبه التدريسية، حين كان أستاذاً في الأكاديمية الملكية في كوبنهاجن، ثم مديراً للأكاديمية، وكان ينقل الطلاب إلى الفضاء، للرسم المباشرة من الطبيعة، للتعلم أنماطا مباشرة واهتمامًا بالمنظور وقوة في التعبير والحيوية، وقد ترك هذا الأسلوب أثراً عميقاً في الطلاب والجيل التالي من الفنانين الدنماركيين، للوحات التي كان يرسمها بمستوها الرفيع وإتقانها العالي ودقتها المتناهية وطريقة استخدام الألوان، وكان يرسمها بشكل حي وعفوي في الخلاء، إذ هي كانت ركيزته الأساسية في الرسم،



وقد كشف الفحص التقني لهذه الأعمال، عن وجود خطوط رسم أولية، تحت طبقة الطلاء، ولكن «إيكرسبرغ» كان يعتبرها مجرد تخطيطات أولية ويقوم برسمها في الموقع مسبقا، وغالباً ما كان يدمج تلك العناصر في تكوينات ذات منظور واقعي في آن واحد، وكان أحياناً يضع اللمسات النهائية لهذه الأعمال بالألوان الزيتية في الخلاء، ليضفي عليها طابعاً من الحيوية، وفي عام 1815م، تم تعيينه عضوا في الأكاديمية الملكية في كوبنهاجن، ثم أستاذا فيها، وطلب منه الملك «فريدريك السادس» زخرفة قصر (كريستيا سبورغ) بلوحات تصور التاريخ الدانماركي، ومن عام1818م، رسم «إيكرسبرغ» رسومات ولوحات مهمة تعتبر نموذجا «للعصر الذهبي الدنماركي» مثل (عائلة ناثنسون) هي واحدة من أشهر وأهم اللوحات الشخصية الجماعية في تاريخ الفن الدنماركي، وتجسيداً دقيقاً لحياة الطبقة الوسطى والعليا في كوبنهاغن، ولوحة (امرأة أمام المرآة) هي واحدة من النماذج المهمة لتلك الفترة، وتتميز بالتفاصيل الدقيقة يعكس حساً واقعياً وجمالياً رفيعاً، ولوحة للبارونة (بيل) وهي بورتريه لزوجة الكونت «جوهان كارولين» وتتميز بالدقة الشديدة والتوازن الكلاسيكي في توزيع الضوء والاهتمام بتفاصيل الملامح للشخصيات والملابس لإبراز مكانتهم الاجتماعية، توفي «إيكرسبرغ» عام 1853م .







مسافة ظل

خالد الطويل

حين خاتلنا البرد.

كأن شتاء هذا العام مختبئ خلف شجرة. تعوّدنا أن تداهمنا نسائمه حبة حبة، وتوقعنا أن تهب رياحه مع نهاية أكتوبر بالتدريج، لكن أكتوبر مضى وكان الجو في أقصى حالاته يميل للاعتدال ليلًا، وهكذا دخلت أيام نوفمبر الأولى، ولم يتغير الحال كثيرًا حتى اقتربنا من انتهاء العشرة الأولى منه، ليدهمنا البرد على حين غرة.

كنت في البر حينها، وبعد التاسعة ليلًا كأنه خرج يخاتلنا شاهرًا سيفه من خلف الأشجار حولنا، واللي ما حسب حسابه تورّط. أشعلنا النار ودخلنا تحت عشة، بعيدًا عن قبة السماء. وفي الموروث: "إذا جاء العقرب تحت السماء لا تقرب"، والعقارب نجوم أو منازل تأتي في آخر الشتاء وتتسم بتقلبات جوية حادة، وقيل كذلك: "توقّ أوله وتلقّ آخره". لأن البرد في بدايته قد يصيب الإنسان بضرر، وأمراضه معروفة: حساسية وزكام ربما يتطور إلى سخونة، ونسمع أنه لو زرق الواحد في بداية أيام الشتاء، ربما تطول مدة الشفاء. وهي أقوال يتناقلها الناس بعضهم عن بعض من خلال خبرتهم.

أما أنا، فهرعت إلى دولاب المنزل وأخرجت ثيابي الملوّنة، وجهزت حقيبة في السيارة، حشوتها فنايل صوف وشراريب واحتياطات. وصدق من قال: "لا تضحك بحد". كنت أرافق واحدًا من الجماعة، ما يروح مكان إلا ومعه أكياس فيها ملابس وأغراض كثيرة من بينها غطاء للرأس، وجزاه الله خيرًا، لو أحد نقص عليه شراريب ولا كوت، ولا علاج زكمة يطلّعه من الكيس.

للشتاء ثقافته، وسبق أن سمعت أن الشتاء يُسمّى "أبو الهداريس" لكثرة ما يلبس الناس فيه. أما أمي، الله يرحمها، فكانت تضبط لنا مع دخول الشتاء القرص والفطيرة بالسمن والحليب، واليوم تتفنن المطاعم في تقديم الأكلات الشتوية، وتقدم لها الدعايات عبر "تيك توك" وغيره من الوسائل.

وفي الشتاء تجد البعض حريصًا، بمجرد أن يدخل جلسة أصحابه، على اختيار مكانه بعناية، بعيدًا عن تيارات الهواء. وإذا خرجنا إلى البر في البرد بحثنا عن الدفء فيما يسمى بالعامية "الكهب"، وهو المكان الذي يحيط به الضلعان. خاتلنا البراد هذا العام، وكأنه أراد أن يرد على من قالوا إنه طوّل كثيرًا، ولعلنا التهينا بالسحاب والأمطار التي عمّت أرجاء بلادنا، حفظها الله، عن نسائمه وأجوائه، حتى جاء ليعلن حضوره. فأهلًا بأبي الهداريس.

ضمن شبكة قطار الرياض..

بدء تنفيذ أعمال محطة «إكسبو»..



واس

أعلنت الهيئة الملكية لمدينة الرياض بدء تنفيذ أعمال محطة «إكسبو» ضمن شبكة قطار الرياض، بالتزامن مع الكشف عن تصميمها المعماري، ضمن جهود الهيئة لتطوير شبكة التنقل ومواكبة النمو السكاني والعمراني والاقتصادي للعاصمة، وفي إطار مشروعات النقل والبنية التحتية الداعمة لاستضافة إكسبو 2030 الرياض.

وستسهم المحطة في تسهيل وصول زوار المعرض عبر منظومة النقل العام، وتشكل إضافة دائمة إلى شبكة قطار الرياض، تعزز تكامل منظومة النقل العام وتلبي احتياجات التوسع العمراني والنمو المستقبلي للمدينة، مع استمرار دورها في خدمة المنطقة والوجهات المحيطة بها بعد انتهاء المعرض. وتقع المحطة على المسار الأصفر لشبكة قطار الرياض، المرتبط بمطار الملك خالد الدولي، وتمتد فوق طريق الملك سلمان ضمن ممر أخضر يربط موقع إكسبو 2030 الرياض شرقًا بمناطق التطوير العمراني المستقبلية غربًا.

وتُقام على مساحة إجمالية تبلغ نحو 70 ألف متر مربع، بطاقة استيعابية تصل إلى 19 ألف مستخدم بالساعة الواحدة.

ويستمد التصميم المعماري للمحطة عناصره من الطبيعة المحلية لمدينة الرياض، وتحديدًا أوديتها وأشجار الطلح، حيث تتميز بقبة فولاذية يبلغ قطرها 134 مترًا، ترتكز على ثمانية أعمدة متفرعة تحاكي أشجار الطلح، وتوفر مساحات مظللة للزوار.

وتضم المحطة نحو 44 ألف متر مربع من المساحات الخضراء، إلى جانب أنظمة للطاقة الشمسية تغطي نحو 25٪ من استهلاكها للطاقة.

وتعمل الهيئة على تنفيذ المحطة، وفق جدول زمني متكامل مع أعمال تطوير موقع المعرض، لتكتمل بالتزامن مع جاهزية الموقع وقبل انطلاق المعرض.

عبر تطبيق «توكلنا»..

حافلات المدينة تتيح شراء التذاكر إلكترونيًا.



واس

أتاحت حافلات المدينة خدمة شراء التذاكر إلكترونيًا عبر تطبيق "توكلنا"، في خطوة تهدف إلى تيسير إجراءات شراء التذاكر، وتعزيز سهولة التنقل عبر شبكة النقل العام في المدينة المنورة.

وتُعد حافلات المدينة أحد مشروعات النقل العام التي تشرف عليها هيئة تطوير منطقة المدينة المنورة، وتقدم خدماتها للسكان والزوار من خلال شبكة تربط الأحياء السكنية بالوجهات الحيوية، تشمل المسجد النبوي، ومطار الأمير محمد بن عبدالعزيز الدولي، ومحطة قطار الحرمين السريع، ومسجد قباء، إلى جانب عدد من المرافق الصحية والتعليمية والخدمية.

وتضم الشبكة 16 مسارًا و476 محطة توقف، بما يسهم في توسيع خيارات التنقل، وتسهيل الوصول إلى الوجهات المختلفة، وتعزيز انسيابية الحركة المرورية، والحد من الازدحام والانبعاثات البيئية.

وتُمكّن الخدمة المستفيدين من الوصول إلى خدمة شراء تذاكر حافلات المدينة من خلال تطبيق "توكلنا"، وإتمام إجراءات الشراء إلكترونيًا، بما يوفر خيارًا إضافيًا للاستفادة من خدمات النقل العام، ويعزز تكامل الخدمات الرقمية مع منظومة النقل في المدينة المنورة.



سؤال وجواب

إعداد: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله العُقيلي
عضو برنامج سمو ولي العهد
لإصلاح ذات البين التطوعي.

س: ما آداب وسنن الغيث؟

ج: الغيث من أعظم نعم الله تعالى على عباده، به تحيا الأرض بعد موتها، وتنبت الزروع، وتتوفر أسباب الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28].

وقد وردت عن النبي ﷺ سنن وآداب يُستحب للمسلم المحافظة عليها عند نزول المطر، ومنها:

-1 الدعاء عند نزول المطر:

بقول: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»، أي: مطرًا نافعًا تحل به البركة وتعم به الرحمة، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (1032).

-2 التعرض للمطر وإصابة شيء من البدن به:

استبشارًا برحمة الله تعالى، واقتداءً بالنبي ﷺ، فقد أصابهم المطر، فحسر النبي ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقيل له: لم صنعت هذا؟ فقال: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه مسلم (898).

-3 شكر الله تعالى ونسبة نزول المطر إلى فضله ورحمته:

والابتعاد عن نسبته إلى النجوم والأنواء، فيقول المسلم: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أخرجه البخاري (846)، ومسلم (71).

-4 الدعاء عند كثرة المطر وخشية الضرر:

وسؤال الله أن يجعله في مواضع الانتفاع، وأن يصرف أضراره، فيقول: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري (1014)، ومسلم (897).

ومع بدء موسم الغيث في بلادنا - حرسها الله - ينبغي الحرص على استشعار نعمة الله وشكره وحمده على ما أنعم به من نزول الأمطار، والإكثار من الدعاء والاستبشار بالغيث النافع، وتعليم الأهل والأبناء هذه السنن النبوية وإحياءها، مع الأخذ بأسباب السلامة والوقاية، والالتزام بتعليمات الدفاع المدني والجهات المختصة وتحذيراتها، وعدم الاستهانة بمخاطر السيول، أو المجازفة بعبور الأودية والشعاب أثناء جريانها، سواء بالمركبات أو سيرًا على الأقدام، والابتعاد عن بطون الأودية ومواقع تجمع المياه والأماكن المنخفضة التي قد تتعرض للسيول، وعدم الاقتراب من السدود ومجاري التصريف عند جريان المياه.

كما ينبغي المحافظة على البيئة والمتنزهات البرية، وعدم رمي المخلفات في الأودية والشعاب أو تركها في مواقع التنزه، والمحافظة على الأشجار والغطاء النباتي، وتجنب الإضرار بالمراعي والممتلكات العامة؛ فالمحافظة على البيئة مسؤولية مشتركة، والاستمتاع بالأجواء الماطرة ينبغي أن يكون مقرونًا بالوعي والمسؤولية واحترام الأنظمة والتعليمات.

نسأل الله أن يجعل ما أنزله غيثًا نافعًا، ورحمةً وبركةً، وأن يعم بنفعه أرجاء بلادنا وسائر بلاد المسلمين، وأن يزيدنا من فضله، ويبارك لنا فيما أنزل، ويجعله سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق، وأن يحفظ بلادنا وقيادتها وأهلها من كل سوء ومكروه.

آمين.

لتلقي الاسئلة
alloq123@icloud.com
حساب تويتر:
@Abdulaziz_Aqili

الكلام الأخير



عبدالمحسن يوسف

أعراس الخريف.

رغـــم أنـــف التهديـــدات والمؤامـــرات والاســـتهدافات التي تتربصُ ببلادنا وأمننا هذه الأيام فإن أعراسَ فصلِ الخريفِ تقيمُ مباهجَها في القلبِ بكاملِ بلاغتها ، وتتبرجُ تجلياتُها صريحةً في كلِّ شبرٍ من هذا الوطن الهائل الممتد من الضحكةِ للضحكة ، ومن المرح للمرح ، ومن قطرةِ مطرٍ في أقاصي الشمال إلى قطرةِ عطرٍ على شفاهِ وردةٍ في أقاصي الجنوب ، ومن أطرافِ غيمةٍ مثقلةٍ بمواويلِ الحياةِ في سماءِ الشرق إلى أطرافِ غيمةٍ مدججّةٍ بالآمـــالِ العريضةِ في مرايا الغرب ، ومن قمرٍ يستريحُ بهدوءٍ على كتفِ جبلٍ في ليلِ الســـراواتِ إلى عشبةٍ صغيرةٍ تستيقظُ باكرًا على أهدابِ واحةٍ من واحاتِ الأحساءِ الفاتنة.

الخريفُ المثقلُ بـــدلالاتٍ رمزيةٍ تعني فيما تعنيه نهاياتِ العمـــرِ الجميل في ثقافتنا العربية يبدو لدينا - في بلادنا تحديدًا وفي هذه الأيام على وجـــه الخصوص - مغايرًا تمامًا لما تواطـــأتْ عليه المعاني في هذه الثقافـــةِ التي تحتفي باليبـــاس والذبول والخرف ، فهو في واقعنا يســـتحيلُ ربيعًا كاملًا متجليًـــا على الأرض بعد المطر حيث تكتسي صحراؤنا بالبنفسجِ الآسر ، ورمالُنا بشقائقِ النعمان الساحرة ، وتلالنا بخضرةٍ ســـخيةٍ ممتدةٍ طولًا وعرضًا تغري بالنزهةِ ونَصْبِ الخيام وشَـــبّةِ النار وصنع القهوة المُرّة المستطابة والسهر طويلًا تحت ضوءِ القمر حتى مطلعِ الأمل واستواء الكلامِ سردًا وشـــعرًا وحكاياتٍ وثرثرةً جميلةً وهواجسَ فاتنةً كهواجسِ حبيبنـــا " الصيخان " في طقس الوطن.

في عطلـــة " الخريـــف " - التي نلمسُ مباهجَها هذه الأيام - يقيم السعوديون - من دون خـــوفٍ أو وجـــل - أعيادهم الخاصة في البرّ الواسع والأودية العريضة والســـواحل الطويلة والمـــزارع الخضراء والجهات المفتوحةِ على الســـعادةِ وعلى الطمأنينـــةِ التي بلا ضفـــافٍ، الطمأنينة التي تؤثثُ القلوبَ والنفـــوسَ والبيوتَ والطرقـــات والأوقـــات والأماكن، فرغم الصواريخ والمسيرات العمياء التي حاولت وتحاول اســـتهداف بلادنا، إلا أن الحياةَ تتهـــادى طبيعيةً وكأنَّ شـــيئًا لم يكن ، فقصورُ الأفراح عامرةٌ بالأعراس، وملاعب الكرة عامـــرةٌ بالمباريـــات ، والجماهير الغفيرة تحتفل في المدرجات ، والمساجد تغصُّ بالمصليـــن حتى في صلاة الفجر، كذلك كانـــت الحياةُ ســـخيةً بهيجةً في الأســـواق والمطاعم والمقاهي والحدائق والشواطئ ...الخ

وعند الصبـــاح الباكر يذهـــبُ الناسُ إلى الأعمال والمشاغل والأحلام العريضة فيما الشوارعُ تزدحمُ بالسيارات والحركة العامرة بالتحدي والأمل، وفي هذا الســـياق الذي لا ينحنـــي للخوف ويحتفـــي بتفاصيل اليوم الجميل المعتاد، بـــدتْ عاصمتنا الحبيبة " الرياض " مبتهجةً وكأنها في عرسٍ بعودة الفنان فضل شاكر من ضيق المعتقل إلى رحابة الحياة، حفلته الغنائيةُ كانت جميلةً، وعاصمتنا كما هي ســـائر مدننا أثبتتْ أنها قادرةٌ على التحليق فـــي أعالي الفرح رغم ضراوة الاستهدافات وسطوة الضغائن..

مشـــاهد الفرح الباســـل هذا تكررت أيضًا في حفلة فناننـــا الكبير عبـــادي الجوهر الذي ملأت أوتارُ عـــوده قلوبَنا بالمباهج، وكذلك في الحفلة البديعة لراشـــد الماجد الذي أطلقَ جملته المدهشـــة قبل الشروع في الغناء، هكـــذا: "الخوف ليس من عادة السعوديين".. ولقد كان محقًّا، فالجماهيرُ غفيرةٌ ومطمئنةٌ ومتفاعلةٌ بشـــغفٍ هائل، والحياةُ كذلك كانت عامرةً بالحياة.

نعم، لدينا للخريفِ أعـــراسٌ كبرى، ولدى الآخرين وجـــوهٌ بائســـةٌ للخريف، كخريف العمر، أو خريف الغضب كما كتبَ ذاتَ يوم بحبره المؤثثِ بالزيف مؤرخُ الجثث الشهير بأكاذيبه الشهيرة.

كنوز اليمامة

سلسلة تصدر من مؤسسة اليمامة الصحفية

إضافة جديدة وإصدارات متنوعة

اطلبه **الآن**

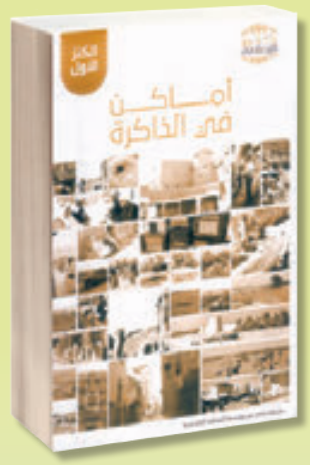
أونلاين عبر

كنوز اليمامة

يتم الشحن عبر

YAMAMAH EXPRESS

















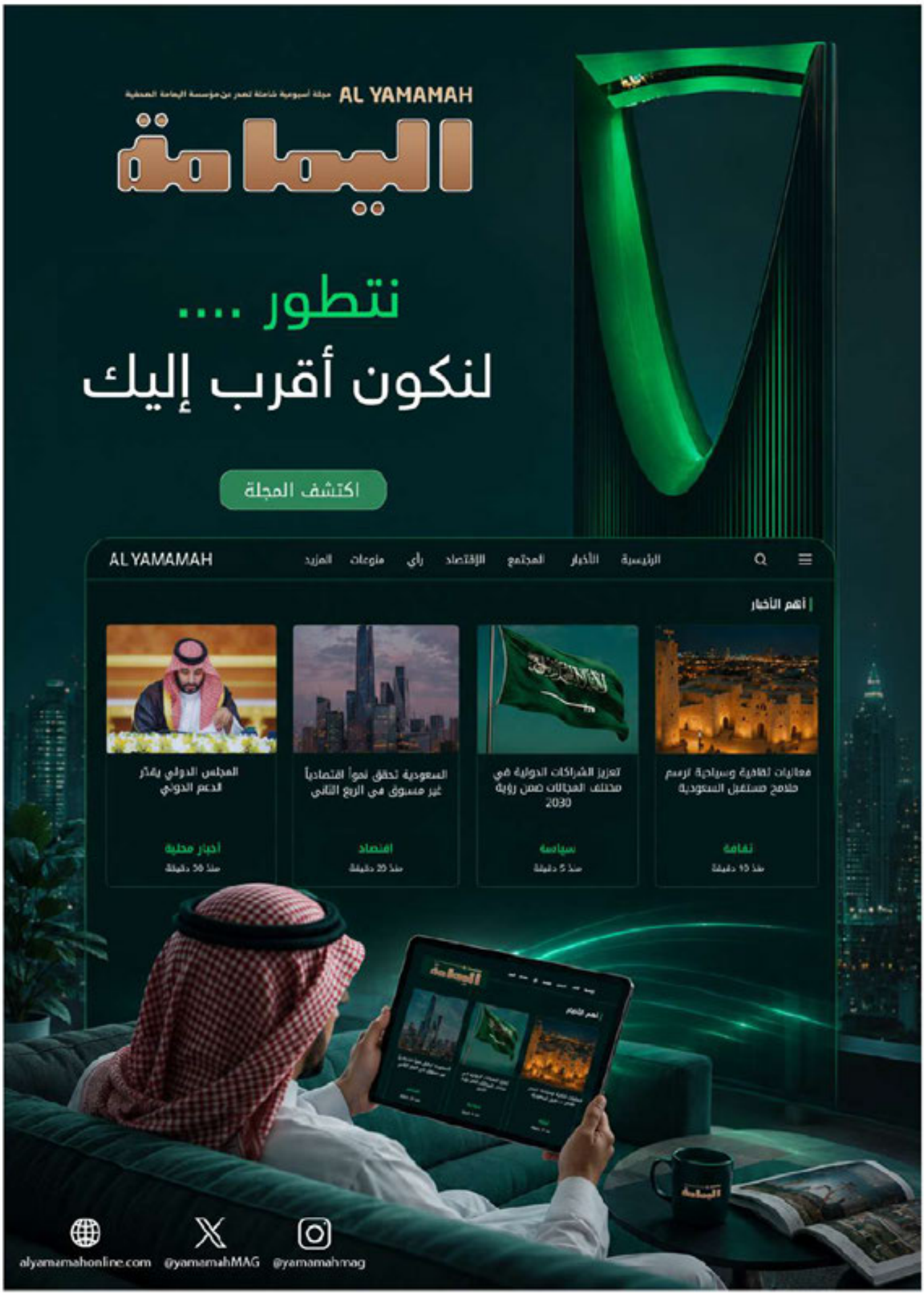
واتساب: 023 2121 50 966+

إيميل: contact@bks4.com

تويتر: @KnoozAlyamamah

أنستغرام: @KnoozAlyamamah

Bks4.com


AL YAMAMAH
مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية
اليمامة
نتطور ....
لنكون أقرب إليك
اكتشف المجلة
AL YAMAMAH
الرئيسية
الأخبار
المجتمع
الاقتصاد
رأي
منوعات
المزيد
أهم الأخبار
معالم تاريخية وسياحية ترسم ملامح مستقبل السعودية
ثقافة
منذ 45 دقيقة
تعزيز الشراكات الدولية في مختلف المجالات ضمن رؤية 2030
سياسة
منذ 5 دقيقة
السعودية تحقق نمواً اقتصادياً غير مسبوق في الربع الثاني
اقتصاد
منذ 20 دقيقة
المجلس الدولي يقدّر الدعم الدولي
أخبار محلية
منذ 30 دقيقة
alyamamahonline.com
@yamamahMAG
@yamamahmag